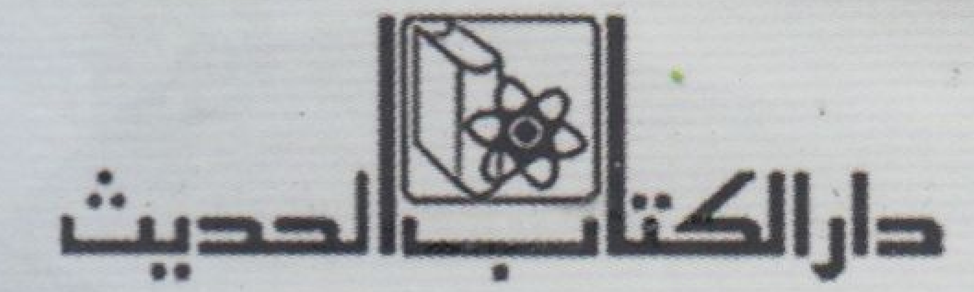
تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافيـة

دكتور / إبراهيم بعزيز
أستاذ بقسم علوم الإعلام والاتصال - جامعة الجزائر



تكنولوجيا الاتصال الحديثة

وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية

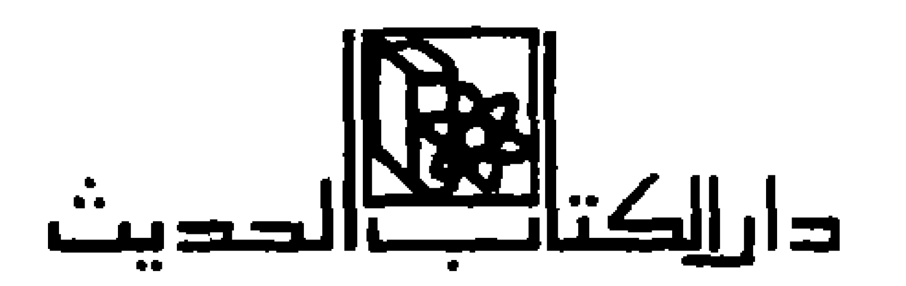
دكتور
إبراهيم بعزيز
أستاذ بقسم علوم الإعلام والاتصال
جامعة الجزائر



دار الكتاب الحديث

بعزيز ، إبراهيم .
تكنولوجيا الاتصال الحديثة وتأثيراتها الاجتماعية والثقافية / إبراهيم بعزيز
. ـ ط 1. ـ القاهرة: دار الكتاب الحديث ، 2011
194 ص ؛ 24سم .
تدمك 1 430 350 977 978
1- الاتصالات الإلكترونية . 2- التكنولوجيا – الجوانب الاجتماعية .
أ- العنوان.
621.38041

رقم الإيداع 17117 /2011



القاهرة	94 شارع عباس العقاد – مدينة نصر – القاهرة ص.ب 7579 البريدي 11762 هاتف رقم : 22752990 (202 00) فاكس رقم : 22752992 (202 00) بريد إلكتروني dkh_cairo@yahoo.com
الكويت	شارع الهلالي ، برج الصديق ص.ب : 22754 – 13088 الصفاة هاتف رقم 2460634 (965 00) فاكس رقم : 2460628 (965 00) بريد إلكتروني : ktbhades@ncc.moc.kw
الجزائر	B. P. No 061 – Draria Wilaya d'Alger– Lot C no 34 – Draria Tel&Fax(21)353055 Tel(21)354105 E-mail dk.hadith@yahoo.fr

قال الله عز وجل: ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

[سورة النحل]

فى البداية أشكر الله العلى القدير على توفيقه لنا لإتمام هذا العمل، وإخراجه على هذا الوجه، كما أحمده تعالى على إزالة كل العقبات، وتذليل كل الصعوبات التى كانت ستحول دون إكمال هذا الكتاب بهذا الشكل، فاللهم لك الحمد والشكر، والفضل والمنة من قبل ومن بعد.

إهـــداء

أهـدى هذا العمل إلى والـدى الكريمين، مصدر كل نجاح وإنجاز فى حياتى، كما أهديه لكل أفراد عائلتى الكريمة.

وأهديه لكل من أعاننا من قريب أو بعيد لإتمام هذا الكتاب.

ولـكل الأصدقـاء، والطلبة، والأسـاتذة الزملاء، وأخص منهـم بالذكـر د.محمد لعقـاب، د.سـمير لعـرج، د.عامر مصباح، د. اعمر يوسفى، د.بشير نمرود، د.عمر بوسعدة، أحمد بوخارى، فارس طباش، جمال شاوش، حمزة بوشمان، رشيد فريح، الطاهر بصيص، إدير معياش.

محتويات الكتاب

مقدمة

يتكون هذا الكتاب من مجموعة مداخلات ومحاضرات ألقيناها فى عدة ملتقيات وطنية ودولية، والتى قمنا بجمعها وتنقيحها وتعديلها، لتنشر فى كتاب جامع يستفيد منه المهتمون بهذه المجالات المعرفية.

وقد تمحورت معظم هذه المحاضرات حول استعمال تكنولوجيا الاتصال الجديدة فى مختلف الميادين، وتأثيراتها وانعكاساتها على هذه المجالات وعلى الأفراد المستعملين. فمن المعروف أن هذه التطبيقات الاتصالية التفاعلية الجديدة قد ازداد الإقبال عليها بشكل ملحوظ خاصة لدى فئة الشباب. مما أحدث انعكاسات اجتماعية، سياسية، ثقافية...إلخ. وما نحن ببعيدين عن الثورات والمظاهرات التى حصلت فى الدول العربية مطلع 2011م، والتى استعانت فيها الجماهير بشكل ملحوظ بتطبيقات الاتصال الجديدة (المدونات، مواقع بث الفيديو، مواقع التشبيك الاجتماعى مثل فايسبوك، ماى سبايس...إلخ)، وذلك لتنسيق أنشطتهم ولنشر المعلومات والأخبار.

هذا، وقد ترتبت كذلك عدة انعكاسات على المجال الثقافى، والعلمى وحتى الدينى.

ويحاول هذا الكتاب أن يعالج هذه الظواهر والقضايا المرتبطة باستخدامات تكنولوجيا الاتصال الجديدة. ونتمنى أن يلقى هذا المؤلف إعجاب القارئ.



مجتمع المعلومات، المفهوم، الخصائص، والتحديات(*)

ملخص:

تهدف هذه الورقة إلى تقديم أهم مميزات مجتمع المعلومات، من خلال تحديد مفهومه، خصائصه، وأهم المؤشرات التى يمكن من خلالها قياس مدى ولوج بلد ما فى مرحلة المجتمع المعلوماتى، بالإضافة إلى تحديد المجالات الواجب تحديثها والاعتناء بها بغرض الانتقال إلى مجتمع معلومات فى ظل العولمة، وتحاول كذلك هذه المداخلة تحديد الفرص المتاحة لأى بلد فى ظل التطورات الحاصلة فى قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وتحديد المخاطر الناجمة عن إرساء مجتمع المعلومات والانعكاسات السلبية المترتبة عن إدماج هذه التكنولوجيات الحديثة فى مختلف القطاعات، وهذا دون إغفال الانعكاسات الإيجابية لاستعمال تكنولوجيا المعلومات فى مختلف المجالات، وأخيرا سنحاول أن نبرز الميادين التى ينبغى للجزائر كبلد نامى الاهتمام بها لإقامة مجتمع معلومات يتماشى مع التحولات الحالية فى ظل العولمة.

(*) ورقة قدمت فى الملتقى الوطنى حول: مستقبل الدولة الوطنية فى ظل العولمة ومجتمع المعلومات ، حالة الجزائر- 05/ 06 ماى 2009م (جامعة ورقلة).

مقدمة:

عرف العالم فى النصف الثانى من القرن العشرين تحولا اجتماعيا غير مسبوق، بفعل الثورة الحاصلة فى مجال تكنولوجيات الإعلام والاتصال، والتى لم تترك مجالا من مجالات الحياة إلا واقتحمته بقوة، وأرغمتنا على التعامل معها كواقع لابد منه، فلا مناص من ضرورة إيجاد السبل اللازمة والطرق الملائمة للتكيف مع هذا الواقع، ومحاولة التموقع الجيد فى خضم التحولات السريعة الإيقاع، التى تسببها فى الأساس العولمة بمختلف أشكالها.

إن هذا التحول الاجتماعى والتطور الذى جاء بعد مرحلة ما يسمى بالمجتمع الصناعى، وقبلها المجتمع الزراعى، اتفق معظم المختصين والكتاب فى هذا الشأن على تسميته بمجتمع المعلومات. وللإشارة فإن هناك عدة مصطلحات وتسميات أخرى تطلق على هذه المرحلة أو على هذا المجتمع، كمجتمع ما بعد الصناعي(post-industrial society)، مجتمع ما بعد الحداثة (postmodern society)، مجتمع المعرفة (knowledge society)، المجتمع الرقمي(digital society)، مجتمع الشبكاتnetwork society... إلى غير ذلك من التسميات، التى تعبر كلها عن تلك المرحلة التى تلت مرحلة المجتمع الصناعى، والتى أصبحت تحتل فيها المعلومة مكانة ذات قيمة عالية، وتمثل المادة الخام لعدة أنشطة وصناعات، والقطاع الأساسى الذى أصبح يجذب غالبية أفراد الطبقة العاملة، ويشكل المصدر الرئيسى للثروة والقيمة المضافة، والدخل الوطنى الخام.

ونظرا للدور المتعاظم للمعلومة فى كافة ميادين الحياة، فإن المجتمع الدولى قد أصبح يولى اهتماما كبيرا ويخصص ميزانيات كبيرة لوضع السياسات والخطط التى تمكن من إرساء مجتمع معلومات، ولذلك نلاحظ مثلا تزايد عدد الندوات والملتقيات المنظمة حول هذا الموضوع، كان أهمها القمة العالمية لمجتمع المعلومات بجنيف سنة 2003م، وتونس 2005م، والملتقى الدولى المنعقد فى 19/ 20 فيفرى 2007م بواغادوغو، بعنوان: "إفريقيا ومجتمع المعلومات".وغيرها من المؤتمرات والملتقيات العديدة.

ويعتبر العامل الأساسى الذى سبب هذا التحول الجذرى فى مجتمعات اليوم، الاكتشافات والاختراعات الكثيرة التى تشهدها تكنولوجيات الاتصال، والتى لا تكاد تتركنا نتأقلم ونتكيف مع تقنية معينة حتى تظهر تقنية أخرى أحسن منها وأحدث بكثير،

محدثة بذلك ثورة معلوماتية يقول عنها كل من 'جون جيروم' و'رونودولابوم' بأنها "ثورة بدون ملامح ومعالم"[1]، ذلك لأنها تجعل من الصعب علينا التكهن والتنبؤ بما ستحدثه في المستقبل من أمور جديدة ومن ظواهر مرتبطة بها.

وقد أصبحت بناء على هذا تكنولوجيات الاتصال والمعلومات من بين أهم مقومات النهوض، وتحقيق الازدهار في شتى الميادين، "وهذا ما يقودنا إلى التسليم بأن القوة المعلوماتية قوة في حد ذاتها، إذ تقاس قوة الدول والمجتمعات بما تملكه من تقانة معلوماتية وتنتجه من معرفة"[2]، وتصنف حسب ما تتحكم فيه من تقنيات ومعارف حديثة.

ولهذا يعد اقتصاد المعرفة (knowledge economy) من التوجهات الحديثة والرئيسة في اقتصاديات الدول المتقدمة، التي أصبحت تعمل جاهدة لتنميته، خاصة مع التخوفات من نفاذ مصادر الطاقة الحالية من بترول وغاز وغيره من الموارد الطبيعية، الشيء الذي يجعل من الضروري إيجاد حلول وبدائل أخرى، والتي يتفق المختصون أنها ترتكز في معظمها على المعلومة والمعرفة بشكل أساسي، وتقنيات الاتصال وأنظمة المعلومات التي تسمح بالاستغلال الأمثل لها، والتوظيف الفعال في مختلف الميادين، لتحقيق القيمة المضافة وتنمية الناتج المحلي الخام.

"ويشير التقرير العالمي لقياس مجتمع المعلومات واستعمال تكنولوجيات الاتصال، الذي أصدره الاتحاد الدولي للاتصالات في 2009م، إلى أن العالم قد توصل مع نهاية سنة 2008م إلى مستويات غير مسبوقة في استعمال وتبني تكنولوجيات الاتصال الحديثة، حيث إن ربع سكان العالم يستعملون شبكة الإنترنت، وحوالي 04 بليون فرد يملكون هاتف نقال، و1.3 بليون خط هاتفي ثابت. لكن يبين التقرير من جهة أخرى أن هناك فجوة رقمية معتبرة بين الدول الفقيرة والغنية، فمعظم الدول التي حققت تقدما هاما في إدماج واستعمال تكنولوجيات الاتصال هي من قارة أوروبا، ولاسيما الشمالية منها، وأشار كذلك إلى وجود علاقة وطيدة بين مستوى الدخل واستعمال تكنولوجيات الاتصال"[3]، حيث أنه كلما زاد الدخل زاد امتلاك التكنولوجيات الحديثة، وبالتالي زادت نسبة استعمالها.

وسعيا منها إلى تقليص هذه الفجوة الرقمية التى تفصلها عن الدول الشمالية المتقدمة، بدأت الدول العربية فى السنوات الأخيرة، بزيادة اهتمامها بتكنولوجيات الاتصال والإعلام الحديثة، "فقد أصبحت تهتم البلدان العربية بإدماج هذه التكنولوجيات فى مختلف الأنشطة واستغلالها بشكل جيد، بهدف تقليص الفجوة الرقمية بين أفرادها، وجعلهم يتماشون مع التطورات الحديثة"[4].

وبناء على هذا، فإنه يتوجب على الجزائر والدول العربية أن تحذو حذو هذه الدول الأخرى، التى تطمح أن تحقق طفرة معتبرة فى مختلف الميادين الاجتماعية، وأن تتكيف مع هذه التغيرات الحاصلة، وتتموقع جيدا فى ظل العولمة وتحولاتها المتسارعة الوتيرة، وأن تحدد إستراتيجية واضحة المعالم لإقامة مجتمع المعلومات.

ولذلك فإننا سنحاول من خلال هذه المداخلة أن نبرز أهم المجالات والميادين التى يجب علينا كبلد نامى أن نعتنى بها ونطورها، للولوج فى مجتمع المعلومات، وأهم الفرص المتاحة لنا لتحقيق ذلك، كما سنبين أهم الانعكاسات المترتبة عن ذلك، والمخاطر المختلفة التى تنجر عن هذا التحول الاجتماعى نحو المجتمع المعلوماتى، وسبل تجنبها أو على الأقل التخفيف من حدتها.

وفى البداية سنحاول أن نحدد مفهوم مجتمع المعلومات، وأهم خصائصه وسماته، ثم المؤشرات التى تحدد مدى دخول بلد معين فيما نسميه مجتمع المعلومات. فما هو إذا مفهوم مجتمع المعلومات؟

مفهوم مجتمع المعلومات (information society) :

كما يشير التسمية، فإن مفهوم مجتمع المعلومات يستخدم للتعبير عن ذلك المجتمع الذى تعتبر فيه المعلومة الشيء الجوهرى والأساسى، الذى تقوم عليه مختلف الأنشطة والميادين، فبعد أن مر الإنسان بمرحلة المجتمع الزراعى، الذى كانت فيه الأراضى والمزارع المصدر الأساسى للثروة والقوة، ثم بمرحلة المجتمع الصناعى الذى يقوم على المعامل والمصانع، التى تتخذ من الموارد الطبيعية من بترول وغاز ومعادن، مادتها الأساسية

الخام لخلق القيمة المضافة، جاء العصر الذى لا نقول بأنه لا يعتمد على الزراعة والصناعة، وإنها تعاظمت فيه أهمية المعرفة والمعلومات المعالجة بشكل كبير، فأصبحت الميادين المتعلقة بصناعة المعلومات تدر أرباحا وتحقق تقدما أكثر من قطاعى الصناعة والزراعة، بل حتى هذين القطاعين قد أصبحا يقومان فى معظم الأحيان على المعارف والمعلومات الناتجة عن البحوث والدراسات المختلفة (مثلا استغلال نتائج دراسات الهندسة الوراثية لتهجين الحبوب، ...)، بالإضافة إلى كون قطاع صناعة المعلومات يشغل أكبر نسبة من اليد العاملة مقارنة بالقطاعات الأخرى. إذن فهو كما يقول <محمد فتحى عبد الهادي>"مفهوم يرى التحول من مجتمع صناعى إلى مجتمع حيث المعلومات-فى أكثر أشكالها اتساعا وتنوعا- هى القوة الدافعة والمسيطرة"[5].

وهو ذلك المجتمع الذى يقوم أساسًا على نشر المعرفة وإنتاجها وتوظيفها بكفاءة فى جميع مجالات النشاط المجتمعى (الاقتصاد والمجتمع المدنى والسياسة والحياة الخاصة)، ويقصد بمجتمع المعلومات أيضا جميع الأنشطة والموارد والتدابير والممارسات المرتبطة بالمعلومات إنتاجاً ونشراً وتنظيماً واستثماراً. ويشمل إنتاج المعلومات أنشطة البحث على اختلاف مناهجها وتنوع مجالاتها، بالإضافة إلى الجهود والتطوير والابتكار على اختلاف مستوياتها كما يشمل أيضاً الجهود الإبداعية، والتأليف الموجه لخدمة الأهداف التعليمية والتثقيفية والتطبيقية . كما عُرف مجتمع المعلومات بأنه "المجتمع الذى يعتمد فى تطوره بصورة أساسية على المعلومات وشبكات الاتصال والحواسيب" أى أنه يعتمد على ما يسميه البعض "بالتقنية الفكرية"، "تلك التى تضم سلعًا وخدمات جديدة مع التزايد المستمر فى القوة العاملة المعلوماتية" (أى تعظيم شأن الفكر والعقل الإنسانى بالحواسيب والاتصال والذكاء الاصطناعى (expert system)[6].

ويعرف كذلك بأنه المجتمع الذى اعتمد أساسا على المعلومات وتقنيات المعلومات والتكنولوجيا الحديثة، وأصبحت المعلومات فيه لازمة لكل فرد وتعاظم دورها فى كافة المجالات الاقتصادية والسياسية والعلمية والاجتماعية. ووجدنا أنفسنا فى هذا المجتمع أمام تغيرات اجتماعية وتكنولوجية كبيرة بسبب ما يسمى "بالثورة المعلوماتية أو الانفجار المعلوماتي" وأصبحت صناعة المعلومات من أهم الصناعات فى اقتصاد الأمم المتقدمة ذلك إن لم تكن أهمها على الإطلاق"[7].

ومن خلال كل هذه التعاريف يبدو جليا أن السمة الأساسية التى تميز هذه المرحلة الجديدة أو هذا المجتمع الحديث، هى تعاظم قيمة المعلومات فى شتى الميادين، واستخدامها "بكثافة كوجه للحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية، (...) وكمورد استثماري، وكسلعة إستراتيجية، وكخدمة، وكمصدر للدخل القومى، وكمجال للقوى العاملة"[8].

يقول فى هذا السياق: (زكى حسن الوردي) و (مجبل لازم المالكي): "لقد أصبحت المعلومات تمثل ثروة وطنية ورافدا أساسيا من روافد التقدم والبناء الحضارى فى مختلف مجالات الحياة، ولقد أدركت الدول المتقدمة أهمية المعلومات على اعتبارها موردا إستراتيجيا لا يقل أهمية عن الموارد الأخرى، ولكونها عنصرا لا غنى عنه فى الحياة اليومية، وفى اتخاذ القرارات ودعم نشاطات البحث العلمى، والركيزة الأساسية لتقدم البحث العلمى والحضارى، ومن يمتلك المعلومات ويستثمرها بشكل أفضل، ومن يمتلك تقنيات ونظم معلومات متطورة هو الأقوى، لأن قدرة الإنسان على استثمار الموارد الأخرى مرهون بقدرته على استثمار هذه الثروة (...) ويذهب البعض عند تقييمه للمقومات الأساسية للإنتاج القومى وهى المادة، الطاقة، المعلومات، إلى أن هذه الأخيرة أصبحت تتبوأ مكان الصدارة من حيث الأهمية"[9].

وقد يتساءل سائل عن سر اكتساب المعلومة والمعرفة لهذه الأهمية البالغة، وعن سر تمكنها من منافسة المواد الخام الأخرى، ونقول بأن السر يكمن فى كون المعلومات تتميز بميزة لا نجدها فى غيرها من المواد، وهى ميزة اللانفاذ واللانضوب، أو بصيغة أخرى "التزايد وعدم النقصان؛ بمعنى أنه عندما يتم أخذ معلومة من مصدر ما فإن الآخذ تزداد مصادره المعلوماتية، بجانب أن المصدر المأخوذ منه لا ينقص بل يزيد لديه نمط من أنماط المعرفة التى تؤثر فيه بشكل واضح وكبير. فالآخذ يربح والمعطى يربح أيضاً. كما أن المعلومة تزداد أهمية بزيادة رواجها أحياناً، وأحياناً أخرى من خلال اقتصار رواجها بين وسط محدد وضيق كالمعلومات العسكرية والسياسية"[10]. كما أن أحسن مثال على كون المعلومة والمعرفة أصبحت لها من الأهمية ما يفوق فى الكثير من الأحيان أهمية الموارد الطبيعية والطاقوية الأخرى، ما حققته العديد من البلدان من تقدم ونمو اقتصادى،

وارتفاع دخلها الوطنى الخام جراء اعتماد اقتصادياتها بشكل أساسى على المعرفة، وعلى القطاعات المتعلقة بصناعة المعلومات وتكنولوجيات الاتصال الحديثة، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر، دول أوروبا الشمالية كالسويد، فنلندا، ودول جنوب شرق آسيا، كماليزيا، سنغافورة وإندونيسيا.

وقد تنامت كذلك الشركات والمؤسسات التى تشتغل فى ميدان صناعة المعلومات وتقنياتها بشكل مذهل، مثل شركة Microsoft، وSony فنجد مثلا شركة Yahoo قد بلغت قيمتها سنة 1999م حوالى 40 مليار دولار، متجاوزة بذلك قيمة بعض الشركات التى أنشأت منذ عقود من الزمن مثل شركة General Motors، بالإضافة إلى موقع e-bay الذى بلغت قيمته 16 مليار دولار، أى أكثر من شركات Nike وNissan. وقد أعدت المجلة الأمريكية fortune فى عددها الثانى من سبتمبر 1999م، تصنيفا لأربعين ملياردير ممن لا يفوق سنهم 40 عاما، فوجدت أنه باستثناء شخصيتين رياضيتين، تتمثل الأغلبية الساحقة منهم فى أشخاص أسسوا شركات تعمل عبر شبكة الإنترنت[11]، بالإضافة إلى هذا تبين أنه فى "سنة 2000م أصبحت خمس مؤسسات من بين العشر الأوائل من حيث القيمة المالية فى البورصة، وهى مؤسسات ذات نشاط متعلق بهندسة وتشغيل شبكة الواب وتسيير مختلف خدماتها"[12]. ويمكن أن نستخلص من كل هذه الأمثلة أن العنصر الأساسى والإستراتيجى فى المجتمعات المعاصرة، هو المعلومة والمعرفة بكل أشكالها، وكل التقنيات المتعلقة إما بتصنيعها أو استغلالها.

خصائص مجتمع المعلومات:

يتميز مجتمع المعلومات بمجموعة من السمات والخصائص التى تحدد طبيعته أهمها:

- زيادة أهمية المعلومات كمورد حيوى إستراتيجى.
- نمو المجتمعات والمنظمات المعتمدة على المعلومات.
- استخدام تقنيات المعلومات والنظم المتطورة.

- تنامي النشر الإلكتروني ومصادر المعلومات الإلكترونية[13]، والتضخم في حجم الإنتاج الفكري[14].

- يتميز مجتمع المعلومات كذلك بتراجع استخدام الورق، من خلال استعمال نقود إلكترونية، جرائد وكتب إلكترونية، إلى غير ذلك من العوامل التي ألغت أو قلصت استعمال مثيلاتها الورقية، وهذا ما جعل العديد من الكتاب يسمون مجتمع المعلومات بالمجتمع اللاورقي (paperless society)، خاصة مع ظهور ما يسمى "بالحكومة الإلكترونية والإدارة الإلكترونية"[15]، والطريق السريع للمعلومات (information superhighway)[16].

- تزايد حجم القوى العاملة والنشطة في قطاع صناعة المعلومات، والتي تتجاوز في بعض الدول المتقدمة 50 ٪، من مجموع القوى العاملة في المجالات الاقتصادية التقليدية وهي الزراعة والصناعة والخدمات[17].

- يتميز كذلك بكون المعرفة والمعلومة من أهم مصادر الثروة والقوة، بالإضافة إلى انفجار ثورة النشر بكل الأشكال واللغات والأوعية، وفي كل الميادين والتخصصات.

-حدوث انفجار اتصالي هائل تصاحبه تطورات لامتناهية في ميدان الإلكترونيات والاتصالات عن بعد[18].

- ظهور مؤسسات الشخص الواحد.

-يتسم بوجود ما يسمى بالتعليم المستمر مدى الحياة، لضمان البقاء في عصر يشهد تغيرات سريعة، تعطي الأولوية للأكثر كفاءة ومهارة وليس للأقدمية.

-تزايد الأنشطة التي تنجز عن بعد كالعمل عن بعد، التجارة عن بعد، التعليم عن بعد والتعليم المفتوح[19]، أو التعليم الافتراضي[20].

- هذا ويتميز كذلك مجتمع المعلومات باستعمال مكثف لشبكات الاتصال وأنظمة المعلومات، في الإدارات والهيئات والمؤسسات.

المؤشرات التى تحدد مدى الولوج فى مجتمع المعلومات

(information society indicators):

هناك مجموعة من المؤشرات والمحددات التى تبين مدى دخول مجتمع ما فيما يطلق عليه مجتمع المعلومات، فعلى سبيل المثال يعتمد الاتحاد الدولى فى تقريره الصادر فى 2009م، والخاص بقياس مجتمع المعلومات على مجموعة من المؤشرات التالية:

-عدد الخطوط الهاتفية، سواء الثابت أو النقال.

-نسبة أو عدد المشتركين فى شبكة الإنترنت.

-البنية التحتية لتكنولوجيا الاتصال.

-نسبة الأشخاص الذين يمتلكون جهاز حاسوب منزلى.

-نسبة الأشخاص الذين لهم اشتراك منزلى للإنترنت.

-مدى تحكم الأفراد فى مهارات استعمال تكنولوجيات الاتصال.

- نسبة مساهمة تكنولوجيات الاتصال فى الاقتصاد والدخل الوطنى.

- أسعار أجهزة تكنولوجيات الإعلام والاتصال.

- عدد المستعملين لشبكة الإنترنت المهنيين والعاديين.

- عدد ممولى خدمة الإنترنت [21] (providers).

- نسبة العمالة فى مجال تكنولوجيا المعلومات.

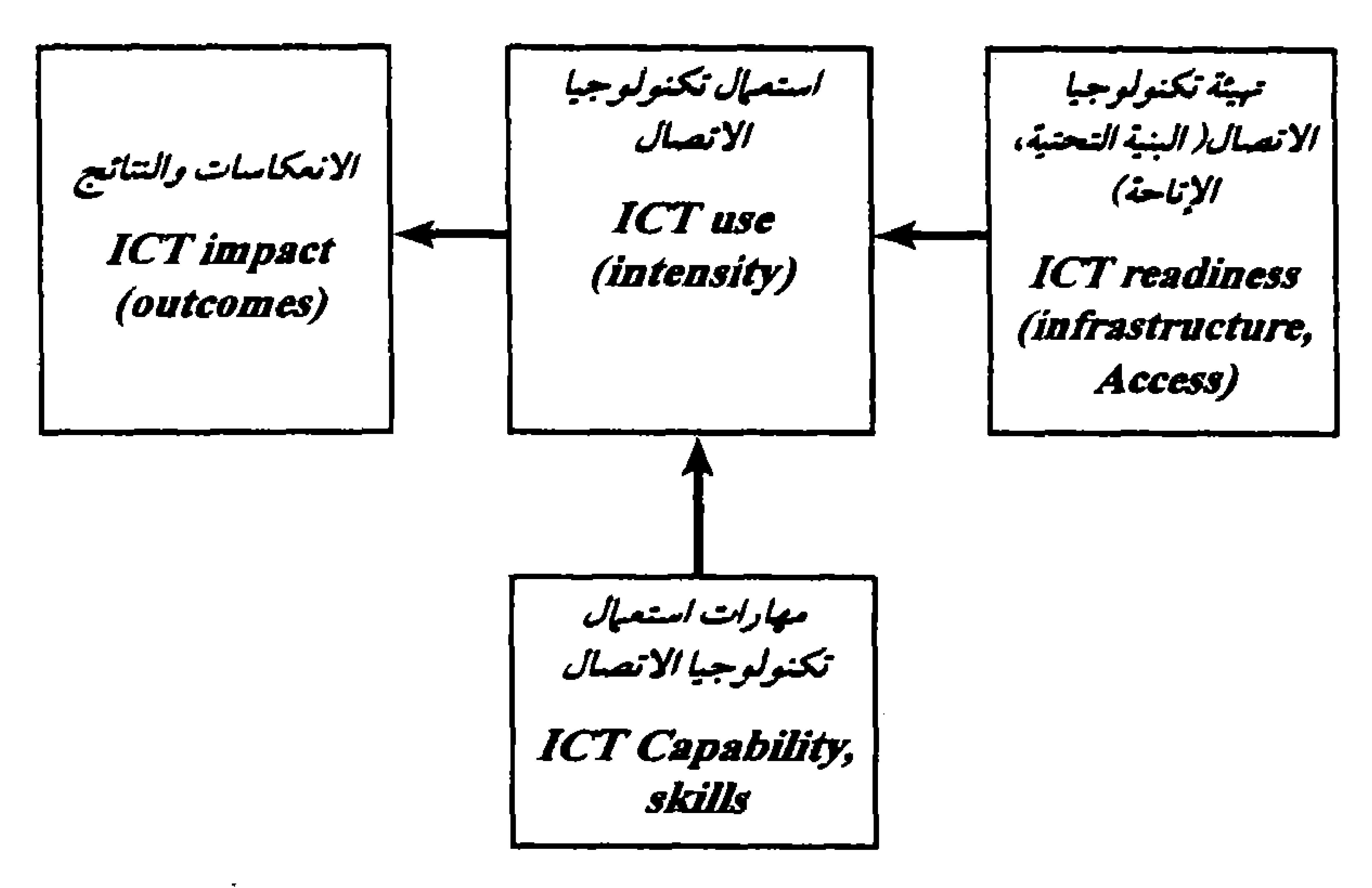
وهناك من يحدد كذلك مؤشرات دخول مجتمع ما إلى مرحلة المجتمع المعلوماتى فيما يلى:

- جاهزية الانتقال والاستفادة من تقنيات الإعلام والاتصال.

- كثافة استخدام هذه التقنيات فى مختلف المجالات.

- أثر استخدام هذه التقنيات، أى النتائج المترتبة.

- المحصلة أو النتيجة الختامية المتعلقة إما بالإنتاج أو الأثر الاجتماعى العام[22].



الشكل: يمثل ثلاث مراحل للولوج فى مجتمع المعلومات(المصدر الاتحاد الدولى للاتصالات)[23]

- المجالات الواجب تحديثها والاعتناء بها بغرض الانتقال إلى مجتمع المعلومات:

"إن بناء مجتمع المعلومات هو الهدف الإستراتيجى لبلدان كثيرة، لكن بناء هذا المجتمع لا يمثل عملية قائمة بذاتها وإنما يرتبط بالسياسات الاجتماعية الأخرى والتغير الاجتماعى خاصة عندما يكون سريعا بشكل تحديات جديدة دائمة لمتخذى القرار. وهناك حاجة إلى معرفة الوضع الراهن والمعارف الأساسية عنه وكذلك إلى حقائق ذات صلة موثوق بها عن الاتجاهات الإنمائية فى المجتمع، والقدرة على التجديد المستمر ومواكبة احتياجات أفراد المجتمع المتغيرة"[24].

ولذلك فإن الجزائر كغيرها من الدول الراغبة فى إرساء قواعد مجتمع معلومات، لابد وأن تحدد قبل كل شيء، موقع الجزائر ومكانتها فى مجال استعمال التقنيات الاتصالية الحديثة، من خلال الإحصائيات الدقيقة والميدانية بعيدا عن الخطابات السياسية. وبالإضافة إلى أن إقامة مجتمع المعلومات يتطلب منح المزيد من العناية ببعض القطاعات الحساسة، وضرورة تحديثها بشكل يتماشى مع المستجدات، وهى تتمثل فيما يلى:

- أول ما ينبغى أن يؤخذ بعين الاعتبار قبل أى شيء، هو مراعاة الخصوصية الإقليمية للجزائر، فليست أى خطة أو إستراتيجية تم تطبيقها واتباعها فى بلدان أخرى يمكن أن تطبق فى الجزائر.

- تهيئة وسط ملائم ومقبول لنشر استعمال واستغلال الوسائل التكنولوجية الحديثة للإعلام والاتصال فى الاقتصاد الوطنى وداخل المجتمع.

- إقامة بنية تحتية ملائمة للاتصالات والشبكات.

- العمل على إتاحة مصادر المعلومات التقنية والعلمية، من خلال تحديث شبكات المعلومات بين الجامعات ومراكز البحث، والمدارس والمؤسسات الثقافية.

- إكمال الترتيبات التشريعية القانونية، من خلال تشريع قوانين خاصة بحماية الملكية الفكرية، خاصة ما تعلق منها بالموارد الإلكترونية.

- الاهتمام بقطاع التربية والتعليم، لأنه كما يقول: (بشار عباس) "البوابة الحقيقية لمجتمع المعلومات"[25]، من خلال تحديث مناهجه ووسائله، وخصوصا إعادة تأهيل المدرسين بشكل يجعلهم يسايرون التطورات الحاصلة فى تكنولوجيات الاتصال، ويتيح لهم إمكانية وسهولة إدراجها فى العملية التعليمية والتربوية. حيث إن "الانتقال إلى مجتمع المعرفة يفرض على الأمم أن تواجه بنجاح تحديا يتمثل فى تحسين نوعية التعليم على نحو ملموس، فالمساهمة الحاسمة للتربية فى تحقيق أهداف التنمية تغدو أكثر جلاءً فى عالم عززت فيه ثورة تكنولوجيات المعلومات والاتصال ترابط الأمم وتشابك المصالح، ولم يعد أى واحد من مجالات النشاط الإنسانى بمنأى عن السيل العرم للتكنولوجيا، سواء تعلق

الأمر بالخدمات الصناعية والمالية، أو بالسياسة أو العلم أو الصحة أو الثقافة، فقد تعولمت المبادلات التجارية واشتد التنافس فيها، مما يجبر (...) الشعوب على التكيف وتحسين قدراتها على نحو مستمر لكي يتأتى لها البقاء داخل حلبة السباق، (...) فالمجتمعات وهي تبتعد تدريجيا عن النمط التقليدي للاقتصاد الصناعي، أصبحت تكتشف أن الامتياز والنجاح يصاحبان أولئك الذين يستطيعون ابتكار معارف جديدة، وتطبيقها بسرعة على أنواع كثيرة من النشاطات، بفضل استغلال المعلومات والاتصالات السلكية واللاسلكية. وتعزز العولمة التي تحركها بالأساس تكنولوجيا الإعلام والاتصال قيمة المعرفة باعتبارها حاملة للثروة. وتهتم الحكومات حاليا- وبعد أن وعت أهمية المعرفة بالنسبة للتقدم الاقتصادي- بتكوين عمالة متخصصة بدرجة عالية، (...) إن التكنولوجيا تدفع إلى ابتكار تنظيم للعمل يكون أكثر مرونة، وتستوجب استمرارا وثباتا في تكوين العاملين في مختلف القطاعات ليتأتى لهم مسايرة الإيقاع السريع للتغيير. وإن السرعة التي تطبع تغير ميدان الأعمال، بالإضافة إلى التجديدات التكنولوجية تجعل من الصعب التنبؤ بالكفاءات والمهارات الضرورية مستقبلا. هذا ولا تطال العولمة ميدان الاقتصاد فقط، بل إنها تعني أيضا تدويل المبادلات بين البشر وتناقل الأفكار كما يتجلى ذلك في قيام مجتمع مدني عالمي، إذاك قد تفتح العولمة آفاقا جديدة في مجال التعليم والتعلم"[26].

-حث الشركات المصنعة لتكنولوجيا الإعلام والاتصال على التعاون مع مؤسسات التعليم وتزويدها بالتجهيزات بأسعار منخفضة.

- الاعتناء بالتعليم المستمر، والتعليم الجامعي المفتوح، خاصة بالنسبة للعمال والإطارات، وتكثيف عملية رسكلة وإعادة تأهيل وتكوين العمال في قطاع الاتصالات السلكية واللاسلكية، وتعميم التكوين في مجال تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وعدم حصره في شريحة معينة (المهندسين..).

- تعزيز العلاقة بين قطاع التعليم والقطاع الاقتصادي خاصة فيما يخص التكوينات والتربصات في تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

- "تشجيع خدمات المعلومات ذات القيمة المضافة، وتحديث شبكات المعلومات الخاصة بالمؤسسات الصغيرة والمتوسطة، تطوير نظام إحصاء وطنى، وكذا الاستفادة من فرص التعاون الدولى فى مجال المجتمع المعلوماتي"[27].

- تدعيم الدولة لأسعار الأجهزة والتكنولوجيات الحديثة، كالحواسيب وقيمة الاشتراك فى شبكة الإنترنت.

- "الاهتمام بمشاريع الشراكة والتعاون فى قطاع تكنولوجيات الاتصال وبنياتها التحتية بين مختلف البلدان"[28].

- وضع سياسة وطنية فاعلة لإعداد تقارير وإحصائيات فى مختلف المجالات، خاصة تلك المتعلقة بقطاع الاتصالات.

- محاربة الجرائم الإلكترونية ومحاولات الاختراق وقرصنة الأعمال الفكرية، فالعامل الأساسى الذى أعاق إرساء مجتمع معلومات فى الجزائر وفى الدول العربية الأخرى، هو كثرة الجرائم والقرصنة فى الأنظمة الإعلامية التى تم تطبيقها إلى حد الآن فى بعض المجالات، مثل البنوك، الحسابات البريدية، التأمين، بطاقات العلاج، بالإضافة إلى محاولات الاختراق التى تتعرض لها أنظمة المعلومات، وقواعد البيانات التابعة للإدارات والمؤسسات، "ولهذا يتعين إيجاد توازن بين حماية الحقوق المعنوية والاقتصادية من جهة، واستمرار نفاذ العموم إلى الأعمال الأدبية والعلمية والفنية، وإلى الخدمات الثقافية أيضا"[29].

- الاهتمام بمحاربة الأمية المعلوماتية (information illiteracy)، فهى من بين المعوقات الأساسية لإرساء مجتمع معلومات، والعمل على نشر ثقافة معلومات بين الأفراد، من خلال تكوين وتحسيس المجتمع فى مجال استخدامات التقنيات المستحدثة، وضرورة المحافظة عليها.

- "تشجيع الاستثمارات الخاصة، وإتاحة الوصول الحر لكل الأفراد للشبكات، وتشجيع تنويع المحتويات"[30].

- التطوير والحث على تحديث تجهيزات الإعلام الآلي في المؤسسات.

-تدعيم التجهيز المنزلي بالتكنولوجيات الحديثة، من خلال تخفيض الرسوم على أجهزة الإعلام الآلي، وحث المتعاملين على توفير خدمات متعددة للاشتراك، وتطويره بالقروض الاستهلاكية في قطاع تكنولوجيا الإعلام والاتصال.

- حث الإدارة على تصميم مواقع للمعلومات المؤسساتية والمعلومات الخاصة بالإدارات العمومية، مما يسمح بتقريب المواطن من مؤسسات الدولة (الحكومة الإلكترونية e-government).

- تعزيز المحتوى المحلي والعربي على الشبكات الإلكترونية.

-تشجيع إنشاء مؤسسات محلية في مجال التكنولوجيات الحديثة والمتقدمة.

- تثمين وتشجيع التعاون البيني وعروض الخدمات مع الشركات الأجنبية.

-توسيع التغطية بشبكة الإنترنت وزيادة المتعاملين العموميين والخواص.

- استعمال تكنولوجيا الإعلام والاتصال في مراكز التوثيق والمكتبات الجامعية بهدف تحسين تسيير مصادر المعلومات، وتسهيل إتاحة المصادر الإلكترونية.

- العمل على إقامة شبكات علمية للتواصل بين الباحثين، وشبكات معلوماتية تربط بين المكتبات ومراكز البحث والجامعات، على غرار ما يحدث في الدول المتقدمة.

-تكييف المحيط الاقتصادي مع التجارة الإلكترونية، وتحديث نظام مالي بين البنوك، وإنشاء أنظمة معلوماتية أمنية لمحاربة الجرائم في هذا المجال.

- وأخيرا ضمان المتابعة المنتظمة والتقييم الدوري للمراحل المنجزة المتعلقة بإرساء قواعد مجتمع المعلومات، ومتابعة تحديث قطاع الاتصالات السلكية واللاسلكية؛ لأن التجهيز وإقامة البنى التحتية دون المتابعة والتحديث لا يجدي نفعا كثيرا، خاصة في هذا العصر الذي يشهد تغيرات واكتشافات سريعة الوتيرة.

الفرص المتاحة للجزائر فى ظل مجتمع المعلومات:

من الأكيد أن مجتمع المعلومات لا يتمثل فقط فى وجود وسائل وتقنيات اتصالية حديثة، كما أن إرساء مجتمع معلومات لا يقوم فقط على اقتناء هذه التقنيات والوسائل الحديثة، فينبغى التفكير فى عدة أمور أخرى مصاحبة للوسائل والتجهيزات، مثل المحتوى الرقمى والذى يشمل المضامين والمعارف والمعلومات التى سيتم تداولها عبر هذه الشبكات، وخلقها وتوظيفها فى مختلف المجالات.

وعليه، إذا ما تم وضع سياسة ناجعة وإستراتيجية فعالة، تساهم بالمضى قدما بمجتمع المعلومات فى الجزائر، فإنه يمكن القول أن العديد من الفرص ستتاح للجزائر لتحقيق عدة تطورات وتحديث مختلف القطاعات، من خلال إدماج تكنولوجيات الاتصال الحديثة فى مختلف الأنشطة والمهام. ومن بين هذه الفرص والإيجابيات التى يمكن للجزائر أن تستفيد منها فى ظل مجتمع المعلومات نذكر:

- "إتاحة النفاذ الشامل للمعرفة"[31]، بكل أشكالها وأوعيتها، وفى كل التخصصات العلمية، وبالتالى الإتاحة السهلة والسريعة لمصادر المعلومات والمعرفة.
- تطوير الاقتصاد القائم على المعرفة[32]، والذى يمكن من التحرر من الارتباط بالمواد الأولية الأخرى، ويساهم فى تحقيق تنمية وطنية مستدامة، بل ويساهم حتى فى تنمية وتطوير القطاعات الأخرى، كالقطاع الزراعى، والاقتصادى، وقطاع الخدمات.
- "تسهيل العمليات التجارية واختزال التكاليف"[33]، وتسهيل عمليات التسويق والترويج عبر شبكة الإنترنت، التى أصبحت تستقطب نسبة لا بأس بها من الإشهارات.
- اختزال التكاليف والوقت فى عدة أعمال وأنشطة، خاصة فى تلك التى يمكن القيام بها عن بعد، كمختلف أشكال العمل عن بعد (tele-travail)، التعليم الافتراضى (virtual learning)، التجارة الإلكترونية (e-commerce)، إلى غير ذلك.

- تحسين مستوى العمال والإطارات من خلال تفعيل سياسات تشجع التعليم المفتوح (open learning)، والتعليم المستمر مدى الحياة.

- تنمية قطاع التعليم والبحث العلمى، من خلال تزويد مختلف المؤسسات والمراكز والجامعات، بأحدث التقنيات فى مجال تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وتسهيل عملية التواصل بين الباحثين، سواء الموجودين منهم بالداخل أو الخارج، وتيسير الحصول على آخر ما توصلت إليه البحوث والدراسات فى مختلف المجالات.

- ومن بين الانعكاسات التى يمكن اعتبارها إيجابية كذلك، توفير المزيد من مناصب الشغل خاصة تلك التى ترتبط بالتقنيات الحديثة.

- يتيح مجتمع المعلومات المزيد من الحرية فى التعبير، والكتابة والنشر، خاصة مع ما تتيحه على سبيل المثال شبكة الإنترنت من خلال تطبيقاتها المتعددة، كمنتديات المحادثة الإلكترونية، المدونات الإلكترونية (blog) أو ما يسمى بصحافة المواطن(citizen journalism)، والتى تمكن أى فرد من صناعة محتوى إعلامى وبثه عبر التقنيات الاتصالية الحديثة.

وعموما، فإن هذه بعض من الإيجابيات والفرص التى يوفرها الدخول فى مجتمع المعلومات والمعرفة، والتى من دون شك لها ما يقابلها من انعكاسات سلبية، ومخاطر ناجمة عن تطبيقات مختلف التقنيات الحديثة، وهى التخوفات التى أدت إلى ارتفاع الكثير من الأصوات المنادية بالكف عن إدماج هذه التقنيات والتكنولوجيات الحديثة فى المجتمع، والتى أعاقت فى جانب منها عملية الولوج فى مجتمع المعلومات، وسنحاول إيجاز هذه المخاطر والانعكاسات السلبية فى العنصر التالى.

المخاطر الناجمة عن إرساء مجتمع المعلومات والانعكاسات السلبية المترتبة:

إن توظيف تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى مختلف المجالات، ستكون له تبعات وآثار عديدة، قد نتعرف على بعضها فى المدى القريب، وقد يظهر بعضها الآخر على المدى البعيد، فمنها ما هو إيجابى ومنها ما هو سلبى.

وكما يقول "معن النقر" فإن لعصر المعلومات آثاره وتأثيراته الاجتماعية والنفسية والأخلاقية والقانونية...إلخ"[34]، فلا يمكن لأحد أن يدعى بأن الدخول فى مجتمع المعلومات، سيكون دون آثار سلبية وغير مرغوبة، وأول هذه الآثار تلك التى تتعلق بالميدان الاجتماعى، فيعتبر الكثير من علماء الاجتماع أن المجتمع المعلوماتى يعمل على "إزالة الروابط الاجتماعية"[35]، وتفكيك النسيج الاجتماعى بين أفراد المجتمع الواحد، بسبب تزايد نسبة الاتصالات عن بعد وتقليص نسبة الاحتكاك المباشر وجها لوجه، ويعمل كذلك على زيادة النزعة "الفردانية"[36] بين الأفراد، وانعزال الأشخاص عن محيطهم الاجتماعى القريب، ولذلك يسمى العديد من الكتاب هذا النوع من المجتمعات بالمجتمع المتفرد، أو كما يسميه "معن خليل" المجتمع الجماهيرى المتفرد"[37].

وإذا أخذنا أمريكا كمثال على المجتمع المعلوماتى المتقدم، فنجد أن الدراسات تثبت وجود شرخ اجتماعى كبير بين الأفراد، فقد بينت إحدى الدراسات التى "أجرتها فرقة بحث بقيادة (robert Kant) و(pittsburg) بأمريكا، حول 256 شخص لمدة سنتين، والتى بينت أن استعمال الإنترنت قلص من دائرة العلاقات الاجتماعية القريبة والبعيدة، وزاد من وحدتهم وإحساسهم بالإحباط"[38].

- ويرى العديد من الكتاب أن مجتمع المعلومات ما هو إلا امتداد للعولمة وللقيم الإمبريالية، فحسبهم يعتبر "عاملى انفجار تكنولوجيات الاتصال الحديثة، وعولمة الاقتصاد من بين المحركات الأساسية للاقتصاد العالمى الحديث"[39]، كما يرى البعض الآخر أنها "العامل الذى يسهل ويسرع حدوث العولمة"[40]، فإذا كانت العولمة تهدف لإزالة الحدود بين الدول وحرية انتقال السلع والأشخاص وفتح الأسواق العالمية، فإن تكنولوجيات الاتصال من أهم الوسائل التى تتيح تحقيق كل ذلك، "لأنها تجعل كل الاتصالات والتعاملات المختلفة، والعمليات التجارية والمهنية تحدث فى الوقت الحقيقى، ويغض النظر عن الحدود الجغرافية، فهى تجعل العالم صغيرا ومندمجا مع بعضه البعض"[41]، بالإضافة إلى مساهمتها فى التدفق السريع للمعلومات، والذى لا يعتبر عاملا سلبيا لولا أنه من جانب واحد، أى تدفقا أفقيا من الغرب إلى الدول الأخرى، وهو ما يعرضنا لمخاطر

الغزو الثقافى والاختراق الفكرى، وهذا ما يجعلنا نلح على ضرورة وضع سياسة مستعجلة، لتعزيز المحتوى العربى والمحلى على شبكة الإنترنت والوسائل الإعلامية الأخرى، وإعادة إحياء ثقافاتنا وتراثنا، لكى نتمكن من التحصن من السيل الجارف للعولمة.

وقد حذر تقرير صدر عن منظمة اليونسكو فى 21 فبراير 2006م بباريس، من خطر اندثار ما يقارب 6000 لغة عبر العالم، وذلك بسبب عولمة الثقافة وطغيان البعد التقنى فى مجتمع المعلومات، وكذلك بسبب التحول الجذرى الذى يحدث من المجتمع الصناعى إلى المجتمع القائم على المعلومات، خصوصا وأن المجتمعات الصغيرة فى البلدان النامية لا تملك القدرة على حماية خصوصيتها الثقافية ومصالحها الاقتصادية،" (انظر الدراسة التى قام بها خالد زعموم، بعنوان: مجتمع المعلومات، الواقع والتحديات،الأستاذ بجامعة عجمان).

- هناك كذلك تخوفات متعلقة بالجانب القانونى، حيث تطرح فى ظل التطورات الحديثة للتقنيات الاتصالية عدة إشكاليات، خاصة تلك المرتبطة بمجال حقوق الملكية الفكرية والحقوق المجاورة، والتى تجعل من الصعب تطبيق الآليات التى تسمح بالحماية من القرصنة، وسرقة الأعمال الفكرية والعلمية والأدبية.

- هناك تخوفات كذلك من "محاولات انتهاك خصوصيات الأفراد، خاصة فى عصر الشبكات والتى تحتوى على كثير من المعلومات الشخصية للأفراد"[42].أو ما يسمى "بخطر الجنوح المعلوماتى" [43] "la délinquance informationnelle".

- "ويتوقع الخبراء أن تتحول الفيروسات إلى نوع من الإرهاب الإلكتروني"[44] نظرا لخطورتها الكبيرة وللخسائر المادية الفادحة الناتجة عنها.

- وهناك من يحذر "من أن يقوم مجتمع المعلومات بفعل التوظيف المكثف للتكنولوجيات الحديثة بتهميش الأشخاص غير المستفيدين من التكوين أو قليلو الكفاءات"[45]، وإمكانية اختفاء عدد معتبر من المهن والوظائف التقليدية.

- هناك تخوفات كذلك من إمكانية استعمال الجماعات الإرهابية للتكنولوجيات الاتصالية لتنفيذ أعمالها الإرهابية[46]، فقد أثبتت بعض الإحصائيات والدراسات،

ازدياد استغلال المنظمات الإرهابية للتكنولوجيات الحديثة، ولاسيما شبكة الإنترنت، وذلك إما للاتصال أو بث بياناتها أو الترويج لمعتقداتها وأفكارها.

وفى الأخير يمكن أن نقول أن التحديث والتجديد لابد وأن يكون، على الرغم من هذه الانعكاسات والمآخذ التى تحسب على عملية الدخول فى مجتمع المعلومات، لأن تطور أى مجتمع يتطلب إحداث تغيير، "فالتغيير من شروط الازدهار بل والبقاء، فينبغى أن نعترف بالحاجة الملحة للتغيير كمرحلة أولى، وأن نعرف طبيعة التغيير المطلوب القيام به كمرحلة ثانية، ثم ننتقل فى الأخير إلى تفعيل هذا التغيير"[47].

وعليه فإن مسايرة الركب العالمى يتطلب إجراء التعديلات التى تلائم خصوصية مجتمعنا وإمكانياتنا، فلا مجال اليوم للتهرب من الواقع الذى فرض نفسه ليس فقط علينا، بل على العالم أجمع، ولا مناص من الاندماج فى المسار الذى تتبعه معظم دول العالم، والتأقلم مع تحدياته ومتطلباته؛ لأن "عصر الانعزال قد انقضى، ومن لم يتقن علوم العصر الجديد سيحكم على نفسه بالانقراض بالمعنى التاريخى للكلمة"[48]، ولهذا فإن الدخول فى المجتمع المعلوماتى شيء لا مفر منه، مما يحتم علينا ضرورة التفكير فى كيفية الاستفادة منه فى مختلف الميادين والاستفادة من إيجابياته قبل أن تطغى علينا سلبياته وتفرض نفسها علينا، شريطة أن يتم وضع إستراتيجية محددة تعطى الأهمية ليس فقط للجانب والبعد التقنى، بل للبعد الثقافى والاجتماعى والقيمى على الخصوص، لأن إقامة مجتمع المعرفة أبعد بكثير من مجرد التجهيز بأحدث التقنيات والتكنولوجيات، وهو عبارة عن جهود متعددة من مختلف الأطراف والفئات الاجتماعية، والتى يجب أن تتكامل وتتناسق بشكل جيد.

بالإضافة إلى ضرورة إنتاج المحتوى والمضمون المعرفى والعلمى والثقافى، الذى سيتم تداوله وتناقله عبر قنوات وشبكات هذا المجتمع المعلوماتى، لأن الاعتماد على المضامين والمعلومات التى تأتى غالبا من العالم الغربى، تجعلنا عرضة لمخاطر التغريب والغزو الثقافى، وهو ما يتعارض مع طموحات إقامة الدولة الوطنية التى تقوم أساسا على وجود وحدة ثقافية بين أفراد المجتمع، كما يعرضنا هذا كذلك إلى التبعية التامة لمنتجى المحتوى والمزودين بالمضمون(الرقمي)، وهو ما يساهم كذلك فى تراجع الإبداع والتطوير الذاتى

فى مختلف المجالات، ويجعلنا مستهلكين بشكل دائم ومستوردين لما ينتجه الآخر، حتى وإن كان متعلقا بمجتمعاتنا، فقد أصبحنا فى الكثير من الأحيان نلجأ إلى مصادر معلومات وإحصائيات وتقارير قامت بها هيئات أجنبية حول شؤون وقضايا خاصة بنا، ولهذا فإنه من الأهمية بمكان الاعتناء بإنتاج المضامين المختلفة، من معارف ومعلومات بنفس القدر الذى نعتنى به بالتجهيزات التقنية والبنيات التحتية.

ومن خلال كل ما سبق يمكن القول أنه من الضرورى على الجزائر كبلد سائر فى طريق النمو، أن تعمل جاهدة على إيجاد السبل الكفيلة بتحديث المجتمع، من خلال دمج تكنولوجيات الاتصال الحديثة فى مختلف القطاعات، ورفع الاهتمام بالمعرفة والتعليم، وبقطاع صناعة المعلومات، فى عصر العولمة والتغيرات المصاحبة لها، وفى عصر أصبحت فيه المعلومات الجوهر الأساسى والعملة القيمة ليس فقط فى المجال الاقتصادى، بل حتى فى المجالات الأخرى بما فيها السياسية والعسكرية، ولنا فى تصريح الوزير الإسرائيلى الأسبق "شيمون بيريز "ما نستخلصه من دلالات ومعانى فيما يخص الأهمية الإستراتيجية التى تكتسبها المعلومات فى وقتنا الحالى، والذى قال بأن "المعلومات أقوى من المدفع"[٤٦].

وفى الختام نستخلص أن تحديات إرساء مجتمع معلومات فى ظل السيل الجارف للعولمة، أكبر بكثير مما قد يتصوره البعض، كما أن انعكاساته وتأثيراته على الحياة الاجتماعية تتعدد وتختلف فى حدتها من مجال لآخر، وهو ما يجعل من الصعب التكهن بما يخفيه المستقبل من أشياء جديدة، وما يمكن أن يفرضه علينا من رهانات جديدة، وتغيرات حديثة خاصة فى الجانب الثقافى والاجتماعى.

الهوامش والمراجع:

(1)J-J. Bertolus, Renaud de la Baume (1997) la révolution sans visage. Paris : Belfond.

(2) حنان الصادق بيزان(2005م)." عصر المعلوماتية : ماذا يخفي بين طياته ؟" مجلة المعلوماتية، عدد 06، (، 1426 هـ).

(3)International Telecommunication Union (2009).measuring the information society, ICT development index, Geneva, p.71.

(4)Yves G-Q. (2002).La révolution de l'information arabe aura-t-elle lieu ? Politique étrangére,1/2002, pp.136-148.

(5) محمد فتحي عبد الهادي(2000م).المعلومات وتكنولوجيا المعلومات على أعتاب قرن جديد، القاهرة: مكتبة الدار العربية للكتاب، ص 18.

(6) محمد محمود مكاوي(2005م). "البيئة الرقمية بين سلبيات الواقع وآمال المستقبل" مجلة المعلوماتية، عدد 09،(1462هـ)، ص ص 01-02.

(7) http://www.alyaseer.net/vb/showthread.php ?t=488212 octobre 2009.

(8) عصام أحمد فريحات(2005م). "إعداد القوى العاملة لمجتمع المعلومات"، مجلة المعلوماتية،عدد 09،(1426 هـ).

(9) زكي حسين الوردي، مجبل لازم المالكي(2002م). المعلومات والمجتمع، عمان: الوراق للنشر، ص23.

(10) أحمد حسين بكر المصري(2005م). "المعلومات متعددة الجوانب والتأثيرات" مجلة المعلوماتية، عدد 06، (1426هـ).

(11) Hélène Constanty(2000). Internet, les nouveaux maîtres de la planète, paris : seuil,, pp.10-14.



(12) Jean-Marie Chevalier et al.(2002). Internet et nos fondamentaux, paris : presse universitaire de, p.86

(13) زكي حسين الوردي، مجبل لازم المالكي: مرجع سابق.

(14) عيسى عيسى العسافين(2001م). المعلومات وصناعة النشر، مع إشارة خاصة للواقع السوري، دمشق: دار الفكر، ص 44.

(15) انظر:

-Nicolas c, P-Alain (M) : la société de l'information, paris : la documentation française, 2004, p.55.

(16) انظر :

- محمد لعقاب(1999م). الإنترنت وعصر ثورة المعلومات، الجزائر: دار هومة، ، ص 54.

-الصادق رابح(2004م). الإعلام والتكنولوجيات الحديثة، العين: دار الكتاب الجامعي، ص 153.

(17) عصام أحمد فريحات: مرجع سابق.

(18) انظر: Philippe, b. et serge, p.(2000). l'explosion de la communication, Alger : ed.Casbah, , pp.283-292.

(19) انظر: تيسير الكيلاني(2001م). نظام التعليم المفتوح والتعليم عن بعد، لبنان:مكتبة لبنان ناشرون.

-أحمد إسماعيل حجي(2003م).التعليم الجامعي المفتوح عن بعد، القاهرة: عالم الكتب.

(20)مجدى صلاح طه المهدي(2007م). التعليم الافتراضي، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

(21) International Telecommunication Union :op.cit, pp.10-69.

(22) انظر :هند علوى. مؤشرات قياس مجتمع المعلومات : رؤية المكتبيين بجامعة منتورى بقسنطينة بالجزائر .- cybrarians journal .- ع 10 (سبتمبر 2006)، 07/ 04/ 2009م.

(23) International Telecommunication Union :op.cit. p14.

(24) هند علوى: مرجع سابق.

(25) عباس، بشار(2001). ثورة المعرفة والتكنولوجيا، التعليم بوابة مجتمع المعلومات، دمشق: دار الفكر.

(26) سيتيا غتمن(2003م). تحديات التربية فى مجتمع المعلومات، باريس:منشورات اليونسكو، ص ص12-22.

(27) Moussa ben hamadi : l'algerie et la société de l'information http://www.webreview.dz/IMG/pdf/_information-3.pdf, pp.01-09., 07/04/2009.

(28) انظر : لجنة الأمم المتحدة الاجتماعية والاقتصادية لغربى آسيا: خطة العمل الإقليمية لبناء مجتمع المعلومات2004م.

(29) اليونسكو(2003م). التنوع الثقافى واللغوى فى مجتمع المعلومات، تر.علال الإدريسى، باريس: منشورات اليونسكو، ص 09.

(30)-Moussa ben hamadi :l'Algérie et la société de l'information, p.02, (07/04/2009) http://www.webreview.dz/IMG/pdf/_information-3.pdf

(31) اليونسكو(2005م).من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، باريس:مطبوعات اليونسكو، ص 180.

(32) انظر: عبد الخالق فاروق(2005م). اقتصاد المعرفة فى العالم العربى، أبو ظبى: مكتب نائب رئيس مجلس الوزراء لشؤون الإعلام.

(33) Emmanuel C.L., Margaret N. (2003).The information age, Malaysia :UNDP-APDIP, p.12.

(34) معن النقري(2001م). المعلوماتية والمجتمع، مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ص 62.

(35) Dominique W. (1999).Internet et après ?une théorie critique des nouveaux medias, France : Flammarion, p.107.

(36) عزى عبد الرحمان وآخرون(1994م). فضاء الإعلام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، ص 235.

(37) معن خليل العمر(2005). التفكك الاجتماعي، عمان: دار الشروق، ص 46.

(38) Breton, P.(2000).le culte de l'Internet,une menace pour le lien social ?paris :la découverte. pp.122-123.

(39) CRDI :Introduction L'entrée du continent dans la société de l'information, http://www.idrc.ca/fr/ev-1-201-1-DO_TOPIC.html, 007/04/2009.

(40) Quéau, P.: " La régulation de la société de l'information en vue de " l'intérêt général mondial "

http://economie.fgov.be/information_society/presidency/SU_Queau.doc

(41) Emmanuel C.L., Margaret N :op.cit, p.26.

(42) أسامة الخولي(2005م). "تكنولوجيا المعلومات، ما بين التهوين والتهويل"، العرب وثورة المعلومات،بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ص 19.

انظر كذلك: فريدة. كيت(1999م). الخصوصية في عصر المعلومات،تر.محمد محمود شهاب، القاهرة:مركز الأهرام، ص.14

(43) Dominique W. :Internet et après ? Op . p.114.

(44) شريف درويش اللبان(2000). تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، ص123.

(45) كمال بونعجة:"مجتمع المعلومات"، الجزائر: مركز البحث في الإعلام العلمي والتقني، http: / /www.webreview.dz /IMG /pdf /_information-2.pdf

(46) انظر الدراسات التالية:

Guisenel, J.(1995).guerres dans le cyberspace, services secrets et Internet, paris :la découverte.

-Mathieu G.(2007)" cyber terrorism: hype or reality? "Computer fraud& security, ,p.09-12

- Mathieson S.A(2005)"terrorists exploit internet" computer fraud &security ,2065,pp.1-2

- Gordon(S), Ford(2002) "cyber terrorism?" computer& security. 07,vol 21, pp.636-647.

- Goodman (E.S), Kirk (J.C), Kirk (M.H). (2007), "cyberspace as a medium for terrorists" technological forecasting and social change, n.74 pp.193-210.

- Furnell (S.M), Warren(M.J) (1999), "computer hacking and cyber terrorism: the real threats in the new millennium?" computer &security ,n.18,pp.28-3

(47)David S.Alberts(2002). Information age transformation: getting to a 21st century military. Washington: CCRP, p.25.

(48) حنان الصادق بيزان(2005م). "عصر المعلوماتية : ماذا يخفى بين طياته ؟" مجلة المعلوماتية، عدد 06، (1426 هـ).

(49) نبيل علي(2001م). الثقافة العربية وعصر المعلومات، رؤية الخطاب الثقافي العربي، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، ص 49.



"دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى ترقية التعليم والبحث العلمي"

ملخص:

يحاول الباحث من خلال هذه المداخلة أن يبرز دور تكنولوجيات الاتصال الحديثة فى التعليم والتدريس، سواء فى المدارس أو الجامعات والمعاهد، ويبين التطبيقات المختلفة التى تتيحها الوسائل التكنولوجية الحديثة للمتعلم والمعلم على السواء، وسيركز الباحث على شبكة الإنترنت ، باعتبار أنها الوسيلة الأبرز التى كان لها دور فى تحسين أداء المعلم والأستاذ، وفى توفير المعلومات والمصادر الإلكترونية المتعددة فى كل المجالات والعلوم، عبر عدة خدمات وتطبيقات كقواعد البيانات، الدوريات والمجلات الإلكترونية المتخصصة، مواقع مراكز البحث والجامعات، المدونات التعليمية، محركات البحث المتخصصة، مواقع الأرشيف المفتوح، إلى غير ذلك من الخدمات التعليمية التى توفرها الشبكة، خاصة الجيل الثانى منها (إنترنت 2) أو كما يسميها البعض (next generation internet)، التى أعدت خصيصا لأغراض البحث العلمى والتعليم. ولعل إدماج معظم الجامعات المتقدمة لتكنولوجيا الاتصال فى منظومتها التعليمية أكبر دليل على أهمية هذه التكنولوجيات الحديثة فى تحسين العملية التعليمية والبحث العلمى . وهو ما سيحاول أن يركز عليه الباحث من خلال هذه المداخلة.

الكلمات الدالة: التعليم، البحث العلمي، تكنولوجيا الاتصال، شبكة الإنترنت

Abstract :The aim of the this paper is to demonstrate the role of information and communication technologies in education, at universities and institutes, and to show the different applications offered by new communication technologies to the teacher and students. This paper will focus on the role of internet as a new tool , which improved effectively the qualifications of teachers and students, this media which provided a multitude of information and electronic resources in all scientific fields, by several applications such as: data banks, electronic periodicals, educational blogs, electronic sites of universities and research center, open archives, search engines, etc. The next generation internet or internet 2.0, designed particularly for improving instructional quality and scientific research .

The use of communication technologies for educational aims, by the most advanced universities, show us their importance and role for enhancing education and scientific research.

Keywords : education, scientific research, communication technology, internet

مقدمة:

يعتبر المجتمع المعاصر مجتمعا معلوماتيا أو اتصاليا بالفعل، نظرا لانتشار استعمال تكنولوجيا الاتصال في كل الميادين والمجالات، وتوظيفها في كل الأنشطة والوظائف، حيث إننا لا نكاد نجد مجالا واحدا لا تستخدم فيه وسائل وتكنولوجيا الاتصال الحديثة بمختلف أشكالها، حتى أن تسميات هذه الميادين والأنشطة أصبحت ترفق غالبا بكلمة "إلكتروني"، فنجد التعليم الإلكتروني، النشر الإلكتروني، التجارة الإلكترونية، الكتاب

الإلكتروني، البنوك الإلكترونية، الحكومة الإلكترونية، الإدارة الإلكترونية...إلى غير ذلك من التسميات والمفاهيم.

وتشكل تكنولوجيا الاتصال الحديثة "أدوات للنمو ووسائل لامتلاك مزيد من الاستقلالية، وتتيح النفاذ غير المحدود إلى المعلومات، كما أنها تحفز على إعمال الفكر من جديد- وعلى نحو شامل- فى أهداف التربية ومدى ملاءمتها للتنمية الوطنية. وتتوافر لهذه التكنولوجيات طاقة كفيلة بفتح باب التربية على مصراعيه فى مختلف المستويات، وبتخطى بعد المسافات الجغرافية، وتمكين المدرسين والمتعلمين من إمكانيات مضاعفة للتعليم والتعلم، وذلك بفضل النفاذ إلى المعلومات والطرق التجديدية للتعليم والانتفاع بها-سواء فى الوضع المدرسى المعتاد أو بواسطة التعليم عن بعد أو التعليم غير النظامي"[1].

"تقوم تكنولوجيا الاتصال بتغيير رهيب وسريع للتعليم الابتدائى وما بعد الابتدائى، فى الدول المتقدمة، ولدرجة لم يكن يمكن توقعها فى الماضى. إن الثانويات والكليات والمعاهد والجامعات ومؤسسات البحث المتقدمة قد مسها تأثير تكنولوجيا الاتصال، على كل المستويات والجوانب"[2].

ولذلك فإن تكنولوجيا الاتصال الحديثة عموما وشبكة الإنترنت خصوصا لها دور فعال فى العملية التعليمية، وفى تحسينها وترقيتها، إن على مستوى المعلم أو على مستوى المتعلم، فهى توفر لكليهما خدمات وتطبيقات تمكنهما من تنمية قدراتهما ومهاراتهما، وبالتالى فهى تساهم بشكل فعال فى دعم البحث العلمى ودفع عجلته إلى الأمام.

تكنولوجيا الاتصال والعملية التعليمية:

كما قلنا فى السابق، أصبحت تكنولوجيا الاتصال الحديثة تلعب دورا هاما فى العملية التعليمية، وفى تحسين أداء المعلم والمتعلم، سواء فى المدرسة أو فى الجامعة، وهذا بفضل الاستخدامات المتعددة التى تتيحها، وهو ما جعلها تلقى اهتماما متزايدا من طرف الهيئات التعليمية والمعاهد المختلفة، التى أدمجتها ووظفتها فى مختلف مناهجها وموادها التعليمية، لتحقيق أكبر قدر من الاستيعاب لدى المتعلم، ولتحسين أداء المدرس وزيادة فعالية مناهجه.

ولذلك "تسعى اليوم العديد من الدول إلى وضع الخطط والبرامج لتعميم استخدام الإعلام الآلى واستخدام تكنولوجيات الإعلام والاتصال فى مختلف المؤسسات المدرسية فى ظل مناخ عالمى عام يميز بانبهار كبير إزاء التكنولوجيا الجديدة وقدراتها "السحرية"، حيث تقدم هذه التكنولوجيات اليوم كمورد معتبر للرفع من نوعية التعلم والرفع من المثابرة المدرسية لدى التلاميذ، ومحرك قادر على إحداث ثورة فى التعليم والتعلم، بأفضل طريقة ديناميكية ممكنة"[3]. ومن أمثلة ذلك، ما قامت به الدول الأوربية من جهود كبيرة لتعميم استخدام تكنولوجيات الاتصال فى مختلف مستويات التعليم، فمن خلال إستراتيجية "لشبونة" حددت المفوضية الأوروبية أهدافا واضحة لاستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مجال التعليم، فمنذ عام 2002 وهى تنسق الأنشطة فى هذا المجال مع مبادرة التعليم الإلكترونى. علاوة على ذلك استفادت الدول الشريكة للمؤسسة الأوروبية للتعليم والتدريب المهنى كذلك من العديد من المبادرات من خلال برامج المساعدة الخارجية وبرامج أطر العمل. لقد قدمت المؤسسة الأوروبية للتعليم والتدريب المهنى المخلات فيما يتعلق بتحليل مدى استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى التعليم والتدريب وأثر ذلك على المعلمين والطلاب. إضافة إلى ذلك قامت المؤسسة الأوروبية للتعليم والتدريب المهنى ETF باسم المفوضية الأوروبية بتنفيذ برنامج Phare الذى يضم العديد من الدول فى مجال التعليم عن بعد، وتقوم حاليا بتنفيذ مشروع MEDA-ETE والذى يشمل جزء متعلق بالتعليم الإلكترونى (الجزء الرابع). توفر المؤسسة الأوروبية للتعليم والتدريب المهنى ETF التحليلات وتقوم ببناء القدرات من خلال تنفيذ المشاريع فى الدول الشريكة وبذلك تمكن واضعى السياسات من استيعاب الفائدة من استخدام نظام التعليم الإلكترونى وكيف يمكن أن يكون مكملا للإصلاحات الجارية فى قطاع التعليم والتدريب"[4].

هذا وقد اهتمت كذلك المنظمات والهيئات الدولية والإقليمية باستعمال تكنولوجيا الاتصال لأغراض التعليم والبحث العلمى، وأصدرت عدة دراسات وتقارير حول الموضوع، على غرار اليونسكو وهيئة الأمم المتحدة.

وقد جاء فى تقرير أصدرته منظمة اليونسكو ما يلى:

"قدمت تكنولوجيا الاتصال قيمة مضافة للعملية التعليمية، كما ساهمت فى تحسين تسيير وتنظيم المؤسسات التعليمية، وتعتبر الإنترنت من الوسائل التى تقود حركة التطوير والإبداع فى الدول المتقدمة والنامية على السواء"[5]، وذلك فى مختلف المجالات على العموم، وفى المجال التعليمى على الخصوص، نظرا لنجاعتها وأثرها الايجابى على التعليم والبحث العلمى، الذى عرف ثورة لم يسبق لها مثيل، حيث تشير بعض الإحصائيات إلى أن ما نشر فى الثلاثين سنة الماضية يفوق ما نشر فى خمسة قرون سابقة[6]. حيث إن حركة النشر الدؤوبة، والانفجار المعلوماتى الحاصل حاليا يعود بالأساس إلى انتشار تكنولوجيات الاتصال واستعمالها فى مختلف المجالات، مما جعل المصادر الإلكترونية (كالكتاب الإلكترونى، المجلات العلمية المتخصصة، قواعد المعلومات...) على سبيل المثال تصل إلى كل الأفراد بكل سهولة، متخطية بذلك كل العقبات التى كانت تعرفها الأوعية التقليدية (الكتاب المطبوع، المجلات الورقية المطبوعة...)، أثناء النشر والتوزيع، بالإضافة إلى التكاليف التى انخفضت بشكل كبير.

"إن أساليب التعليم الإلكترونى واستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات فى مجال التعليم والتدريب قد غيرت من طبيعة التعليم والتدريس وساهمت مساهمة كبيرة فى عملية إصلاح هذا المجال وإضفاء طابع التجديد والابتكار عليه. من خلال دمج التكنولوجيا الحديثة أصبح التعليم والتدريب متاحا للجميع ومتناسبا مع جميع المستويات التعليمية. وبالرغم من ذلك فإن التكنولوجيا الحديثة ودمجها فى نظم التعليم والتدريب لم تعد موضوعا مطروحا للمناقشة، التركيز الآن على الآثار الميثودولوجية والتربوية المرتبطة باستخدام هذه التكنولوجيا لأغراض تعليمية وتدريبية. وتعد نقطة الانطلاق هى اعتبار التعليم عملية اجتماعية توفر الفرص للتعاون مع المتعلمين الآخرين لتسهل من استيعاب مضمون الدروس وتلقى الإرشادات من المعلمين المدربين وتوفر فرصة التعليم للمقيدين بظروف تتعلق بالسن أو الوقت أو المكان"[7].

وعليه فقد أصبح الاهتمام منصبا حاليا(في الدول المتقدمة) في كيفية توظيف تكنولوجيا الاتصال واستعمالها في مختلف المواد والمناهج التعليمية، بدءا من المدرسة الابتدائية، ووصولا إلى الجامعة، فعملية التوظيف أصبحت أمرا مفروغا منه، وما ينبغي هو التعرف على السبل والآليات التي تجعلها فعالة أكثر، وفي أي المواد يتم استعمالها فيها.

تكنولوجيا الاتصال وتسهيل العملية التعليمية للمتعلم والمعلم:

يعتبر المدرس الشق الأساسي والمهم في العملية التعليمية، فهو المحرك الرئيسي لها، وإذا كان المستوى العلمي للمدرس راقيا ومميزا، فإن العملية التعليمية ستنجح لا محال، وهذا ما يجعلنا نقول أن توظيف تكنولوجيا الاتصال يبدأ أولا من الأستاذ، الذي ينبغي أن يتحكم فيها بطريقة جيدة، لكي يتمكن من توظيفها لتحسين أدائه.كما نجد أن تكنولوجيا الاتصال تلعب دورا فعالا في تنمية قدرات المدرس، وزيادة كفاءاته ومهاراته التعليمية، وتوسيع معارفه.

لقد أصبح المتعلم قادرا إلى حد ما وفي بعض المواد، أن يتخلى عن الأستاذ والمعلم بفضل تكنولوجيات الاتصال، التي تتيح له القدرة على التعلم الذاتي، واكتساب المهارات والمعارف دون معلم، بل وحتى يمكن أن يتجاوز التلميذ معلمه، من حيث كمية المعلومات والثقافة، ولهذا يتحدث الكتاب عن "قيام تكنولوجيا الاتصال بنقل القوة والهيمنة في العملية التعليمية من المعلم إلى المتعلم، فالمتعلم الذي تتاح له الفرصة للتحكم الجيد في شبكة الإنترنت مثلا، والحصول على مصادر جيدة، بإمكانه التفوق على أستاذه"[8]، واكتساب معارف ومعلومات أكثر منه.

ولكن رغم ذلك لا يمكن للمتعلم الاستغناء الكلي عن الأستاذ، لأنه الواحد القادر على تفسير المعلومات والمفاهيم، بحكم خبرته في الميدان، كما أن العديد من الدراسات أثبتت أن تكنولوجيات الاتصال يمكن أن تكون كوسائل مساعدة للأستاذ لأداء مهامه، وليس كوسائل تحل محله أو تعوضه.

تكنولوجيا الاتصال والتعليم المستمر:

تساهم تكنولوجيا الاتصال فى دعم التعليم المستمر، خاصة بالنسبة للأفراد العاملين، وذلك عبر التعليم عن بعد، الذى يتم عبر شبكة الإنترنت بالخصوص، والذى يطلق عليه تسمية التعليم الافتراضى أو الإلكترونى[٩] (electronic learning)، وهو نوع يفيد كثيرا الأفراد غير القادرين على التنقل أو لديهم صعوبات فى الالتحاق بالجامعات والمعاهد لسبب أو لآخر.

ولذلك فقد "أثرت تكنولوجيا الاتصال بالخصوص على التعليم عن بعد(distance learning)، وجعلت منظومات وبرامج المعاهد تتواءم مع حاجات الطلبة والمتعلمين من جهة، والكلية من جهة أخرى، فقد نقلت عدة عناصر من عناصر العملية التعليمية إلى العالم الافتراضى (virtual world)، وهو ما وسع من حجم المتعلمين. عبر التعليم القائم على هذه التكنولوجيات، يمكن التعلم لمدة 24 ساعة فى اليوم وسبعة أيام فى الأسبوع، ومن أى منطقة جغرافية"[١٥].

إن التعليم الافتراضى يساهم فى تنمية حركة التعليم بشكل شامل، لأنها لا تمكن فقط من تدريس التلاميذ والطلبة النظاميين، بل حتى الأشخاص العاديين، والعمال والموظفين الذين لا يملكون الوقت للحضور بانتظام إلى الجامعات والمدارس، كما أنها تمكن هؤلاء العاملين من تعلم المهارات والتقنيات الحديثة التى لم تكن موجودة حينما درسوا، وهذا يجعلهم يواكبون التطورات فى مجال عملهم، ولعل هذه الأسباب هى التى جعلت العديد من الدول تقوم بإنشاء جامعات افتراضية أو ما يسمى بالجامعة المفتوحة open university، كالجامعة المفتوحة البريطانية، جامعة مكة المكرمة المفتوحة، الجامعة العربية المفتوحة بالدانمارك.

التعليم للجميع عبر تكنولوجيا الاتصال:

إن الحديث عن الفوائد التعليمية لتكنولوجيا الاتصال لا ينحصر فقط فى المتمدرسين والمتعلمين فى المدارس والجامعات، بل يمكن حتى للأفراد الماكثين فى البيت وغير المنتمين

للمؤسسات التعليمية أن يستفيدوا من هذه التقنيات الحديثة، ولا سيما شبكة الإنترنت، التى تتيح عدة خدمات تجعل الفرد يتعلم ويكتسب معارف ومعلومات، وحتى الوسائل الأخرى كالحاسوب، الأقراص المضغوطة التى تحتوى على دروس وبرامج تعليمية، تمكن الأفراد من التعلم الذاتى (self learning)، فكم من شخص تعلم لغة أجنبية وتدرب على تقنيات وبرمجيات، أو تعلم مهنا وأعمالا بصفة ذاتية عبر الاستعانة بالتقنيات الاتصالية الحديثة.

فالجيل الثانى من شبكة الإنترنت يوفر اليوم عدة خدمات وتطبيقات الكترونية تمكن الأفراد المستعملين من تعلم عدة مهارات، واكتساب معارف وخبرات بشكل ذاتى دون الحاجة لمعلم، فهناك كم هائل من مصادر المعلومات كقواعد البيانات والبوابات والمواقع المتخصصة فى مختلف المجالات، التى يمكن أن يستعملها الأفراد للتحصيل والتثقيف الذاتى.

ولهذا فإن التعليم المفتوح والمستمر عبر تكنولوجيات الاتصال الحديثة يخدم بدرجة أكثر الفئات التى لم تتح لها الفرصة للالتحاق بالجامعات والمدارس ومراكز التعليم، وللعمال والأشخاص الذين لا يملكون الوقت للالتحاق بالمؤسسات التعليمية النظامية.

مزايا استعمال تكنولوجيا الاتصال فى التعليم:

تتيح تكنولوجيا الاتصال عدة إيجابيات للمعلمين والمتعلمين يمكن حصرها فيما يلى:

1. **توفير الوقت:** إن الوسيلة البصرية والحسية (الوسائل الحسية) تعتبر بديلا عن جميع الجمل والعبارات التى ينطق بها المعلم ويسمعها الطالب والتى يحاول أن يفهمها ويكون لها صورة عقلية فى ذهنه ليتمكن من تذكرها.

2. **الإدراك الحسى:** إن الألفاظ لا تستطيع أن تعطى المتعلم صورة حقيقية جلية تماما عن الشيء موضوع الحديث أو الشرح، تلك الألفاظ لا تستطيع تفسير هذا الشيء مثل الوسيلة الإيضاحية.

3. الفهم: الفهم هو قدرة الفرد على تمييز المدركات الحسية وتصنيفها وترتيبها، فإن الفرد يتصل بالأشياء، والمظاهر المختلفة عن طريق حواسه وبالطبع لا يستطيع هذا الفرد أن يفهم المسميات أو الأشياء إلا إذا تم فهمها والتعرف عليها.

4. أسلوب حل المشكلات: حينما يشاهد الطالب تقنية تعلمية، فإنها في الغالب تثير فيه بعض التساؤلات والتي قد لا تكون مرتبطة مباشرة بموضوع الدرس. وقد تنمي هذه التساؤلات أو التي تنبع من حب الاستطلاع، أسلوب حل المشكلات لدى هذا التلميذ (...).

5. المهارات: تقوم التقنيات التعليمية بتقديم توضيحات علمية للمهارات المطلوبة تعلمها.

6. محاربة اللفظية: عدم معرفة الطالب أحيانا لبعض الجمل أو الكلمات، مما يتسبب بخلط المعنى لديه، ولكن بالصورة توضح المعنى لها.

7. تتيح للمتعلم فترة تذكر أطول للمعلومات.

8. تشوق المتعلم وتجذبه نحو الدرس.

9. تدفع المتعلم ليتعلم عن طريق العمل.

10. تدفع المتعلم نحو التعلم الذاتي.

11. تنمي الحس الجمالي فالتقنية التعليمية تكون في الفرد القدرة على حسن العرض.

12. تنمية الميول الإيجابية لدى التلاميذ.

13. معالجة مشاكل النطق والتأتأة[11].

ويقدم الأستاذ "نور الدين مشاط" مجموعة من النتائج المترتبة عن توظيف تكنولوجيا الاتصال في التعليم:

I - اثر تكنولوجيا الإعلام والاتصال على التلميذ:

1-1- التشويق والإثارة: الإثارة والتشويق عنصران مهمان لإنجاح العمليـة التعليميـة التعلمية إذ عليهما نعول فى جلب انتباه المتعلم لجعلـه مشاركا فاعلا متحفزا. كما نريحه سيكولوجيا لمتابعة سيـر الـدرس دونها إحساس بالملل ونضمن السلاسة فى عملية التحصيل. وعناصر الإثارة عديدة منها:

أ- تأثير الصورة: الصورة بمضامينها المتعددة والتى لا تعرف تراتبية واحدة تلو الأخرى فى المضامين وإنما مضامينها موزعة على الصورة بأكملها وتنتظر منك اكتشافها أو سبر أغوارها، وقد يوحي لك جزء منها بالعديد من الأشياء.. وقد يرى غيرك فى ذلك الجزء ما لم تره أنت والعكس... الصورة عامل تشويق فى حد ذاتها فهى تطرح أمامك أسئلة وتحديات وتغرى فضولك وتفتح لك عوالم متعددة موغلة فى الماضى أو فى الخيال. إنها عصف ذهنى لاستخدام مهارات التفكير والاستنباط العليا كما أن لها تأثيرا قويا على الأحاسيس فيمكنها إثارة زوبعة ضحك من أعماق المتعلم، أو ابتسامة حانية، أو العكس تماما عاصفة ممطرة من الدموع يغرفها لك من قلبه، أو إحساس أسى يتقاسمه مع الصورة. وهى من نواح أخرى تقرب المفهوم المجرد أو المعقد لتجعله واضحا بسيطا بالنسبة للمتعلم، مثلا الخرائط التصورية (Conceptual Cards) والتى تعتمد غالبا على الصور لأنها تلتصق بالذاكرة ويسهل استرجاعها. فالصورة تمثل خيطا مرتبطا بمئات الأحداث مخزنة فى الذاكرة، وباسترجاعها يعود الكل متراقصا أمامك. وللصورة، من جهة أخرى، قدرة عجيبة على تقريب البعيد زمانا ومكانا: فالديناصورات الموغلة فى التاريخ زمانا والمنقرضة منذ ملايين السنين تحضر قاعة الدرس من خلال الصورة ويعيش التلميذ أجواء الرهب والفزع والعظمة التى كانت تفرضها فى تلك الحقبة كما توحى له بضخامتها(...)، فالصورة بعدد نقطها تتمدد لترسم بألوانها مضامين متعددة فى ذهن قارئها، وتبنى له جسورا كثيرة تتحدى حاجز الزمن وتتجاوز عقبات التضاريس والمكان وتخرق الذاكرة لتغوص فى أعماقها منقبة فاتحة آفاقا رحبة للفهم والتحصيل.

ب- تأثير الصوت: للصوت تأثير عميق على شخصية المتعلم، فهو ينفخ الحياة فى الصور ويجعلها ناطقة: فصورة البحر بخلفية صوتية للأمواج تجعل المتعلم يعيش أجواءه ويكاد يحس ببرودة وانتعاش رذاذه ويشم رائحة مياهه، كما أن صورة طفل كئيب باك تصحبها موسيقى حزينة أو كلمات شاعرية رقيقة ستفجر مقلتى المتعلم دموعا. إن للصوت قدرة على إثارة أحاسيس المتعلم، كما أنه يصل قبل الصورة إلى المتعلم فأنت قد تسمع هدير محرك سيارة قادمة من بعيد قبل أن تراها.

وبالنسبة لتعلم اللغات أو بناء القصص المصورة، يلعب الصوت دورا مركزيا، ففى الأولى يأخذ المتعلم النطق السليم للغة من أفواه المتمرسين وأصحاب اللغة، أما فى الحالة الثانية فيصبح للصوت امتدادا يتمم السيناريو ويربط خيوط القصة ويرسم امتدادات كل صورة.

ج- تأثير الحركة: فى كثير من الأحيان وأمام مضمون دسم حى كل محتوياته ناطقة بالعطاء مثلا مكان جيولوجى، غابة أمازونية، شلال، حديقة للحيوان، ميناء، نحتاج الصورة المتحركة الثلاثية الأبعاد التى تعج بالحيوية - أى الفيديو. فلو قدمنا لمجموعة من المتعلمين صورة لمدينة "وليلي" أو لميناء "أغادير" ولمجموعة ثانية شريط فيديو يوثق لزيارة استطلاعية مصورة للمكان المختار، أيهما سيكون أغنى معرفيا؟ أصورة ثابتة أم صورة متحركة راسمة للفضاء بمختلف أشكاله؟

وقد نحتاجها للاطلاع على ظاهرة لا تسمح الظروف برؤيتها فى تلك اللحظة كالزلازل أو البراكين أو العواصف أو البرق، كما نحتاجها لتجنب خطورة تقديم مناولة معينة خوفا من تداعياتها كنشوب حريق أو حدوث انفجار. من تلك المناولات مثلا: التفاعلات الكيميائية، دور الأوكسيجين وثنائى أوكسيد الكربون.

ويعتبر الفيديو تكسيرا للجدران فالمتعلم يرى أشياء متحركة داخل فضاء ثابت، فينطلق من ضيق فضاء الحجرة والنافذة المسيجة بالحديد والتى لا تذكر إلا بسجن مقيت إلى عالم رحيب متعدد الألوان وغامر بالحركة.

د- تأثير الألوان: هل فكرتم يوماً أن الألوان التى تحيط بالغرف والأماكن التى يوجد فيها تلامذتنا تؤدى دوراً مهما فى حالتهم المزاجية والسلوكية؟

إن الألوان علم قائم بحد ذاته، وأجريت العديد من الدراسات التى أثبتت فعالية العلاج بالفن والرسم وأثر الألوان والطاقة على عقل ونفس الإنسان. فاللون يعتبر من أبرز الآثار التى تجذب العينين، مهما كان عمر الطفل، نظراً لأن اللون هو أهم عامل حسى ومعنوى يرسخ فى نفس الإنسان منذ أن تتفتح عيناه لرؤية ما حوله... الطفل وهو يتعامل مع تكنولوجيا الصورة من أجل التحصيل سيكون حتما تحت تأثير اللون، ومن هنا وجب الاختيار الدقيق للألوان الداعمة للمحتوى والمساعدة على خلق الفضاء المريح للرؤية والجذاب للانتباه، لكن دون أن يصبح هو المقصود فى حد ذاته[12].

شبكة الإنترنت وتطبيقاتها التعليمية:

تعتبر شبكة الإنترنت من أبرز وأهم الوسائل التكنولوجية الحديثة، التى أحدثت لوحدها ثورة فعلية فى مجال التعليم والبحث العلمى، بفضل خدماتها وتطبيقاتها المتعددة، التى يمكن أن توظف فى التعليم والتدريس، وذلك إما من طرف الأساتذة والمدرسين فى الجامعات والمدارس، وإما من طرف الأفراد الراغبين فى التعلم الذاتى، وفى توسيع معارفهم وثقافاتهم. ولذلك فإن شبكة الإنترنت قد أصبحت اليوم منبعا حقيقيا للعلوم لمعارف إذا أحسن استخدامها، ولعل هذا ما جعل الكاتب المعروف "Pierre levy" يسميها "بقلعة النّور"[13] la citadelle de lumière، فهى مصدر لعديد من المعارف والمعلومات فى مختلف المجالات.

وتعد شبكة الإنترنت أكبر مزود للمعلومات فى الوقت الحاضر، بل إنها أم الشبكات أو شبكة الشبكات[14]، كما يسميها الكاتب "قنديلجى عامر"، لأنها تتيح بدورها عدة شبكات، لاسيما تلك التى لها طابع علمى وأكاديمى.

ولهذا فإن ما تطرحه فعاليات شبكة الإنترنت فى عالم اليوم، يمثل النموذج المصغر لما سيكون عليه المستقبل القريب مع فاعليات الطريق السريع للمعلومات، المتمثلة فى القدرة على الجمع بين كافة الأشكال والأنواع الاتصالية، ونقلها إلى كافة أرجاء العالم بسرعات عالية، عبر بنية تحتية من التجهيزات التكنولوجية المتقدمة والبرمجيات الفائقة الذكاء، الأمر الذى سيؤدى إلى تجاوز الطريق لوظيفة نقل المعلومات، والانتقال إلى وظيفة نقل المعرفة"[15].

وقد جاء فى بحث أعده الباحث فى مؤسسة Rand corporation الأمريكية :" إن شبكة الإنترنت تعتبر اليوم التكنولوجيا المفضلة لتحسين التعليم، وإتاحة الحصول على المعلومات، وزيادة الإنتاجية والمردودية فى التعليم العالى، والكثير من الجامعات تقدم دروسا ومحاضرات عبرها، ولهذا فإن الجامعات الافتراضية تهدف إلى تقديم تعليم أفضل وأسرع وأرخص عبر استعمال الشبكة[16] (better, faster, cheaper)

وقد أجريت دراسة على 21 مؤسسة تعليم عالى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وبينت أن تعميم استعمال شبكة الإنترنت فيها كانت له آثار إيجابية فى عملية التعليم، وفى ترقية مستوى المتعلمين بشكل ملحوظ، وزادت من حماسة الطلبة وإقبالهم على الدراسة والتعلم فى المواد التى تستعمل فيها الشبكة وتطبيقاتها المختلفة"[17].

ومن بين تطبيقات الشبكة التى تقدم خدمات تعليمية وتسهم فى ترقية البحث العلمى نذكر:

- قواعد البيانات العلمية: وهى قد تكون متخصصة فى مجال معرفى معين(مثل قاعدة medline المتخصصة فى ميدان الطب، وAgris فى ميدان الزراعة...)، وقد تكون عامة فى كل الحقول المعرفية، مثل قاعدة gallica وsciencedirect التى تتيح مقالات وكتب ومصادر إلكترونية فى كل المجالات العلمية.
- المجلات الإلكترونية المتخصصة: هناك عدد كبير من المجلات والدوريات العلمية والتقنية، التى تصدرها الجامعات أو مراكز البحث، والتى تتاح عبر الشبكة، إما فى المواقع الرسمية لهذه الهيئات أو فى مواقع متخصصة تقدم هذه المقالات بمقابل مادى أو عبر الاشتراك.
- المدونات التعليمية educational bloggs: وهى عبارة عن مواقع شخصية يملكها أساتذة أو باحثون فى عدة تخصصات، أو تملكها مؤسسات تعليمية، يتم عبرها نشر مقالات ودروس متنوعة، موجهة لجمهور معين من القراء، و"تساهم المدونات فى خلق فضاء تفاعلى بين الأستاذ والطالب"[18]، وتجعل العملية التعليمية قائمة على الأخذ والعطاء.

- المواقع التساهمية: وهي عبارة عن مواقع إلكترونية تختلف أشكالها، يساهم فيها المستعملون، ولاسيما الهواة منهم، وهناك من يسميها بصحافة المواطن citizen journalism أو المواقع التشاركية التي يساهم في تحريرها المستعملون، ومنها ما هو تربوي وتعليمي، ومنها ما هو موسوعي، مثل موسوعة wikipedia، وهذه المواقع تساهم بشكل كبير في زيادة معارف ومعلومات المستعملين[19]، وفي زيادة مهاراتهم الكتابية والتعبيرية.

- المصادر المفتوحة(الحرة)open sources: وهي عبارة عن نصوص ومواد تنشر في بعض المواقع الإلكترونية، وهي متاحة للمستعملين، ولها دور كبير في تحسين المهارات والقدرات التعليمية[20].

- مواقع الكتب الإلكترونية: وهي عبارة عن مواقع تتيح الآلاف من الكتب والمنشورات العلمية والأكاديمية، وحتى العامة، ومنها ما هو بمقابل ومنها ما هو مجاني، وقد ساهمت مثل هذه المواقع في نشر الكتب والمصادر الإلكترونية بشكل كبير، وساعدت المتعلمين في الحصول على مصادر ومنشورات قيمة، ربما لم تكن متاحة لهم قبل مجيء شبكة الإنترنت.

- منتديات المحادثة الإلكترونية: أو منتديات النقاش: التي تساهم في تحسين قدرات الفرد في اللغة الأجنبية على الخصوص، من خلال المحادثة والحوار المباشر مع أشخاص أجانب باللغة الأجنبية، كما تساهم في زيادة معارفهم ومعلوماتهم من خلال محاورة أفراد من بلدان متعددة وذوي ثقافات متنوعة.

"وخدمة منتديات النقاش، يستعملها غالبا الباحثون والأكاديميون لمناقشة عدة مواضيع علمية وثقافية، ومنها ما هو متخصص في ميدان معين كالطب، التكنولوجيا، والكيمياء، حيث إن منتديات النقاش أصبحت تعتبر قبلة الكثير من الأشخاص"[21]، سواء أكانوا أكاديميين أم متعلمين أم أفراد عاديين.

- البريد الإلكتروني: الذي يساعد في تراسل وتبادل الوثائق والمنشورات إلكترونيا، وحتى تلقي المحاضرات والدروس من الأساتذة والمعلمين، سواء كانوا محليين أو

أجانب من بلدان أخرى، وقد سهلت هذه الخدمة عملية تواصل الباحثين والأساتذة والمشتغلين فى المجالات العلمية المشتركة.

- محركات البحث ومحركات البحث الفائقة (metamoteurs): وهى تسهل على الباحث والمتعلم عملية بحثه وتجلب له المصادر والوثائق التى يبحث عنها، وهناك بعض التقنيات التى تجعله يضبط ويدقق عملية البحث، من أجل الحصول على النتائج والمصادر المرجوة بدقة، كتقنيات البحث البولينى والتقاربى وغيرها من التقنيات التى تيسر عليه البحث وتجعله دقيقا.

- خدمة نسخ الملفات المعروفة اختصارا بـ [22] FTP: وهى تقنية لتبادل الملفات على شبكة الإنترنت، وتبادل مختلف المصادر والوثائق، ولا يخفى على أحد دور هذه الخدمة فى تسهيل تدفق المعلومات بين المستعملين بصفة عامة، والطلبة والأساتذة والمتعلمين بصفة خاصة.

- المحاضرات عن بعد عبر الشبكة(téléconférence): و"هناك من يسمى هذه الخدمة كذلك ب[23] Video conferencing، وهى تمكن الطلبة والمتعلمين من تلقى محاضرات ودروس عن بعد، ودون التنقل إلى مكان عرض المحاضرة، وهذا ما يسهل عليهم عملية التعليم فى كل الوضعيات والأماكن الجغرافية التى يتوفر فيها الاتصال بالشبكة.

- الأدلة الموضوعية (les annuaires thématique) :وهى عبارة عن مواقع تحتوى أدلة شاملة لعدة مواضيع ومجالات، يقوم الباحث أو المستعمل باختيار الموضوع أو المجال، ويجد فيه كل المواقع الإلكترونية مصنفة، وطريقة البحث فيها تتم بشكلين:

1 .حسب الموضوع: حيث يتم ترتيب المواقع بطريقة تسهل عملية البحث انطلاقا من موضوع عام، ثم تصنيف هذا النطاق إلى مواضيع متفرقة.

2 .حسب الكلمات المفتاحية: تعتبر هذه العملية أسهل من عملية البحث من خلال موضوع معين، ومن خلالها نستطيع كتابة كلمة مفتاحية لموضوع نود البحث عنه، حيث تتم عملية إظهار أسماء المواقع التى تهتم بهذه الكلمة المفتاحية[24].

- **خدمة التعليم عن بعد: Téléenseignement**: يمكن للطالب أن يزاول دروسه عن بعد بشكل متزامن Synchrone، أو بشكل مسجل غير متزامن[25] asynchrone، وهذه الخدمة كذلك أحدثت ثورة في مجال التعليم، حيث قامت بتغيير مفاهيمه وتقنياتها التقليدية، وظهرت مصطلحات جديدة كالقسم الافتراضي، الجامعة الافتراضية، "بالإضافة إلى أن هذا النوع من التعليم يسمح للأفراد بمواصلة تعليمهم"[26].

- **الدخول المباشر إلى المكتبات (الإلكترونية)**: تتيح الإنترنت فرصة الوصول إلى البيبلوغرافيات لملايين الكتب، تمكنهم من تدقيق المعلومات البيبلوغرافية، وتحصيلها، وفحص العناوين الجديدة، وحتى طلبها من المطابع الجامعية"[27]، وهناك كذلك مكتبات افتراضية تقدم عددا غير محدود من الكتب والدوريات والمصادر العلمية المختلفة، على سبيل المثال نذكر مكتبة "غوغل" التي أمضت عقدا مع مكتبة الكونغرس لرقمنة كتبها وإتاحتها عبر موقعها الإلكتروني، وهي مكتبة تحتوي على ملايين الكتب والمصادر.

"كل هذه الاستخدامات وغيرها، جعلت الطلبة والباحثين يرتبطون ارتباطا وثيقا بالإنترنت، ويعتمدون عليها كوسيلة بحث ومصدر معلومات، وهذا ليس غريبا لأن الإنترنت أصلا قد قام بتطويرها باحثون ومتخصصون في الإعلام الآلي لغرض استخدامها كوسيلة لاستعمالاتهم العلمية والبحثية"[28]، وهنا تجدر الإشارة إلى الجيل الثاني للإنترنت التي تم تصميمها لأغراض علمية وبحثية.

- **الجيل الثاني من الإنترنت**: إنترنت 02 أو NGI من بين التطبيقات الحديثة في مجال تكنولوجيات الإنترنت وشبكات المعلومات، الطبعة الجديدة من الإنترنت، التي أصبح يطلق عليها "إنترنت 02" وهي أسرع بألف مرة من الإنترنت الحالية[29]، وتوفر استخدامات عديدة خاصة في الميدان العلمي، وهي في الحقيقة صُممت بغرض تطوير البحث العلمي، "واستجابة للانفجار الهائل من المعلومات والاستعمال المتزايد للإنترنت، خاصة في التجارة، وقامت 34 جامعة ومركز بحث أمريكي في أكتوبر 1996م بطرح مشروع جديد سمي Internet 2 ، وتتمثل أهدافه في:

1. إقامة شبكة فائقة الربط Très haut débit لفائدة الباحثين.

2. تشجيع تطوير الاستعمالات الجديدة (مثلا: الجراحة عن بعد).

3. توزيع ونشر هذه التطبيقات والخدمات الجديدة في كل مستويات النظام التربوي، وبصفة موسعة لمجتمع الإنترنت الوطني والدولي[30].

خاتمة:

من كل ما سبق نستخلص أن تكنولوجيا الاتصال عموما وشبكة الإنترنت خصوصا، قد أحدثت ثورة في مجالات التعليم والبحث العلمي، من خلال التطبيقات والخدمات التي تتيحها، والتي تجعل المعلمين والمتعلمين على السواء ينمون قدراتهم ومهاراتهم، ويوسعون معارفهم وثقافاتهم، وهو الشيء الذي جعل كبريات الجامعات والمعاهد تعمل على تعميم استعمال هذه التكنولوجيات الاتصالية في موادها ومناهجها العلمية.

وما علينا نحن كدول نامية إلا العمل على اللحاق بالركب، ومحاولة توظيف هذه التقنيات والوسائل بشكل فعال في جامعاتنا ومدارسنا، من أجل ترقية قطاع التعليم بكل مستوياته.

الهوامش والمراجع المعتمدة:

1 - سنتيا غتمن(2005 م). العلم في مجتمع المعلومات، باريس: اليونسكو.

2- William, I., Patrick, J. (2004).Information and communication technologies in education and training in Asia and the Pacific, Asian Development Bank .

3- عبد الوهاب بوخنوفة(2007م). المدرسة التلميذ والمعلم، وتكنولوجيا الإعلام والاتصال، التمثل والاستخدامات، (أطروحة دكتوراه غير منشورة)، قسم علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر.

4- المؤسسة الأوربية للتعليم والتدريب:"التعليم باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات" ,www.ETF.europa.eu.web.nsf.pages/home (27 ماي 2010).

5- Evgueni Khvilon et al. (2002).INFORMATION AND OMMUNICATION TECHNOLOGY IN EDUCATION A CURRICULUM FOR SCHOOLS AND PROGRAMME OF TEACHER DEVELOPMENT,Paris : UNESCO(Division of Higher Education).

6- انظر كتاب عيسى عيسى العسافين (2001م).المعلومات وصناعة النشر، دمشق:دار الفكر.

7- المؤسسة الأوربية للتعليم والتدريب: "التعليم باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات" www.ETF.europa.eu.web.nsf.pages/home، (28 ماي 2010)

8- Moursund , D.(2005). Introduction to Information and Communication Technology in Education, Oregon.

9- Torstein Rekkedal , Svein Qvist-Eriksen : (2003)" Internet Based E-learning, Pedagogy and Support Systems", NKI Distance Education,.

10- William loxley, Patrick Julien : op.cit. p. 5

11-أحمد بن صالح: " إدماج تكنولوجيات الاتصال في التعلم" /www.edunet.tn ressources/pedagogies/revuemasarat.index، (28 ماي 2010).

12-نور الدين مشاط : "أثر تكنولوجيا الإعلام والاتصال على المتعلم والمعلم"، http: // espoir.yoo7.com /montada-f13 /topic-t61.htm، (27 ماي 2010).

13- Breton, P.(2000). le culte de l'Internet, une menace pour le lien social, Paris : la découverte.

14- قنديلجي عامر إبراهيم وآخرون(2000م). مصادر المعلومات من عصر المحفوظات إلى عصر الإنترنت، عمان: دار الفكر.

15- محمد محفوظ(2005م). تكنولوجيا الاتصال، دراسة في الأبعاد النظرية والعلمية لتكنولوجيا الاتصال، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية.

16- Baer , W.S.: (1998)." Will The Internet Transform Higher Education? ", The Emerging Internet review, Institute for Information Studies, P.1.

17- Rob ABEL : Achieving Success in Internet-Supported Learning in Higher Education: Case Studies Illuminate Success Factors, Challenges, and Future Directions, USA : ALLIANCE FOR HIGHER EDUCATION COMPETITIVENESS, 2005.

18- Hyung Nam Kim : " The phenomenon of blogs and theoretical model of blog use in educational contexts ", Computers & Education 51 (2008) 1342–1352.

19- Eric Ras , Jörg Rech (2009), " Using Wikis to support the Net Generation in improving knowledge acquisition in capstone projects ", The Journal of Systems and Software , pp 1-10

20- Yu-Wei Lin , Enrico Zini : " Free/libre open source software implementation in schools: Evidence from the field and implications for the future ", Computers & Education 50 (2008) 1092–1102.

21- Jacque Audran, Cathua Papi, Bernard coulibaly: " Le chercheur et Son Forum, un Point de méthode ", congres international , AREF, 2007.

22-زياد القاضي وآخرون(2000م).مقدمة إلى الإنترنت، عمان: دار الصفاء.

23- وائل أبومغلي، باسل شفيق، مراد شلباية(2000).مقدمة إلى الإنترنت،عمان:دار المسيرة.

24-بهية عرعار(2004). واقع استخدام شبكة الإنترنت كمصدر معلومات عند الطلبة الجامعيين (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الجزائر.

25-محمود ابر اقن:قاموس المبرق،الجزائر(2004).المجلس الأعلى للغة العربية.

26- مجدى صلاح طه المهدي(2007م). التعليم الافتراضى، فلسفته، مقوماته، طرق تطبيقه، الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة.

27- رأفت نبيل علوه(2006م). المكتبة الإلكترونية، عمان: مكتبة المجتمع العربي.

28- Lacroix, G.(1997).Le mirage Internet, enjeux économique el sociaux, PARIS: ed. vigot.

29- بشار عباس(1997). ثورة المعرفة والتكنولوجيا، التعليم بوابة مجتمع المعلومات، دمشق: دار الفكر.

30- Zartarian ,V., Noël, E.(2000).cybermonde ou tu nous mènes grand frère ?Geneve :georg.



صحافة المواطن، السلطة الخامسة التى أصبحت تهدد الأنظمة الشمولية*

مقدمة:

طرأت فى السنوات الأخيرة عدة تغيرات وتطورات فى عدة ميادين، بفعل الثورة الحاصلة فى تكنولوجيات الاتصال والمعلومات، والتى جعلت من غير الممكن عدم إقحام هذه التكنولوجيات الحديثة فى مختلف الأنشطة والتطبيقات؛ ومن بين هذه المجالات التى عرفت قدرا وافرا من التغيير والتأثر بهذه الثورة المعلوماتية، ميدان الإعلام والاتصال الذى لحقه تغييرا كبيرا فى مختلف نواحيه، سواء من حيث كيفية أداء المهنة، أو فى الطرق والوسائل الحديثة المستعملة، أو فى الأنواع والأشكال الصحفية المستحدثة.

فقد جاءت الصحافة الإلكترونية كنتيجة للتطورات الحاصلة فى تقنيات النشر الإلكترونى على شبكة الإنترنت، وهى عبارة عن دوريات تنشر على الخط، إما أن تكون مقابلة للطبعة الورقية للجريدة أو المجلة، أى أنها تحتوى على نفس مضمون طبعتها الورقية، وإما أن تكون طبعة الكترونية مستقلة كلية عن طبعتها الورقية، أى يختلف محتواها وشكلها عنها، وقد ازداد عدد الدوريات والصحف الإلكترونية بشكل كبير، وغدت تنافس الطبعات الورقية التقليدية، نظرا لسهولة وإمكانية الاطلاع على كل الصحف الإلكترونية فى العالم فى أى مكان يتوفر فيه الربط بشبكة الإنترنت.

ومع التطورات المستمرة في قطاع الصحافة بفعل هذه التكنولوجيات الحديثة، انتقل الحديث والنقاش حول الصحافة الإلكترونية، (التي يقوم على إدارتها والإشراف عليها فريق من الصحفيين والمهنيين، تماما مثلما هو عليه الأمر مع الصحف والمؤسسات الإعلامية التقليدية)، إلى ما يطلق عليه تسمية "صحافة المواطن"، التي يقوم في الغالب بالإشراف عليها وإنتاج مضمونها مواطنون أو مستعملون عاديون، ليسوا محترفين مثل الصحفيين في وسائل الإعلام التقليدية، أي أنهم هواة من كل أنحاء العالم ومن مختلف المستويات والأجناس، وللإشارة فإن الكتاب يستعملون عدة أدبيات للتعبير عن هذا الشكل الصحفي الجديد، مثل "الصحافة التشاركية"(participatory journalism)، إعلام الجمهور(citizen journalism)،المحتوى الذي ينتجه المستعملون (user generated content)، والصحافة البديلة (alternative journalism)، ومهما اختلفت المصطلحات والتسميات فإنها تستعمل كلها للإشارة إلى ذلك الشكل الصحفي الذي ينتج محتواه ومضمونه أفراد هواة أو مستعملون عاديون، والذي يقابل المحتوى والمضمون الإعلامي الذي ينتجه الصحفيون المحترفون الذين يشتغلون في وسائل الإعلام التقليدية، ويبيعونه أو يبثونه في إطار عملهم.

وقد مكنت وسائل الاتصال الحديثة الأفراد من الكتابة وإنتاج مضامين إعلامية حتى وإن لم يكونوا صحفيين محترفين ونشرها على الشبكة العالمية، وحتى بثها في القنوات التلفزيونية والإذاعية ووكالات الأنباء، فقد أدى الانتشار الواسع لوسائل وتقنيات الاتصال الحديثة لدى شرائح واسعة من المجتمع وسهولة استعمالها من طرف الأشخاص، إلى قيام المواطنين وأفراد الجمهور بصناعة مواد ومضامين إعلامية، كانت في الكثير من الأحيان تنافس وتضاهي مضامين الوسائل الإعلامية التقليدية، فظهرت العديد من الفضاءات والتقنيات الحديثة التي تتيح إمكانية نشر وبث هذه المضامين دون أي رقابة أو ضغط، على غرار المواقع التفاعلية، مواقع الفيديو(مثل youtube)، النشر الجماعي التشاركي(collaborative publishing) مثل الموسوعات الإلكترونية الجماعية مثل، (agoravox،wikipedia)، المدونات الإلكترونية(blog) ومنتديات المحادثة

الإلكترونية(discussion forum)، مواقع نشر ملفات ملتيميديا(podcasting)، مواقع الشبكة الاجتماعية (مثل موقع facebook الذى بلغ عدد مستعمليه النشطين 42 مليون سنة 2007م وتجاوز 500 مليون مستعمل نهاية سنة 2010م حسب إحصائيات الموقع(*)، ومواقع تبادل الملفات؛ فكل هذه الأشكال والتقنيات يقوم المستعملون بصناعة محتواها، فهم الصحفيون والمحررون والناشرون، وبذلك فهم متعاونون هواة من كل أنحاء العالم، ويشاركون فى محتوى هذه الوسائل بدون مقابل فى الغالب.

وفى كثير من الأحيان يقوم أشخاص مثلا بتصوير بعض الأحداث باستعمال تقنيات مختلفة (كاميرا رقمية، هاتف محمول...) وإرسالها إلى قنوات تلفزيونية لتقوم بنشرها (مثل ما حدث أثناء عاصفة كاتارينا بأمريكا، وما يحدث اليوم فى عدة مناطق من العالم التى تشهد حروبا مثل العراق، فلسطين؛ ومن أبرز الأمثلة الصور التى تم التقاطها أثناء إعدام صدام حسين، والتى لم تكن لتنشر للرأى العام وللصحافة العالمية لولا ذلك الشخص الذى صورها بهاتفه النقال).بالإضافة إلى التسجيلات والصور التى التقطها الأفراد أثناء مظاهرات واحتجاجات مطلع سنة 2011م فى الدول العربية، كتونس، مصر، ليبيا، البحرين...إلخ.

ويحدث هذا كذلك مع بعض القنوات خاصة المعارضة منها، والتى منعت من فتح مكاتب فى بعض البلدان، وتم التضييق على مراسليها وصحفييها، مما يجعل "الصحفيين المواطنين" من أنجع السبل للحصول على المعلومة والخبر الصحفى فى تلك الأماكن. كما نجد كذلك بعض الحصص الإذاعية التى تفتح المجال لمشاركات الجمهور فى محتواها، مثلما هو عليه الحال فى إذاعة فرنسا الدولية(RFI)، التى تبث حصة l'atelier des medias، وهى عبارة عن حصة تشاركية تبث على الواب(web-emission participative)، يساهم فى محتواها أفراد عاديون من الجمهور؛ أما قناة BBC news فقد أطلقت مبادرة للقراء المناهضين للحروب لبعث صورهم التى التقطوها ليتم نشرها.أما ما يخص وكالات الأنباء التشاركية فنجد كمثال لها وكالة place publique التى تجمع صحفيين مستقلين من كل أنحاء العالم.

(*) www.facebook.com

ضف إلى ذلك مبادرة قناة الجزيرة (global village voices) التى تعطى فرصة للمواطنين بأن ينشروا مضامين إعلامية متعلقة بمختلف الأحداث العالمية والوقائع. وكذلك خدمة (your media) التى تشجع الأفراد على إنتاج المضامين والتسجيلات ونشرها.

تبادل الأدوار بين المرسل والمستقبل:

من بين الانعكاسات والتحولات التى ترتبت عن هذا الشكل الصحفى الجديد هو التحول الحاصل فى أهم عنصرين من عناصر العملية الاتصالية، وهما المرسل أو ما يسمى بالقائم بالاتصال والمستقبل، فقد حدث تغير جذرى فى مهام كل واحد منهما، وأصبح الجمهور الذى كان يستقبل الرسائل والمضامين الإعلامية يشارك بشكل أساسى وفعال فى صناعتها وبثها، فلم يعد فقط يستعمل وسائل الإعلام لاستهلاك مضامينها ورسائلها، بل تعدى الأمر إلى المشاركة الفعلية فى بناء هذا المضمون وبكل حرية، ولذلك فإن ما يميز هذا الجمهور أنه يستعمل وسائل الإعلام ويتعرض لها فى نفس الوقت الذى يساهم فى محتواها، كما أنه يملك هامش من الحرية أكبر بكثير من الصحفيين التقليديين، فكم من الأفراد (سياسيين، مثقفين، معارضين، ...) قاموا بنشر مقالات ومذكرات وكتب وأفلام، روبورتاجات وصور على شبكة الإنترنت كانت ممنوعة من النشر فى الوسائل الأخرى، وحتى الصحفيون أنفسهم أصبح معظمهم يملك منتدى أو مدونة إلكترونية، وإن لم يكن يملك فإنه يكتب ويساهم فى المدونات الأخرى نظرا لما توفره من حرية تعبير قد لا يجدها فى وسائل الإعلام الأخرى.

بداية تراجع الرقابة وأفول "حارس البوابة" :

أتاحت صحافة المواطن هامشا كبيرا من الحرية، مما أدى إلى جلب أعداد متزايدة من الأفراد والمستعملين، خاصة الذين لم تتح لهم الفرصة لإيصال آرائهم وأفكارهم وانشغالاتهم للآخرين، وهو ما ساهم فى دمقرطة وسائل الإعلام la démocratisation des medias، أى إتاحة الاستعمال الديمقراطى والتداولى لوسائل الإعلام دون رقابة وضغط الناشر والمديرين والمسيرين لوسائل الإعلام، وخاصة دون أى رقابة.

ويبدو أن صحافة المواطن قد سلبت سلطة القائم بالاتصال، وقوضت أركان نظرية "حارس البوابة gate keeper"، فأصبح من غير الممكن التحكم فى مضامين وسائل الإعلام الحديثة، ومن غير الممكن أو من الصعب جدا ممارسة الرقابة على الرسائل الإعلامية.

إن الحرية التى لم يتمتع بها القائم بالاتصال والصحفى فى وسائل الإعلام التقليدية، قد توافرت وأتيحت بشكل كبير للجماهير المستعملة والمنتجة لمضامين وسائل الإعلام فى نفس الوقت، ولهذا فإن عملية النشر فى نمط صحافة المواطن تقوم على نموذج "النشر ثم الغربلة والتنقيح "publish, then filter"، عكس ما كان من قبل مع الصحافة التقليدية القائمة على نموذج "الغربلة والتقييم ثم النشر filter, then publish".

لقد ساهم المواطن بشكل كبير فى نقل العديد من الأحداث والوقائع -التى غيبتها وسائل الإعلام التقليدية- إلى العالم، خاصة ما تعلق منها بالأحداث المحلية، والتى لا تحض فى الغالب بالتغطية إما بشكل عمدى من طرف القائم بالاتصال بفعل ضغوط السلطة أو بشكل غير عمدى نظرا لعدم امتلاك الوسيلة الإعلامية لمراسلين محليين فى تلك المنطقة؛ وأحسن مثال على ذلك ما شهدناه من مضامين منتجة من طرف الأفراد والمواطنين أثناء الثورات والاحتجاجات فى العالم العربى بداية 2011م، أين شهدنا غياب شبه كلى للصحفيين المحترفين، وكنتيجة لذلك اعتماد القنوات على ما يقدمه الأفراد من صور وتسجيلات.

ولهذا يعتقد الكثير من المختصين أن استخدام المواطنين لتقنيات الاتصال المحمولة(هواتف وكاميرات محمولة...) لنقل الصور وأفلام حول مختلف الأحداث، يمكن وسائل الإعلام أن توجد فى كل مكان محققة بذلك خاصية التواجد الكلى الافتراضي(ubiquitous)؛ ولعل هذا ما جعل العديد من وسائل الإعلام التقليدية تعقد اتفاقيات لتبادل المعلومات والأخبار مع مواقع ومدونات إلكترونية(مثل ما حدث مع صحيفة "International Herald Tribune" التى أمضت عقدا فى ماى 2006م مع موقع لصحافة المواطنwww.ohmynews وذلك لتزويده بالمعلومات والأخبار الإعلامية)،

ويستقطب هذا الموقع الإخبارى 02 مليون زائر يوميا، ويشارك فيه حوالى 26 ألف صحفى مواطن.

ورغم كون صحافة المواطن غير نفعية أى أن الصحفيين لا يتقاضون أجرا، إلا أن التطور الكبير لهذه المواقع والمدونات قد أصبحت تدر أرباحا على أصحابها من خلال الإشهارات، فأصبحت بعض المواقع (مثل ohmynews، وagoravox) تقدم مقابلا ماديا لأحسن المقالات والمضامين. وكذلك تقوم بعض مواقع الفيديو (مثل you tube، و myvideo) ببيع صور وأفلام فيديو لبعض المؤسسات الإعلامية والصحفية.

وبناء على كل ما سبق يبدو جليا أن هذا الشكل الصحفى الجديد المسمى "بصحافة المواطن أو إعلام الجمهور" قد جاء ليفرض نفسه على الصحافة التقليدية، ولينافس وسائل الإعلام الأخرى، فهذا الشكل الجديد يختلف تماما عن الصحافة المعروفة بها فى ذلك الصحافة الإلكترونية، لأن هذه الأخيرة يعمل فيها صحفيون ويسيرها أشخاص محترفون مثل وسائل الإعلام الأخرى (الصحافة المطبوعة، التلفزيون، الإذاعة...)، أما صحافة المواطن فيقوم بإنتاج وصناعة مضمونها أفراد عاديون وهواة دون أى رقابة فى الغالب وبحرية مطلقة، وبالتأكيد فستكون هناك انعكاسات كثيرة لهذه الحرية فى صناعة محتوى وسائل الإعلام والمشاركة الجماعية فيه من طرف الجمهور فى حد ذاته، كما يمكن لهذا النوع الصحفى المستحدث أن يؤثر حتى على وسائل الإعلام التقليدية، سواء من حيث مصداقيتها أو عدد قرائها، خاصة مع بروز ما يسمى "بالصحفيين الأحرار" (independent journalist)، وهم عبارة عن صحفيين هواة يشتغلون بصفة مستقلة، باستعمال تقنيات اتصال خاصة، وهم كثيرا ما يتعاملون مع قنوات تلفزيونية، ويمونونها ببعض البرامج والأخبار.

"السلطة الخامسة" التى تؤرق الأنظمة الدكتاتورية:

إذا كانت الصحافة بصفة عامة قد شكلت فى الماضى ما سمى بالسلطة الرابعة، بفضل تأثيراتها فى مختلف المجالات ولاسيما السياسية منها، فإن العديد من الكتاب حاليا يعتبرون صحافة المواطن كسلطة خامسة، نظرا لتأثيرها المتعاظم على الشؤون السياسية والإدارية لمختلف البلدان، ولأنها تتيح ليس فقط للصحفيين فرصة نشر ما هو ممنوع وما قد يضايق السلطة والنظام القائم، بل تتيح أيضا للأفراد والمواطنين العاديين- بما فيهم

أولئك الذين يمثلون الشرائح المهمشة وغير الممثلة فى المجتمع- إمكانية التعبير بحرية عن انشغالاتهم، وإيصال آرائهم واقتراحاتهم للحكام، وهو الشيء الذى أثار تخوف الأنظمة الشمولية المستبدة، فقامت فى عدة أحيان بحجب مواقع إلكترونية، ومدونات إلكترونية، بل قامت حتى باعتقال بعض المدونين الذين تم التعرف على هوياتهم، والزج بهم فى السجون بسبب كتاباتهم (مثل ما حدث فى تونس، مصر، سوريا، الصين...)، ولكن رغم ذلك فإن صحافة المواطن لا يمكن التحكم فيها ومراقبتها كما هو عليه الأمر مع الصحافة التقليدية، لأنه حتى وإن تم حجب موقع أو مدونة فى بلد معين ومنعه من النشر، فإن التقنيات الحديثة تتيح إمكانية بث الموقع من بلد آخر أو فى موقع إلكترونى آخر، ولذلك يمكن القول أن رقابة السلطة على وسائل الإعلام قد زالت وتلاشت ولم يعد لها معنى، ولاسيما مع التطبيقات والتقنيات الاتصالية التى تتطور وتستحدث باستمرار، مما يجعل التنبؤ بما يمكن أن يحدث فى المستقبل من أشياء جديدة ضربا من المستحيل؛ وربما قد تكون هذه الحرية اللامتناهية للتعبير عبر شبكة الإنترنت، من بين الأسباب التى جعلت عدة بلدان وأنظمة دكتاتورية تتماطل فى إيصال الربط بالشبكة فى أقطارها، وحرمان مواطنيها من استعمالها.



وسائل الاتصال الجديدة وأثرها على ثقافة المستعملين(*)

ملخص:

يهدف الباحث من خلال هذه المداخلة أن يبين دور وسائل الاتصال التفاعلية الحديثة فى التأثير على ثقافة المستعملين، وسلوكاتهم المختلفة، فوسائل الاتصال الحديثة أصبحت تلعب دورا كبيرا ومتعاظما فى المجال الثقافى بكل أشكاله وأبعاده، باعتبار أنها مرتبطة ارتباطا وثيقا بثقافة منتجها وقيمه، وبالتالى سيكون لها انعكاس على مستعملها، وعلى من يتلقى مضامينها ومحتوياتها الإعلامية. وسيركز الباحث بالخصوص على شبكة الإنترنت بحكم أنها الوسيلة الحديثة الأهم والأبرز التى تتيح بدورها عدة خدمات تفاعلية وتطبيقات إعلامية جديدة، وعدة أنواع من الصحافة الإلكترونية (الصحف الإلكترونية، المدونات، منتديات المحادثة الإلكترونية...)، كما أن تأثيرها على الشأن الثقافى بصفة عامة، جعل منها الوسيلة التى تستحق الدراسة فى هذا المجال.

(*) هذه الورقة قدمناها فى الملتقى الوطنى الأول: وسائل الإعلام والمجتمع، 28-29 نوفمبر 2010م، جامعة محمد خيضر- بسكرة.

- الكلمات الدالة: تكنولوجيا الاتصال الحديثة، التفاعلية، الثقافة، الإنترنت

- **Abstract**:

The purpose of this paper is to show how the interactive new media influence the users' cultures and behaviors. The new media play tody a great role in the cultural field, and in all its aspects and forms, because the communication technologies has a narrow relationship with their producer's culture and principle, and ,consequently, it will have many implications on the user's behavior and culture. This paper focus also to study the internet effects, which offer a multitude of services and applications as interactive communication tools, and it gives several types of electronic journalism (electronic newspaper, bloggs, discussion forums...).for this reason, The influence of internet in cultural field, deserves to be studied.

- Keywords :new communication technology, interactivity, the culture, the internet.

مقدمة:

تعتبر تكنولوجيا الاتصال الحديثة من بين الوسائل التى أحدثت تغييرا كبيرا فى المجتمع بكل مجالاته تقريبا، فلا نكاد نجد ميدانا من الميادين يخلو من استعمال تكنولوجيات الاتصال الحديثة، وتوظيفها يتم بشكل مكثف إلى درجة أننا نشهد حاليا نتائج عكسية كثيرة لهذا الاستعمال، سواء على المستوى الفردى أو على المستوى الجماعى.

ولذلك "نجد أن تكنولوجيا الاتصال قد نمت وتطورت وتمكنت من المساهمة فى تطوير الحضارة الإنسانية ورقى الجنس البشرى، وبوجه خاص ومنذ منتصف الثمانينات، حيث نجد أن العالم يمر بمرحلة تكنولوجية اتصالية جديدة تكاد التطورات التى تحدث فيها

أن تعادل كل ما سبق من تطورات فى المراحل السابقة، حيث يكاد يتغير شكل وأسلوب عمل وسائل الاتصال، إضافة إلى ظهور وسائل جديدة كان لها آثارها الاتصالية"[1].

فلم يسبق وأن عرف المجتمع البشرى تطورات سريعة الوتيرة كما يحصل الآن، على كل المستويات الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والثقافية؛ فأدت الكثير من التقنيات والوسائل المستحدثة إلى إلغاء سابقاتها وإزالتها بشكل كلى من المجتمع.

وليس بغريب أن يتم اليوم عقد مؤتمرات وندوات متعلقة بتأثيرات وانعكاسات وسائل الإعلام والاتصال الجديدة على المجتمع، كما أن البحوث الإعلامية والاجتماعية حاليا أصبحت تركز بشكل مكثف على استعمالات تكنولوجيات الاتصال، ونتائج هذه الاستعمالات النفسية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية...إلخ.

ولذلك فإن هذه الدراسة تحاول أن تنحو فى نفس المنحى، من خلال تسليط الضوء على جانب من جوانب التأثير الذى تحدثه تقنيات الاتصال الجديدة على الأفراد، ألا وهو الجانب الثقافى، الذى يعد الأهم والأخطر فى نفس الوقت، حيث إن التأثير يمكن أن يأخذ شكلا سلبيا أو إيجابيا، وذلك يتوقف على طبيعة الاستعمال، ومن يستعملها، وطبيعة خصائصه (السن، الجنس، المنطقة الجغرافية...)، فهذه العوامل كلها تجعل الأثر يختلف من فئة لأخرى ومن منطقة لأخرى.

ولدراسة الموضوع بشكل جيد وملم، فإننا تناولنا فى هذه الورقة مجموعة العناصر التالية:

- وسائل الاتصال الجديدة
- شبكة الإنترنت
- الخدمات والتطبيقات التفاعلية
- تكنولوجيا الاتصال والعولمة الثقافية

- التدفق الأحادي للمعلومات والمضامين الإعلامية

- الانعكاسات المختلفة على المستعملين

وسائل الاتصال الجديدة:

يقصد بوسائل الاتصال الجديدة التقنيات الحديثة التي ظهرت في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، فبعد ظهور وسائل الاتصال التقليدية كالتلفزيون والراديو، السينما، الجرائد، جاءت إلى الساحة الإعلامية وسائل الاتصال الجديدة، كالحاسوب، الإنترنت، وسائل التسجيل الرقمية، تقنيات الاتصال الرقمية العالية الوضوح، الصحافة الإلكترونية، وسائل الإعلام الاجتماعية الإلكترونية (social network media)، المدونات الإلكترونية (les blogs)، منتديات المحادثة الإلكترونية (discussion forums)، مواقع بث التسجيلات السمعبصرية (مثل youtube myvideo...)، وغيرها من التقنيات الاتصالية الحديثة التي لا تكاد تتوقف عن التجدد والتطور، بصفة مستمرة ومتواصلة.

ويعد استعمال هذه الوسائل الجديدة بشكل مكثف، عاملا من عوامل التغير الاجتماعي الحاصل، ومن عوامل التأثر والتأثير الثقافيين، فمستعمل هذه التقنيات لابد وأن يتأثر بها وبمضمونها، كما أنه يؤثر هو بدوره على غيره من الأفراد عبر الاحتكاك والتفاعل معهم.

شبكة الإنترنت:

تعتبر شبكة الإنترنت وسيلة اتصالية لم تعرف البشرية مثلها من قبل، سواء من حيث تطبيقاتها واستخداماتها، أو من حيث تأثيراتها وانعكاساتها، فهي وسيلة قامت باختزال كل الوسائل الاتصالية التي سبقتها، وقامت باحتوائها ودمجها، فمثلا نجد كل من التلفزيون الهاتف، الإذاعة، والصحف وغيرها من الوسائل الإعلامية قد أصبحت متاحة على الشبكة العنكبوتية، فأي شخص يمكنه اليوم أن يطلع على الصحف الصادرة في العالم، والاستماع لأي قناة إذاعية أو مشاهدة أي قناة تلفزيونية، كما يمكنه الاتصال بأي شخص في العالم وفي أي مكان يتوافر فيه الربط بشبكة الإنترنت.

وعليه، فإن شبكة الإنترنت قد أحدثت ثورة في مجال الاتصالات، لم يكن يتوقعها حتى الذين قاموا بتصميمها وإنشائها، فلم يبق مجال من مجالات الحياة إلا وأثرت فيه، فتغيرت بذلك طريقة عيش الإنسان، في عمله، دراسته وكذلك طريقة تفاعله مع غيره واتصاله بهم، فخدماتها المتعددة جعلتها تلقى إقبالا كبيرا لدى كل شرائح المجتمع.

ويعتبر الإنترنت من أبرز وسائل الاتصال الجديدة التي كان لها تأثير ثقافي شامل وكبير، سواء في شقه الايجابي أو السلبي، فتطبيقاتها المتعددة التي جلبت أعدادا كبيرة من المستعملين في ظرف وجيز، جعلت تأثيرها عميقا وبعيد المدى، فهي الوسيلة الاتصالية الوحيدة لحد الآن التي توفر معلومات وفيرة بكل اللغات والأشكال، وكما "يقول الكاتب "Watts Wacker" قامت بإرواء ظمأ وتعطش الأفراد للمعلومات"[2]. ويرى البعض أن "المحتوى المجاني يعتبر العامل الهام الذي يجذب القراء لهذه الوسيلة الجديدة"[3]، وبطبيعة الحال فإن هذا المحتوى فيه الغث والسمين والنافع وغير النافع، ومصدره عدة ثقافات، منها ما تتوافق أصولها ومبادؤها مع ثقافتنا ومنها ما لا يتوافق، وهو الأمر الذي جعلنا ننبه إلى أهمية عامل التأثير الثقافي لوسائل الإعلام الجديدة.

كما أن الخدمات التفاعلية على الشبكة لعبت دورا كبيرا -كما تشير عدة دراسات- في جلب المستعملين، الذين أصبحوا يقضون أوقاتا طويلة أمام الشاشة دون أن يشعروا بذلك.

الخدمات والتطبيقات التفاعلية لشبكة الإنترنت:

من الواضح في تكنولوجيات الاتصال الحديثة أن السمة الأساسية التي تميزها، التفاعلية (interactivity)، التي تعني اتجاه الرسالة الاتصالية في اتجاهين، بين المرسل والمستقبل، أي أن الطرفين يتبادلان الرسالة الاتصالية، ويحدث التعليق ورد الفعل والإجابة إلى غير من ذلك من العناصر المجسدة للتفاعلية، ويمكن القول أن "الصفة التفاعلية صفة طبيعية في الاتصال الشخصي، والمستخدم على الشبكة ليس مجرد مستقبل للرسائل وإنما منتج لها في ذات الوقت"[4]، فهو إما يعمل على التعليق على ما كتبه الغير، أو يرد عليه وينتقده، وبالتالي فوسائل الإعلام الجديدة -على عكس وسائل الإعلام التقليدية- تتيح فرصة أكثر للمتلقي بإبداء رأيه والتعليق على الرسالة بشكل آني ومتزامن.

وتعنى التفاعلية interactivity انتهاء فكرة الاتصال الخطيlinear أو الاتصال فى اتجاه واحد من المرسل إلى المتلقي[4]، وهو النموذج الذى كان من قبل مع وسائل الإعلام التقليدية، التى لا تتيح مجالا للمتلقى وتجعله يستهلك مضامينها بشكل سلبى، أما وسائل الاتصال التفاعلية فهى تجعله يتخلى عن التلقى السلبي ويتبنى التلقى الفعال والنشيط.

وتوفر شبكة الإنترنت خدمات وتطبيقات تفاعلية عديدة، حققت بدورها نجاحا باهرا جعلها تنافس خدمات سابقة، وحتى أنها تنافس وسائل إعلامية (تقليدية) قائمة بذاتها، كالتلفزيون والراديو والصحف الورقية؛ ومن بين هذه الخدمات التفاعلية نذكر أهمها:

- المدونات الإلكترونية (blogs): وهى عبارة عن مواقع شخصية تنشر كتابات ومقالات وحتى تسجيلات فيديو، يملكها غالبا أفراد، أو مؤسسات وهيئات إعلامية وتجارية وثقافية، وهى تنشر مضامينها وترتبها ترتيبا كرونولوجيا وفقا لتاريخ إنشائها، ويمكن للقراء التفاعل معها والتعليق والنقد. و"نظرا لنجاحها وقدرتها على التعبير عن مطالب وتطلعات الفئات المهمشة تشهد المدونات تزايدا هائلا فى عددها وعدد مستعمليها، فمثلا وصل عدد المدونات بإيران إلى ما يقارب 250 ألف مدونة وفى مصر ما يقارب 30 ألف مدونة"[6].

- مواقع الشبكة الاجتماعية: وهى مواقع للتواصل الاجتماعى بين المستعملين، ولإقامة العلاقات الاجتماعية، ومن أشهرها فايسبوك (facebook)، ماى سبايس (myspace)، الذى يبلغ عدد مستعمليه 200 مليون مستعمل[7]، تويتر(twitter)... إلخ.

- منتديات المحادثة الإلكترونية: وهى عبارة عن تطبيقات وبرمجيات اتصالية تفاعلية تسمح للمستعمل بالتواصل مع الآخرين فى الوقت الحقيقى المتزامن (synchronique) مثل: مجموعات الأخبار، وغرف الدردشة، والتراسل الفورى، وبرمجيات السكايب (skype) وفى الوقت اللاتزامنى (asynchronique) مثل منتديات النقاش والبريد الإلكترونى.

ومن بين الإشكاليات التى تخطر فى بالنا حينما نتكلم عن التأثير السلبى لوسائل الاتصال الجديدة نذكر قضيتى العولمة الثقافية والتدفق الأحادى للمعلومات والمضامين الإعلامية، اللتين أخذتا قدرا معتبرا من اهتمام المختصين، لأن المهتمين بالشأن الإعلامى على المستوى الدولى يدركون حساسيتها وخطورتها على المجتمعات المحلية لاسيما الفقيرة منها.

1 تكنولوجيا الاتصال والعولمة الثقافية:

من دون شك، فإن وسائل الإعلام تؤدى بجدارة مهمة الترويج للقيم الثقافية للعولمة، ونشرها فى مختلف مناطق العالم، ولاسيما وسائل الإعلام الجديدة منها، فهى قادرة على تحقيق مساعى العولمة كتنميط ثقافات الشعوب، وقادرة على تجسيد ما يرمى إليه الإعلام الغربى المعولم، ولا سيما شبكة الإنترنت، التى يعتبرها العديد من الكتاب والمختصين كوسيلة لنشر قيم العولمة بجدارة، وتحقيق غاياتها خاصة فى المجال الثقافى، فلا توجد وسيلة إعلامية فى عصرنا الحالى أهم وأنفع للعولمة بكل أشكالها -ولاسيما الثقافى والإعلامى- فهى العربة التى تنقل عدة ثقافات وقيم وأنماط سلوكية ومضامين لعدة متلقين فى كل أنحاء العالم، بكل سهولة وبتكلفة قليلة.

وعليه، فإن شبكة "الإنترنت ليست كغيرها من وسائل الإعلام، فهى كونية وعالمية[8] mondial et universel، وهذه الخاصية تجعلها جديرة بنقل قيم العولمة وتجسيد أهدافها.

يقول (Baylon وmignot) بأننا نعيش في"حضارة اتصال une civilisation de communication[9]، أى أن العصر الحالى يتميز بالاتصالات المتعددة الأشكال والوسائل والتقنيات الحديثة، وبالتالى فإن الوسائط متوفرة لنقل كل أشكال المضامين والمعلومات والمحتويات الثقافية، وبطبيعة الحال تكون هذه الثقافات مرتبطة غالبا بمُصنع هذه الوسائل الاتصالية، ولذلك كثيرا ما نشهد تعالى أصوات تنادى بإعادة النظر فى النظام الدولى

للإعلام، الذى يتسم بالتدفق الأحادى والأفقى للمعلومات والمضامين الإعلامية، من الضفة الأخرى (الغرب والعالم المتقدم عموما).

2- التدفق الأحادى للمعلومات والمضامين الإعلامية:

من بين الأمور التى تزيد حدة سلبية وسائل الإعلام الجديدة وخطورة مضمونها، قضية التدفق الأحادى للمعلومات، وهو ما يساعد على تحقيق أهداف الإعلام الغربى فيما يخص الغزو الفكرى والاختراق الثقافى، وهو التدفق الذى يصدر من الدول الغربية المالكة لأغلبية أو لأهم وأكبر وسائل الإعلام على المستوى الدولى.

وفى ظل الغياب العربى فى مجال الإعلام على المستوى الدولى وحتى المحلى، أصبحت القيم المحلية عرضة للتهديد من طرف السيل الجارف من القيم العالمية الغربية على الخصوص، التى تتدفق من جهة واحدة وتغمرنا بدرجة لا نقدر فيها لا على المواجهة ولا على الحفاظ على أدنى قدر من قيمنا وثقافاتنا، خاصة فى عصر الانفجار المعلوماتى والتطور اللامتناهى لتقنيات الاتصال الحديثة، التى تضخ كميات كبيرة من المضامين الإعلامية.

وفى سبعينيات القرن الماضى طغى النقاش حول التدفق غير المتكافئ للمواد الثقافية والإعلامية على المجتمع الدولى، وكانت اليونسكو المنبر الأساسى للتعبير عن الموضوع، لكن تدخلت العديد من العوامل لإفشال المناقشات حول خلل التدفق غير العادل والمتكافئ، حيث إن الموقف الأمريكى كان يريد فرض أطروحة حرية تدفق المعلومات والإعلام[15]، وذلك لضمان الاستمرار على الوضع الراهن، والذى يخدم الأهداف الرأسمالية وغايات العولمة الثقافية.

ورغم هذه المعاداة والعرقلة من طرف الغرب وأمريكا، إلا أن الأصوات التى تنادى بضرورة التغيير والتعديل فى النظام الإعلامى الدولى لم تسلم أمرها، ولا تزال تدعو لإيجاد بديل للتدفق الأحادى للمعلومات، وتتمثل هذه الأطراف فى منظمات المجتمع المدنى والمنظمات الدولية والإقليمية.

و"فى العقد الأخير من القرن العشرين اتسعت النقاشات الكثيفة فى المؤسسات الدولية المختلفة، أمثال منظمة اليونسكو، ومنظمة التجارة العالمية والاتحاد الدولى للاتصالات والمنظمة العالمية للملكية الفكرية والاتحاد الأوربى، وظهر التباين واضحا بين مشاريع النظام الإعلامى الجديد، وتزامن ذلك مع حرص المجتمع المدنى المنظم على إسماع صوته ووعيه بأهمية المسألة التقنية بالنسبة لمصير الديمقراطية. لذا فإن دلالات العديد من المفاهيم، مثل الحق فى الاتصال، والمشاركة،...أصبحت تشكل رهانات سياسية وفكرية"[11].

ولذلك فإن تنامى استعمال تكنولوجيا الاتصال جعل المطالبة بنظام إعلامى دولى جديد ضرورية أكثر، خاصة إذا علمنا أن معظم هذه الوسائل والتقنيات مملوكة من طرف الدول الكبرى أو مسيرة من قبلها، عبر مؤسساتها وشركاتها الضخمة، مما يجعل عامل التدفق الأحادى عاملا جوهريا فى تحديد طبيعة التأثير الثقافى وحدته، فمن الطبيعى أن يكون التأثير الثقافى من طرف منتج الوسيلة الإعلامية ومنتج مضمونها، وبالتالى سيتبع ذلك اختراقا ثقافيا وهيمنة ثقافية لصالح القوى الإعلامية الكبرى المالكة لوسائل الاتصال جديدها وقديمها.

الانعكاسات المختلفة على المستعملين:

تعتبر الاتصالات التى تتم عبر شبكة الإنترنت، ذات آثار وانعكاسات على عدة مستويات، وعلى مختلف الجوانب (الاجتماعية، النفسية، المعرفية والسلوكية...)، وهى إما انعكاسات إيجابية أو سلبية، وهذا شيء طبيعى لأن الإنترنت كغيرها من وسائل الإعلام والاتصال، لابد وأن تحدث أثرا على مستعمليها وتغييرا، سواء كان فى الجانب الثقافي[12]، الاجتماعي[13]، السلوكي[14]، اللغوي[15]، أو السيكولوجي[16]، إلى غير ذلك من الجوانب التى يمكن أن يلحقها هذا التأثير؛ ولهذا يتساءل "سعيد بومعيزة" فى معرض حديثه عن تأثير وسائل الإعلام على الأسرة والأطفال قائلا: إذا كان هذا التأثير إبان محدودية وسائل الإعلام، فما هو الوضع فى عصر التفتح والتكنولوجيا والدعائم الإلكترونية؟"[17]، لأن تأثيرها سيكون أعمق من قبل، نظرا لتطورها ولتعدد تقنياتها

وخدماتها، فمن دون شك كلما تطورت وسائل الإعلام والاتصال كلما زادت حدة تأثيراتها ووقع انعكاساتها.

1. الانعكاسات الاجتماعية:

يمكن القول إن الأثر الأساسي للاستخدام المفرط لتطبيقات الإنترنت الإلكترونية، يتمثل في علاقة الفرد بمحيطه الاجتماعي، ونسبة احتكاكه به، حيث إن العديد من الدراسات التي تناولت هذه الجوانب بينت أن هؤلاء الأفراد يحدث لهم نوع من العزلة والانفراد، وتراجع مدة جلوسهم مع أفراد عائلاتهم وأصدقائهم.

ففي دراسة قام بها (كريستوفر سانديرز) نشرت في صيف سنة 2000م، تبين أن هناك علاقة بين استعمال الإنترنت ومشاعر العزلة الاجتماعية والاكتئاب"[18]، وقد بينت دراسة أخرى[19] أن الاستعمال الزائد للإنترنت كانت له علاقة مع انخفاض الاتصالات العائلية، ونقص حجم الدائرة الاجتماعية المحلية للعائلة، مع زيادة مشاعر الاكتئاب والوحدة، فالتقنيات الاتصالية للإنترنت تجعل الفرد يشعر بمتعة وانبساط، نظرا لإمكانية الحديث مع أشخاص من كل أنحاء العالم وفي الوقت الآني المتزامن، وهذا ما يجعله يستغرق في النقاشات ويقضي أوقاتا دون أن يشعر، وبالتالي "ينفصل عن المجتمع الحقيقي ويدخل في مجتمعات افتراضية"[20]، ويصبح شخصا غريبا عن مجتمعه، وينقص اهتمامه بقضاياه وبأحداث محيطه الاجتماعي، ومع مرور الوقت يتحول إلى شخص منعزل تماما عن بيئته الاجتماعية، ويصيبه ما يسمى "بالانعزال الذاتي le repli sur soi"[21]، ويزداد ارتباطه بأصدقائه الافتراضيين، إلى درجة أن يفقد الرغبة في الجلوس لمدة طويلة مع أفراد عائلته وأصدقائه؛ ويعود هذا الارتباط الشديد بالجماعة الافتراضية وبمنتديات المحادثة الإلكترونية، إلى كون هذه المنتديات "توفر بيئة يقوم فيها الأفراد بتطوير شعور الانتماء والهوية الاجتماعية (social identity)، وتوفر بنيات اجتماعية موجودة في المجتمع الحقيقي"[22]، بالإضافة إلى الأثر المحتمل على العلاقات الزوجية، والتي قد تتدهور بشكل كبير وتؤدي حتى إلى الطلاق، خاصة إذا انغمس أحد الطرفين في علاقات افتراضية غير شرعية[23].

ولهذا فإن الاستعمال المتواصل لشبكة الإنترنت وخدماتها الاتصالية يهدد بشكل مباشر كيان العلاقات الحقيقية وجها لوجه، ويحدث قطيعة بين الأفراد، مما يؤدى إلى زوال النسيج الاجتماعى التقليدى، وحلول نسيج اجتماعى افتراضى محله، يتميز "بانعدام حميمية الجوار والتقارب"[24].

وكنتيجة لهذا الانعزال والانفصال الاجتماعى، يحدث نوع من التفكك الاجتماعى، وتطغى النزعة الفردية على الجماعية ويتراجع الاهتمام بقضايا الجماعة؛ لكن هذا الانعزال لا يجب أن يجعلنا نغفل عن العلاقات الجديدة التى يكتسبها الفرد مع أفراد من كل الأنحاء، فهو يتعرف على أفراد جدد كل يوم، ورغم ذلك فإن هذه العلاقات لا يمكن أن تحل محل العلاقات الواقعية مع محيطنا الاجتماعى، ويمكن كذلك لهذه الاتصالات أن تقرب بين شعوب العالم، وتعرف بعضهم بتقاليد البعض الآخر، وتقرب بين آرائهم وأفكارهم، ويمكن أن تؤدى كذلك إلى حصول "التجانس الثقافي"[25] الذى يجعل ثقافات الأفراد تتعايش وتتقارب فيما بينها، وتتمازج لتأخذ كل واحدة عن الأخرى ما يناسبها ويخدمها. ومن الانعكاسات التى تحدث كذلك من جراء استخدام منتديات المحادثة الإلكترونية باعتبارها وسيلة اتصال،"الاغتراب الثقافى والتنميط الاجتماعي"[26]، الذى يجعل الفرد يشعر وكأنه لا ينتمى إلى ثقافة مجتمعه، وتبدأ أعراض التملص من عادات مجتمعه وتقاليده، وتبدو أعراض التشبث بالقيم الغربية، وأنماطهم الثقافية الناتجة عن كثرة الاحتكاك بهم والاتصال معهم.

2.الانعكاسات المختلفة على السلوكات والمواقف:

يمكن لمستعملى الإنترنت ولاسيما تطبيقاتها الاتصالية الإلكترونية، أن يتأثروا بالأشخاص الذين يتواصلون معهم، فيحدث جراء ذلك تغيرا فى سلوكاتهم وتصرفاتهم، كما تتغير كذلك مواقفهم واتجاهاتهم المختلفة، لأن "اكتساب الاتجاهات الاجتماعية لدى الفرد يتم عن طريق التفاعل الذى يحدث بين الفرد وغيره من أفراد المجتمع"[27]، ونظرا لاندماج الفرد كلية فى الاتصال مع أشخاص آخرين، يحدث له نوع من الشعور بالولاء والانتماء، والالتزام بمعايير جماعته الافتراضية، وبالتالى تبنى مواقفهم وأفكارهم

واتجاهاتهم، بالإضافة إلى ذلك فإن المحادثة لأوقات طويلة يجعل الفرد يتخلى عن سلوكات كان يقوم بها لتحل محلها سلوكات غيرها، ولهذا يحذر المختصون من أخطار وانعكاسات الاتصالات الإلكترونية على الأطفال والمراهقين، ومن إمكانية انحراف سلوكاتهم وأخلاقهم.

3.الانعكاسات على الجانب الديني والأخلاقي:

من أخطر الانعكاسات التي يمكن أن تنتج عن الاستعمال المفرط للخدمات الإلكترونية، تلك المتعلقة بالجانبين الديني والأخلاقي، حيث إن مناقشة مواضيع تافهة ومنحرفة أخلاقيا، ولاسيما تلك المتعلقة بالجنس، قد تؤدي إلى "تدهور منظومة القيم"[28] وانحطاط أخلاقي لدى الأفراد، لأن الحديث الإلكتروني قد يكون مع أشخاص جديين ومتخلقين كما قد يكون مع أشخاص منحرفين لا قيم لهم ولا مبادئ، وهذا ما يشكل خطرا خاصة بالنسبة للأطفال والمراهقين، الذين قد يتعرضون لنقاشات إباحية تؤدي إلى انحراف سلوكاتهم بشكل كبير؛ بالإضافة إلى هذا فإن استغراق أوقات طويلة في استعمال الإنترنت قد يؤدي إلى تهاون في أداء الواجبات الدينية، إلى غير ذلك من العواقب التي تنجر عن الإدمان الإنترنتي؛ وهناك من يستعمل بعض الخدمات للقدح في الأشخاص وانتهاك خصوصياتهم، أو لاستفزاز طرف معين، أو لإجراء نقاشات عنصرية، وهذا ما جعل العديد من الجهات تطالب بوضع قوانين تلزم مسيري ومصممي هذه المنتديات ومزودي خدمة الإنترنت بمراقبة محتوى حلقات النقاش[29]، وللإشارة فإن هناك كثيرا من البلدان التي تملك تشريعات وقوانين في هذا المجال، تعمل على وضع حدود وإجراءات ردعية وتنظيمية[30].

4.الانعكاسات النفسية:

من بين الآثار التي تسببها الأوقات المتواصلة أمام الشبكة الإلكترونية، الإصابة بالإحباط النفسي، والإحساس بالقلق بسبب قضاء أوقات طويلة، ولا سيما إذا كان هذا الاستعمال عشوائيا أي دون هدف محدد مسبقا، أو إذا أجرى نقاشا في موضوع تافه لا ينفع كالمواضيع الإباحية، فإنه من دون شك سيشعر في الأخير بالذنب وتضييع المال والوقت، وهو ما يؤدي به إلى الشعور بالإحباط النفسي والمعنوي[31].

1.5 الانعكاسات الثقافية:

يمكن القول أن الانعكاسات الثقافية لوسائل الاتصال الجديدة على المستعملين هى الانعكاسات الأهم والأخطر فى نفس الوقت، فمما لا شك فيه أن استعمال الإنترنت كوسيلة اتصال لا يخلو من تأثير وتأثر بثقافات الغير، فالشخص الذى يتحادث ويتفاعل مع شخص آخر مختلف عن ثقافته ومجتمعه، لابد وأن ينقل كل واحد منهما أفكارا للآخر، ويسوق له ثقافته وقيم مجتمعه، فالاتصال أصبح ملازما للثقافة، وكما يقول (فلاح كاظم) فإن "التكافل والتفاعل بين الثقافة والاتصال قد غدا فى عصرنا الراهن أكثر وضوحا فى أى وقت مضى"[32]، بسبب التطور الحاصل فى التقنيات الاتصالية وتطبيقاتها المختلفة، ومن الأخطار المحتملة على المستعملين، خطر التغريب الثقافى، والذى يمس الشباب بالخصوص، ويجعلهم يتخلون عن ثقافتهم وخصوصيتهم، ويتنكرون من عاداتهم وحضارتهم متشبثين بالقيم الغربية، وينجر عن هذا الانخداع بالثقافة الغربية، اهتمام بالغ بكل ما يفعلونه (سلوكات، عادات، لباس...)، واهتمام بلغتهم إلى درجة إهمال اللغة الأم، بسبب الركض وراء استعمال اللغات الأجنبية قبل تعلم اللغة الأم؛ وينجر عن كل هذا "تفقير للغة المستعملة(appauvrissement du language courant) وبالتالى يحدث عجز فى القدرة على الاصطلاح (capacité a conceptualiser) وقصور حتى فى التفكير الحر"[33].وهناك من يرى على العكس من ذلك، أن هذا التنوع الثقافى عبر تطبيقات وخدمات الإنترنت الإلكترونية، هو عامل ايجابى من الناحية الثقافية إذا أحسن استغلالها، خاصة من ناحية تعلم اللغات الأجنبية، والتعرف على ثقافات الشعوب والأمم، واكتساب معارف ومعلومات جديدة. وكما تقول (Elizabeth Reid) "تعتبر منتديات المحادثة الإلكترونية فضاء خصبا للأفكار الجديدة"[34]، حيث تطرح مختلف الأفكار والآراء من طرف أشخاص لهم مستويات علمية وثقافية متعددة، فيمكن للفرد أن يكتسب معلومات ومعارف كثيرة عبر التفاعل والاحتكاك بهم.

ويرى الكاتب (Chevalier J-M) وآخرون أن "الإنترنت قد أحدثت وأوجدت حقلا جديدا للتفاعل وشكلا من أشكال نقل المعلومات"[35]، حيث إن الأفراد بإمكانهم

تبادل المعارف المختلفة، والحصول على المعلومات (خاصة بالنسبة للأفراد غير القادرين لاقتناء مصادر المعلومات المختلفة)[36]، وجعل ثقافاتهم تنتشر بين شعوب العالم، وهذا ما يؤدى إلى تلاقح وتزاوج هذه الثقافات، ولهذا يعتبر(wolton) أن الاتصال من بين الوسائل التى تساهم فى التقريب بين الأفراد والقيم والثقافات"[37].

وحسب بعض المختصين، فإن الاستخدام المتواصل والمفرط لخدمات الإنترنت له آثار على القدرات الذهنية والإدراكية للفرد، حيث إنه يصاب بتعب وإنهاك، ويقلل من قدرته على التركيز والتفكير، كما أن الوقت الذى يخصص للدراسة والمطالعة سيتراجع بنسبة كبيرة بسبب قضاء أوقات طويلة فى الإبحار عبر خدمات الإنترنت، بالإضافة إلى أن المحادثة الإلكترونية والكتابة وإنتاج المضامين باللغة الانجليزية بدرجة كبيرة يؤدى إلى المساهمة فى هيمنة هذه اللغة على الشبكة العالمية، وبالتالى تهميش اللغات الأخرى(كالعربية)، وهو ما يؤدى بدوره إلى "تقليص إمكانيات التعبير وبالتالى إلى تنميط الثقافة"، ولعل هذا ما أدى باليونسكو فى قمة مجتمع المعلومات الأخيرة بالمناداة وبتشجيع التنوع الثقافى واللغوى فى الشبكة[38].

كما تساهم المحتويات الترفيهية لوسائل الإعلام الجديدة فى تسطيح ثقافات الأفراد، وجعلهم يهتمون بالقضايا الهامشية التى لا تهمهم ولا تتعلق بمشاكل مجتمعهم الحقيقية، وبالتالى تحصل لهم حالة من الاغتراب الثقافى، بفعل ارتباطهم بثقافات الغير وعاداتهم، عبر التعرض لمضامين إعلامية أعدت خصيصا لذلك.

خاتمة:

فى النهاية يمكن القول أن وسائل الإعلام الجديدة ليست كلها شر، فلها انعكاسات وآثار سلبية كما لها آثار ايجابية، فمثلا لا يمكن إغفال الوظيفة التثقيفية لوسائل الاتصال الحديثة، والوظيفة التعليمية، فاليوم نجد أكبر الجامعات والمدارس تعتمد بنسبة كبيرة على تكنولوجيات الاتصال، لتحديث العملية التعليمية، كما لا يمكن كذلك إغفال دورها فى البحث العلمى وإتاحة مصادر المعرفة والثقافة.

بالإضافة إلى دورها الكبير من الناحية السياسية، حيث تساهم فى نشر الوعى السياسى عبر تقديم نظرة بديلة ومضامين مختلفة عن تلك التى تقدمها وسائل الإعلام التقليدية السائدة، وأحسن دليل على دورها السياسى ما حدثها فى الدول العربية مطلع سنة 2011م.

قائمة المصادر والمراجع:

1) محمود علم الدين: تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحافة، القاهرة:دار السحاب، 2005م، ص138.

2) Shayne Bowman , Chris Willis : We media, How audiences are shaping the future of news and information, USA :The Media Center at The American Press Institute, 2003, p 17.

3) Jim Hall : Online Journalism, A Critical Primer, London : pluto press, sans date, p 170.

4) رحاب الداخلي: إنترنت الاتصال في محمد سيد محمد وآخرون: وسائل الإعلام من المنادى إلى الإنترنت، القاهرة: دار الفكر العربي، 2009م، ص 62.

5) محمد عبد الحميد: الاتصال الرقمي، في محمد سيد محمد وآخرون: وسائل الإعلام من المنادى إلى الإنترنت، القاهرة: دار الفكر العربي، 2009م، ص 27.

6) حسن علي: المدونات والمدونون، في محمد سيد محمد وآخرون: وسائل الإعلام من المنادى إلى الإنترنت، القاهرة: دار الفكر العربي، 2009م، ص 269.

7) نفس المرجع، ص 290.

8) J-J bertolus, renaud de la baume : la révolution sans visage, paris : Belfond, 1997. p.08.

9) ChristianB.,XavierM. :lacommunication, 2em.ed.,paris :Nathan,1999.

10) انظر: أرمان وميشال ماتلار: تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة نصر الدين العياضي، الصادق رابح ط3 ، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2005م، ص 134.

11) نفس المرجع، ص 205.

12) طه عبد العاطي نجم : : الاتصال الجماهيري في المجتمع العربي الحديث، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005م.ص 34.

13) سلوى عثمان عباس الصد يقي، أميرة منصور يوسف علي: الاتصال والخدمة الاجتماعية، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 2005م.ص ص 16-83.

14) Shahinaz M. Talaat: the effects of mass media on society, Cairo: Cairo university,2001, p.80.

15) Zartarian V., Noël E. : : cybermonde : ou tu nous mènes grand frère ?, Genève : Georg, 2000.. p. 124.

16) رأفت نبيل علوة: شبكات الاتصال ، عمان: مكتبة المجتمع العربي ، 2007م ، ص 42.

17) السعيد بومعيزة: "تأثير وسائل الإعلام في المجتمع" المجلة الجزائرية للعلوم السياسية والإعلام،ع.01(2001-2002)،ص 60-61.

18) أحمد محمد صالح: "حياة على شاشة الإنترنت" مجلة العربي، ع515، (01/ 10/ 2001).. ص 2.

19) نفس المرجع.

20) Philippe Breton : le culte de l 'Internet, une menace pour le lien social, Paris : la découverte, 2000.. p.105.

21) " la révolution des communication " Encarta 2008.

- Papakadis M..: " people can create a sense of community in cyberspace (www.sri.com/policy/csted/reports/sandit), (10/04/2008).

- Beatriz L.A.Mileham: "online infidelity in internet chat rooms: an ethnographic exploration" computer in human behaviour, n.23 (2007), p.11-31.

- Picourt P.O.: op.cit. p.131.

- Philippe Bretton : le culte de l 'Internet, op.cit. p52.

22) محمد محمود ذهبية : الإعلام المعاصر، عمان : مكتبة المجتمع العربي،2007م.. ص48.

23) الدسوقي عبده إبراهيم: وسائل وأساليب الاتصال الجماهيرية والاتجاهات الاجتماعية، الإسكندرية: دار الوفاء، 2004م، ص 143.

24) وليد أحمد المصري: الأسرة العربية وهوس الإنترنت"مجلة العربي ع.573، (2006/08/10)..

25) Le forum des droits sur Internet : " quelle responsabilité pour les organisateurs de forums de discussion sur le web ? "08-juil2003, (www.foruminternet.org).

- www.wikipidia.fr, (01/12/2007).

- Michel (L.y.), Cheryl (A), Kimberly (J.M): "depressive symptomatology, youth internet use, and online interactions: a national survey" journal of adolescent health n.36 (2005), pp.9-18.

26) فلاح كاظم المحنة: علم الاتصال بالجماهير،الأفكار،النظريات،الأنماط،عمان: مؤسسة الوراق،2001. ص 420.

27) Zartarian V., Noël E.:op.cit p.124.

28) Elizabeth M R: communication and community on Internet relay chat, master thesis, Melbourne: Melbourne university, 1991p.06.

29) Chevalier j-M. : op.cit p. 33.

30) Roger C.W.Harris: information and communication technologies for poverty Alleviation, Malaysia: UNDP-APDIP, 2003, p.03.

31) Dominique W.:penser la communication, paris: flamarion, 1997 .p.13.

32) اليونسكو: التنوع لثقافى واللغوى فى مجتمع المعلومات،تر.علال الإدريسى، باريس.:اليونسكو، 2005.ص.23.



-الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال الحديثة من طرف الأفراد: الآثار والانعكاسات-(*)

ملخص:

الهدف من هذه الورقة هو تحديد الآثار والانعكاسات الناتجة عن الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال الجديدة، سواء كانت انعكاسات على الجانب النفسي أو الاجتماعي. وسيركز الباحث في مداخلته على شبكة الإنترنت، باعتبار أنها الوسيلة الأبرز من بين وسائل الإعلام الجديدة، والتي يتعاظم دورها واستخدامها في المجتمعات المعاصرة، وبالتالي تتزايد مع ذلك آثارها على الأفراد المستعملين وعلى المجتمع ككل. ولذلك فإن ظاهرة "الإدمان الاتصالي" جعلت الأفراد يغرقون في عالم افتراضي أو كما يسميه المختصون "المجتمعات الافتراضية virtual societies"، ويشكلون لأنفسهم "هويات افتراضية" يتعاملون بها مع نظرائهم من الأفراد المستعملين لتطبيقات الشبكة العنكبوتية المختلفة. كما أن التعرض المستمر لمضامين هذه الوسائل والتطبيقات التكنولوجية الحديثة، قد تجعل الفرد ينشغل عن اهتماماته وقضاياه المصيرية، وينعزل عن محيطه الاجتماعي، وبالتالي تقل نسبة احتكاكه بمن يحيطون به، مع ما يمكن لذلك أن يحدثه من آثار على الفرد والمجتمع بصفة عامة.

(*) هذه المحاضرة قدمناها في الملتقى الوطني "تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة على الأفراد والمجتمعات"، جامعة فرحات عباس – سطيف، 2010م.

الكلمات الدالة: شبكة الإنترنت، الانعكاسات، الإدمان الاتصالي، المجتمع الافتراضي.

Abstract : The purpose of this paper is to demonstrate the implications and consequences of the excessive use of new media, either on the psycological or social aspects. We will focus on the internet, as the most important medium, which is used increasingly in the modern society, and ,consequently, its implications increasing at individual and collective scale. the phenomenon of " communication addiction " made the individuals involved in virtual world, that the scolars called " virtual societies ", and they formed " virtual identities " with which they communicate with other users of internet services. the continuing exposure to new media contents, make the person disinterested to his important issues, and isolated from his social enviroment, and decreased the social contact with others.

Keywords : internet, the implications, communication addiction, virtual society.

مقدمة:

لقد عرفت البشرية منذ فجر التاريخ عدة تطورات وتحولات اجتماعية، كان أبرزها على الإطلاق، التطور والتحول الحاصل في المجتمعات المعاصرة بفعل تكنولوجيات الاتصال الحديثة، والتي غيرت تقريبا كل نواحي الحياة، وأثرت في معظم أنشطتها، حيث اقتحمت وسائل الاتصال هذه كل مجالات الحياة، وأجبرتها على التعامل معها كواقع لابد منه، وعلى التفكير في كيفية إدماجها في أنشطتها وأعمالها.

و"نجد أن تكنولوجيا الاتصال قد نمت وتطورت وتمكنت من المساهمة في تطوير الحضارة الإنسانية ورقي الجنس البشري، وبوجه خاص ومنذ منتصف الثمانينيات، حيث

نجد أن العالم يمر بمرحلة تكنولوجية اتصالية جديدة تكاد التطورات التى تحدث فيها أن تعادل كل ما سبق من تطورات فى المراحل السابقة، حيث يكاد يتغير شكل وأسلوب عمل وسائل الاتصال، إضافة إلى ظهور وسائل جديدة كان لها آثارها الاتصالية"[1].

" إن عصر الإعلام الكونى ألغى حواجز العزلة بين الحضارات، كما أن السرعة المتزايدة والفائقة والمستمرة التى تدور بها اليوم عجلة تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دفعت العالم إلى الانتقال من المجتمع الصناعى إلى مجتمع المعلومات لتعصف ثورة المعلومات والتكنولوجيا متعددة الوسائط جوانب الحياة كافة، فى التجارة والسياسة والتربية والتعليم إلى التسلية والألعاب"[2].

ومن الوسائل الاتصالية التى ميزت هذا العصر وأحدثت القدر الأكبر من التأثير والتغيير، شبكة الإنترنت العالمية، التى تختلف كثيرا عن وسائل الاتصال التى سبقتها، سواء من حيث استعمالاتها، خدماتها، عدد مستعمليها، أو انعكاساتها وتأثيراتها على مختلف المجالات، وقد قامت باختزال كل الوسائل الإعلامية والاتصالية الأخرى واحتوائها، فيمكن اليوم من خلالها الاطلاع على كل صحف وجرائد العالم، ومشاهدة كل القنوات التلفزيونية الدولية، والاستماع لكل القنوات الإذاعية، ويمكن كذلك الاتصال مع الآخرين مهما كان مكانهم فى كل أنحاء الكرة الأرضية التى يتوافر فيها الربط بالشبكة العنكبوتية، إلى غير ذلك من المجالات الأخرى التى لحقها تأثير الإنترنت ووسائل الاتصال الجديدة المختلفة، والتى جعلت عالم اليوم يعيش"ثورة جديدة من نوع خاص، فاقت فى إمكاناتها وآثارها كل ما حققه الإنسان من تقدم حضارى خلال وجوده على الأرض"[3]، فالتقدم الحاصل فى النصف الثانى من القرن العشرين، قد يعادل كل الفترة السابقة التى عاش فيها الإنسان، وتعوض كل ما توصل إليه؛ وإذا كانت وسائل الإعلام الأخرى مجتمعة قد أحدثت جزءا كبيرا من هذا التغيير والتأثير على حياة الأفراد، فإن الإنترنت عندما ظهرت قد تجاوزت كل هذه الوسائل، وأصبح تأثيرها يعادل بل يتجاوز تأثير كل الوسائل الأخرى، نظرا لتميزها بخصائص كثيرة وإتاحتها لخدمات واستعمالات متعددة، لم تكن موجودة من قبل فشبكة "الإنترنت ليست كغيرها من وسائل الإعلام، فهى ذات طابع كوني"[4]، ومتاحة

لكل الأفراد دون استثناء، صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم؛ والشيء المهم الذى جعلها تتميز عن وسائل الإعلام الأخرى، هو طابعها التفاعلى، فالمستعمل يمكنه أن يشارك فى مضمونها، ويضيف أو يغير أى شيء، ويمكنه أن يختار الخدمة التى يشاء.

وتعتبر هذه السهولة فى الاستعمال وإتاحة الوصول لخدماتها المتعددة، من أهم العوامل التى جعلت شبكة الإنترنت تستقطب نسبة هامة من المستعملين، بكل الفئات والمستويات الثقافية والعلمية. وفى الحقيقة فإن استعمال هذه الوسيلة الاتصالية الحديثة يختلف عن استخدام وسائل الإعلام الأخرى، فالفرد بإمكانه أن يقضى أوقاتا طويلة دون أن يشعر أمام الحاسوب، لأن الإنترنت تقدم عدة خدمات تجلب الاهتمام، كمحركات البحث، منتديات المحادثة الإلكترونية، المدونات، مواقع الشبكة الاجتماعية (social media)، البريد الإلكترونى، إلى غير ذلك من التطبيقات، بالإضافة إلى توفيرها كل وسائل الإعلام التقليدية، كالصحف والمجلات الإلكترونية، والبث الإذاعى والتلفزيونى على الشبكة والمكتبات الافتراضية.

وقد أدى هذا الاستعمال المفرط لشبكة الإنترنت وخدماتها المختلفة، إلى حصول ما يسميه (فيليب بروتون) "بالثمالة الاتصالية"[5] (l'ivresse de communication)، وبالتالى أدى ذلك إلى حدوث عدة انعكاسات على الأفراد المستعملين وعلى المستوى العام للمجتمع، سواء كانت انعكاسات اجتماعية، نفسية، أخلاقية، أو ثقافية.

ومن بين أبرز المفاهيم المرتبطة باستخدام تكنولوجيا الاتصال والإنترنت، مفهومى "المجتمع الافتراضي" و"المجتمع الجماهيرى المتفرد"، ويعتبر الأول سببا فى ظهور الثانى، أى أن استعمال الإنترنت بشكل مفرط أدى إلى ظهور مجتمعات افتراضية، أدت بدورها إلى بروز مجتمعات جماهيرية منفردة.

شبكة الإنترنت والمجتمعات الافتراضية:

لقد أدى الاستخدام المفرط لشبكة الإنترنت والإقبال المتزايد على خدماتها، إلى تشكل ما يسمى بالمجتمعات الافتراضية (virtual societies)، التى تتكون من هويات لأفراد حقيقيين، يتواصلون فيما بينهم لأغراض ودوافع مختلفة.

ويعرف (محمد منير حجاب) المجتمع الافتراضى بأنه "مجتمع يتكون من أشخاص متباعدين جغرافيا، ولكن الاتصال والتواصل بينهم يتم عبر الشبكات الإلكترونية، وينتج بينهم نتيجة لذلك نوع من الإحساس والولاء والمشاركة"[6]، ويعرفه (Serge Broulx) "بأنه العلاقة التى تنشأ بين مجموعة من مستخدمى منتديات النقاش والدردشة الإلكترونية، وهؤلاء المستعملون يتقاسمون الأذواق، القيم، الاهتمامات والأهداف المشتركة"[7].

ويعرف كذلك <سيرج بروكس> المجتمع الافتراضى بأنه: "مجموعة أفراد يستخدمون بعض خدمات الإنترنت الاتصالية (منتديات المحادثة، حلقات النقاش، أو مجموعات الحوار...) والذين تنشأ بينهم علاقة انتماء إلى جماعة واحدة (lien d'appartenance)، ويتقاسمون نفس الأذواق، القيم، والاهتمامات ولهم أهداف مشتركة"[8]، وبالتالى فإن الشيء المميز فى هذه المجتمعات كونها تتشكل على أساس اهتمامات وأشياء مشتركة بين هؤلاء المستخدمين، أى أن الصفات والخصائص الموجودة فى كل شخص هى التى تحدد نوع وطبيعة الجماعة الافتراضية التى ينتمى إليها ويندمج فيها.

ويعرف كذلك الباحث (karasar) المجتمع الافتراضى بأنه "مجموعة أشخاص اندمجوا فى الاتصالات والتفاعلات عبر الإنترنت، فى حلقات النقاش أو منتديات المحادثة الإلكترونية" أما (schramm) فهو يرى أن المجتمع الافتراضى هو عملية تقاسم فضاء للاتصال، مع أفراد لا نعرفهم، وغالبا ما يتم هذا فى الوقت الحقيقى، وهو عبارة عن انعكاس للمجتمع الواقعى، لكن لا يوجد فيه أناس فعليون واتصالات حقيقية كما فى الواقع (أى أنها افتراضية)، وهو عبارة عن جمهور من كل أنحاء العالم، جالسون أمام شاشة الكمبيوتر للتواصل مع بعضهم البعض"[9].

ويتبين من خلال ما سبق من تعريفات أن المجتمع الافتراضى هو عبارة عن مجموعة أفراد، يستخدمون تطبيقات الإنترنت الاتصالية، تعرفوا على بعضهم البعض وشكلوا علاقات فيما بينهم افتراضيا، ويتفاعلون افتراضيا، ولهم معايير وقواعد خاصة بهم، ولهم نفس الاهتمامات والأفكار والميزات، وهذا ما يجعلهم يبنون علاقات وطيدة مثل تلك التى تتشكل فى المجتمع الحقيقى، ويطلق على هؤلاء الأفراد بدورهم تسمية الأفراد الافتراضيين

(virtual individual`s) أو الأفراد الانترنيتيين (netizen)، الذين يمكن اعتبارهم كائنات حوارية-كتابية فى أغلب مظاهرهم، ويتميز هؤلاء الأفراد بغياب الصورة الجسدية الفيزيقية الملموسة للإنسان، بحيث تحل محلها الحوارات التى يقدمها الأفراد، والمعلومات التى يتشكلون بها، ولا يبقى فى حقيقة الأمر إلا أجهزة الحواسيب فى كل مكان، تمثل الأفراد البشريين بشكل أو بآخر، وكأنهم مجرد اللحم والدم لمجتمع آلى جديد"[10].

ونجد أفراد المجتمع الافتراضى يمنحون أهمية كبيرة لجماعتهم الافتراضية على حساب جماعتهم الأولية، ومحيطهم الاجتماعى وعلاقاتهم الحقيقية، وحسب Raymond B. François B. فإنه عندما يصبح بقاء الجماعة هو الهدف الهام لدى أفرادها أكثر من أهدافهم وأمورهم الشخصية، فحينئذ يمكن القول أن هذا التجمع يمكن أن يشكل مجتمعا أو هو فى طريق التشكل"[11]، وبالفعل هذا هو ما يحدث فى المجتمعات الافتراضية، حيث إن الأفراد يهتمون أكثر بمصير علاقاتهم واتصالاتهم الافتراضية بشكل يجعلهم يهملون علاقاتهم مع أهلهم وأصدقائهم الواقعيين.

وقد كتب الباحث (Rheingold Howard) كتابا كاملا حول هذه المجتمعات، عنونه بالمجتمع الافتراضي(virtual community) وجاء فيه أن "المجتمع الافتراضى يجمع أشخاصا من كل أنحاء العالم، يقيمون فيما بينهم علاقات تعاون، تبادل معلومات وخبرات، ويجرون مناقشات ثرية (خاصة فى المواضيع الفكرية والعاطفية)، أكثر مما هو عليه الحال فى الحياة الواقعية[12].

خصائص المجتمعات الافتراضية:

يمكن تحديد الخصائص والسمات العامة للمجتمعات الافتراضية فيما يلى:

- تتميز بكونها جماعات مصالح (communauté d'intérêts)، لأنها تتشكل بفعل الاهتمامات والمصالح المشتركة.
- يتقاسم أفرادها نسبيا نفس الاعتقادات والعادات والقيم، ولهم إحساس بالتضامن.

- لا يوجد فيها حضور فيزيائي، ولا تقارب جغرافي بين الأفراد (إلا في بعض الأحيان)، ولا وقت حقيقي، فغالبا ما يكون الوقت متفاوتا بين المدر دشين المتباعدين جغرافيا"[13].

-تتميز هذه المجتمعات بالعالمية، أي يشارك فيها أفراد من كل أنحاء العالم"[14].

- تتميز باستعمال أفرادها أسماء مستعارة وهويات مستعارة[15]" "fluidity of identity" ويقدمون غالبا بيانات غير مطابقة للواقع.

- يتميز أفرادها بعدم التجانس في بعض الجوانب، فقد يكون لكل شخص مستوى معين أو مهنة تختلف عن الآخرين.

- تتميز بأنها مجتمعات مؤقتة وليست دائمة، فيمكن لها أن تزول في أي وقت خاصة إذا تناقص عدد أفرادها.

- " توفر فرصا أكبر لأعضائها للتفكير بحرية"[16]، والتعبير في كل المواضيع.

- يتميز أفرادها بالولاء والخضوع لقواعد ومعايير هذا المجتمع، لأنه كما يقول (عبدالمنعم البكري) فإن " كل فرد يتأثر بالجماعات التي ينتمي إليها، وتؤثر على سلوكاته، وتجعله ينساق مع آرائها"[17]، ويؤيد ذلك الكاتب <إقبال مهني> والذي يقول بأن "الفرد يتفاعل ويتصل بجماعة ما، حسب نمط معد مسبقا، لا يمكنه أن يبتعد أو أن يتخلى عنه، مخافة أن يبقى منعزلا ومرفوضا من طرف الغير"[18].

- تتميز هذه المجتمعات باستخدام رموز ولغة خاصة بها، وهي عبارة عن إشارات ورسوم تستخدم للتعبير عن الحالات النفسية للأفراد وعلى تلميحات الوجه.

- تتميز بأن لها قواعد سلوك خاصة بها، تلزم كل منخرط جديد أو مستعمل أن يلتزم بها وأن يحترمها، وهي تتضمن عموما بعض المواد والقوانين التي تشرح للأفراد كيفية الاستخدام، وآداب التعامل مع المدر دشين الآخرين وعدم إزعاجهم، إلى غير ذلك، وهي معروفة بتسمية النيتيكت (netiquette).

الإنترنت وتجسيد المجتمع الجماهيرى المتفرد (société individuelle de masse):

عرفت كل مرحلة من المراحل التى مرت بها البشرية، ميلاد تقنية أو اختراع جديد، أدى إلى تغيير معالم الحياة الاجتماعية، فكما كان ظهور المطبعة فى القرن الخامس عشر عاملا مهما لانتشار العلم والمعرفة فى كل بقاع الأرض، من خلال طبع الكتب والجرائد وغيرها من المطبوعات، ونشرها وتوزيعها وجعلها متاحة لكل الناس، وما أدى ذلك من تحرر الناس من ظلام الجهل ومن سيطرة رجال الكنيسة وهيمنتهم، فكذلك كان ظهور الآلة البخارية سببا مهما فى ازدهار الصناعات، وتحسن وسائل النقل والزراعة، وانتشار المصانع فى المدن، وما أدى إليه من هجرة الناس ونزوحهم إلى المدن، وانتعاش التجارة والاقتصاد، الشيء الذى أدى إلى تحسن الوضع الاجتماعى والمعيشى للأفراد. وقد أطلق الكتاب على هذا المجتمع تسمية المجتمع الصناعى؛ وبحلول القرن العشرين وبالضبط فى سنوات الخمسينيات، ومع التطور الملحوظ فى الصناعات ذات العلاقة بالمعلومات والخدمات، والانفجار الهائل فى حركة النشر، وظهور الهيئات والمؤسسات التى تشتغل بصفة رئيسية فى قطاع المعلومات، بالإضافة إلى التقدم الكبير فى ميدان تكنولوجيات الإعلام والاتصال والحواسيب، وأجهزة الاتصال السلكى واللاسلكى، كل هذه العوامل وغيرها مهدت لميلاد مجتمع اصطلح على تسميته بمجتمع المعلومات؛ والذى يشهد تطورات واختراعات لم يشهد لها مثيل من قبل، ولا سيما فى تقنيات الاتصال، وقد صحبتها تطورات فى عدة ميادين أخرى ذات علاقة بها؛ وكما يقول الكاتب (Patrice flichy) فإن تطور الاتصال يقوم دائما على العلاقة القائمة بين تطورات تقنية وتطورات المجتمع[19]، وعليه فقد حدثت تغيرات وتطورات سريعة الوتيرة جعلت المجتمع الحديث يتبدل بشكل جذرى.

وقد شاع بين الباحثين المختصين وصف هذا المجتمع المعلوماتى، الذى تستخدم فيه بكثرة وسائل الاتصال، فى كل الميادين، بالمجتمع الجماهيرى المتفرد أو المجتمع الانفرادى الجماهيرى (la société individualiste de masse)، أو كما يسميه (معن خليل) المجتمع المتفرد الجماهيري[20].

مفهوم المجتمع الجماهيرى المتفرد:

هناك عدة تعريفات قدمها المختصون فى هذا المجال، سنذكر البعض منها.

يعرفه الكاتبان(سلزنيك وبروم) بأنه المجتمع الذى يتكون من "جماهير بمعنى أنه قد ظهر جمهور عريض من الأفراد المنفصلين، الذين يعتمدون على بعضهم البعض فى كل الوسائل المتخصصة، وإن كانت تنقصهم قيمة أو هدف أساسى يوحد بينهم، وقد أدى ضعف الروابط التقليدية وتنامى العقلانية وتقسيم العمل، إلى خلق مجتمعات تتكون من أفراد مرتبطين ببعضهم ارتباطا طفيفا"[21]، أى أن العلاقات الاجتماعية التى تربطهم هى علاقات اقتضتها طبيعة العمل وعلاقات مصالح، لا تزول طويلا وتزول بزوال المصالح والظروف التى جمعتهم. وإذا كانت القفزة والتطور الكبير فى الميدان الاقتصادى والصناعى، الذى صاحبه تقسيم شديد للوظائف، هو الذى وضع أسس وبدايات هذا المجتمع المتفرد، فإن وسائل الاتصال وتكنولوجيات الإعلام الحديثة قد ساهمت بشكل كبير فى استمرار هذا المجتمع وتجسيده أكثر على كل المستويات، فأصبحت هذه الجماهير المكونة لهذا المجتمع منعزلة بفعل الاستعمال المفرط لوسائل الاتصال، التى تزيد كما يقول (عزى عبد الرحمان)[22] من سمة الفردانية؛ فالمجتمع الحديث أصبح "مجتمعا يتميز بتعقيد أكبر حيث ينعزل فيه الأفراد اجتماعيا عن بعضهم البعض"[23]، مما يؤدى بهم إلى الاهتمام بانشغالاتهم ومشاكلهم الشخصية لا غير، ويقل عندهم الاهتمام بالقضايا الجماعية، وينقص الحس الجماعى، حيث "إن الاتجاه الجديد لوسائل الاتصال الحديثة أصبح يتجه نحو تفتيت الجمهور demassification"[24]. ويعتبر (wolton) هذا المجتمع بأنه "مجتمعا انعزاليا فردانيا يتكون من جماهير منعزلة ومنفصلة عن بعضها بفعل تكنولوجيات الاتصال الحديثة"[25].

وإذا كان البعض يعتبر أن شبكة الإنترنت تساهم فى بناء علاقات اجتماعية بين الأفراد، عبر مواقع الشبكة الاجتماعية (facebook,, myspace) ومنتديات المحادثة الإلكترونية والبريد الإلكترونى، فإن البعض الأخر يرى العكس، معتبرا أنها تساهم بشكل أكبر فى توسيع الهوة والفجوة الاجتماعية بين الأفراد عبر عزلهم وفصلهم عن بعضهم البعض.

انعكاسات وتأثيرات استخدام شبكة الإنترنت:

تعتبر الاتصالات التى تتم عبر الإنترنت (عبر المتديات الإلكترونية بالخصوص)، ذات آثار وانعكاسات كثيرة. وقد أجريت عدة دراسات غربية حول الانعكاسات المختلفة لاستخدام الإنترنت بشكل مفرط على مستعمليها، ولا سيما المدمنين منهم، وسنعرض أبرز هذه البحوث وأهم نتائجها فيما يلى:

- دراسة (Guillaume Latzko-toth) بعنوان:(a la rencontre des tribus IRC)، وهى عبارة عن مذكرة ماجستير نوقشت بجامعة Québec فى كندا سنة 1998، وقد تناول الباحث منتديات المحادثة الإلكترونية، وكيفية بناء العلاقات الاجتماعية عبرها، وتشكيل المجتمعات الافتراضية ؛ وقد توصل الباحث فى نتائج دراسته إلى تفنيد ونفى أى تعارض بين الواقع الافتراضى والحياة الحقيقية، خاصة من الجانب الاجتماعى حيث إن منتديات الدردشة تجمع أفرادا من مختلف الأجناس والمستويات والمجتمعات، وتتيح لهم إمكانية التفاعل وبناء علاقات اجتماعية تماما مثل ما يحدث فى الواقع، وبالتالى فهناك عدة أشياء موجودة فى الواقع الافتراضى تقابل ما هو فى الواقع الحقيقى وتحاكيه[26].

- دراسة(إليزابت رد)بعنوان الاتصال والمجتمع فى منتديات المحادثة الإلكترونية[27]: وهى عبارة عن رسالة ماجستير نوقشت فى جامعة ملبورن(Melbourne) باستراليا، وقد تناولت هذه الدراسة تاريخ ونشأة منتديات المحادثة الإلكترونية، والخصائص التى تتميز بها وكيفية تشكل المجتمعات الافتراضية، وقد توصلت الدراسة إلى تحديد السمة الأساسية والتى أدت إلى شيوع استخدام منتديات الدردشة بشكل سريع وواسع، وهى إمكانية إخفاء الهوية(anonymity)، وكذلك انعدام الرقابة الاجتماعية، وبالتالى فإن المستعملين لهم الحرية التامة فى التعبير ومناقشة أى موضوع، ومن نتائج هذه الدراسة كذلك أن المجتمعات الافتراضية قد أدت إلى نشأة لغة خاصة بها، تتكون من أشكال ورموز ورسومات مختلفة، بالإضافة إلى تشكل معايير وقواعد خاصة بهذه المجتمعات.

- دراسة هورمان(Horman) بعنوان : دراسة استكشافية للتفاعل الاجتماعى الذى يحدث على شبكة الإنترنت: وهى رسالة ماجستير نوقشت بجامعة لافال (Laval) بكندا سنة 2005، وتتناول الدراسة أشكال التفاعل الاجتماعى الذى يحدث على الشبكة العالمية، خاصة فى إطار انجاز نشاطات جماعية للتكوين والتعليم عبر الشبكة، وقد ركزت الباحثة على الجانب السوسيوثقافى للأفراد المشاركين فى مثل هذه التفاعلات، وكيفية ارتباطهم ببعضهم البعض، وقد توصلت الباحثة إلى أن هذا التفاعل يؤدى إلى درجة كبيرة من التأثير المتبادل بين هؤلاء، حيث يرتبطون ببعضهم البعض بشكل يؤدى إلى تغيير عدة جوانب فى حياتهم، وبالتالى فإن الدراسة بينت أن التفاعلات الافتراضية قد تحدث أثرا فى حياة الأفراد بنفس الشكل الذى يحدث فى التفاعلات المباشرة وجها لوجه[28].

- الدراسة التى قام بها كل من (فالرى وسيرج وفلدوفسكا) بعنوان:"دراسة المحادثات الإلكترونية من خلال الإنترنت والانترانت"[29]، وتهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن مختلف أشكال الانتماء الاجتماعى، والمشاركة فى النقاشات على الشبكات الإلكترونية، وأشكال التفاعل الذى يتم بينهم، وكيفية تشكل الجماعات الافتراضية، وقد توصلت الدراسة إلى أن الصفحات الشخصية تلعب دورا كبيرا فى بناء العلاقات الاجتماعية بين الأفراد حيث إنها تعكس البيئة الاجتماعية للفرد وهى التى تنقل لنا خصائصه وسماته الشخصية.

- دراسة (ميندوزا): بعنوان: " المراهقات ومنتديات المحادثة الإلكترونية"، وقد نشرت هذه الدراسة جامعة (Temple) بفيلادلفيا (الولايات المتحدة الأمريكية)، وذلك سنة 2007، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن الكثير من المراهقات يعملن من خلال شبكة الإنترنت على اللعب بالأدوار وتغيير شخصياتهن(identity play)، من خلال تقديم بيانات خاطئة، وتعتبر هذه الخاصية (إخفاء الهوية) الشيء الذى يجذبهن إلى استعمال الإنترنت بدرجة كبيرة، حيث أنهن يحاولن التعرف على آراء الغير ونظرتهم إلى هذه الشخصيات التى يتعاملن بها، وقد خلصت الدراسة إلى أن منتديات الدردشة

يمكن أن تكون لها انعكاسات سلبية على المراهقات، سواء من الناحية السلوكية أو الأخلاقية، النفسية وغير ذلك من الجوانب[30].

- دراسة (أسلانيدو) و(مينيكس) بعنوان:" الشباب والإنترنت، الاستخدامات والتطبيقات المنزلية"[31]، وقد نشرت هذه الدراسة سنة 2008 بمجلة "COMPUTER&EDUCATION"، وقد شملت عينة من تلاميذ الثانويات بلغت 418، وتناولت بالدراسة أهم التطبيقات والاستعمالات التى يستخدم من أجلها الشباب شبكة الإنترنت، وتوصلت هذه الدراسة إلى أن استعمال الإنترنت فى المنزل لأغراض دراسية يتم بنسبة قليلة، كما أن الإنترنت تعتبر مؤشرا للمكانة السوسيواقتصادية للأفراد، حيث وجد أن أغلب المستعملين ينتمون إلى أسر ذات مستوى ثقافى وعلمى معتبر، بالإضافة إلى كون الذكور أكثر استخداما لشبكة الإنترنت لأغراض ترفيهية، وأخيرا بينت الدراسة أن استعمالات الإنترنت لم تكن لها علاقة بمكان الإقامة، بقدر ما كانت لها علاقة بالمستوى الثقافى والعلمى للأولياء.

- دراسة (بيتريز) بعنوان: online infidelity in internet chat rooms: an " ethnographic exploration"، وقد نشرت هذه الدراسة فى مجلة COMPUTER IN HUMAN BEHAVIOR عدد 23 سنة 2007، وتناولت طبيعة التفاعلات الاجتماعية التى تتم عبر منتديات الدردشة، ودورها فى تغيير النسيج الاجتماعى، وفى بناء علاقات عاطفية، وقد ركزت الباحثة على انعكاسات ذلك على العلاقات الزوجية، وبينت أن هذه الاتصالات لها دور كبير فى التقليل من الوفاء بين الزوجين، وبالتالى فى إحداث عدة مشاكل اجتماعية، ولكل ذلك انعكاسات على النسيج الاجتماعى، مما يؤدى إلى إحداث فجوة وتفكك اجتماعى كبير[32].

نشأة تيار معارض لاستخدام تكنولوجيا الاتصال والإنترنت:

لقد نشأ تيار فكرى معارض لاستخدام تكنولوجيا الاتصال والإنترنت، بفعل هذه الانعكاسات المتعددة، وهم المتشائمون من التقنيات الحديثة "les technophobes"، ويمثل هذا الاتجاه مختصون فى عدة مجالات (مثل علم الاجتماع وعلم النفس...)، وهم

يتعرضون بالنقد اللاذع لتكنولوجيا الاتصال والإنترنت، ويتخوفون أيما تخوف من آثارها وانعكاساتها على الفرد والمجتمع، "ولا يقتصر الأمر في مجال نقد تكنولوجيا الاتصال على المخاوف الواقعية، ولكنه يمتد إلى المخاوف الوهمية، ويتمثل ذلك فيما يعرف بظاهرة 'التكنوفوبيا'، حيث لا ينحصر الخوف المرضي من التكنولوجيا بين جموع البسطاء وذوى الثقافة المحدودة، الذين ينفرون من استخدام الأجهزة الحديثة، بل يمتد أيضا إلى الإداريين وصناع القرار الذين يرفضون تغيير أساليب العمل التقليدية، والاستفادة من إمكانيات الأجهزة الحديثة نتيجة هذا الشعور المرضي"[33]. وقد تعددت أسباب هذا التخوف، ودواعى التشاؤم من التكنولوجيات الحديثة، فهناك من يرى بأنها وراء "عدة سلبيات في مجتمع اليوم، كالتفريق بين الأفراد وعزلهم، وتفقير القاموس اللغوى لدى الشباب، والتسبب في عدائهم للأدب والفكر"[34]، وإن كان بعض الكتاب يقرون بالإيجابيات الكثيرة لتكنولوجيا الاتصال، من خلال الاستفادة منها في عدة مجالات، وتسهيل عدة أعمال ونشاطات إلا أنهم يركزون على سلبياتها أكثر، ومنهم الكاتب (ايفيس) الذى يرى بأن "تكنولوجيا الاتصال المعاصرة تقدم حلولا لبعض المشاكل الموروثة، في نفس الوقت الذى تقوم فيه بخلق العديد من المشاكل الجديدة، فهى تنمى العلاقات الإنسانية اللاشخصية وتكبح إبداع التفكير الإنساني"[34]، إذ أن استخدامها في كل المجالات ولا سيما في الميدان العلمى، سيؤدى إلى الاعتماد الكامل عليها، وبالتالى سيجر العقل البشرى إلى الخمول والركون للراحة. ومن الباحثين المتخوفين أيضا من تكنولوجيا الاتصال، واحد من كبار المصممين والمختصين في هذا المجال (الإعلام الآلي)، وهو مخترع برنامج "Java"، الأمريكى (bill joy)، الذى ترأس اللجنة الأمريكية حول مستقبل البحث في ميدان تكنولوجيا الإعلام، والذى يرى بأن تكنولوجيا الاتصال لها أثر حتى على فرص وجودنا وبقائنا ككائنات بشرية في هذا العالم، خاصة في عصر التطورات الحاصلة في التقنيات التى أصبحت تصمم وتصنع نفسها بنفسها (techniques autoproductrices)، ويضيف الكاتب أن هذه التكنولوجيات يمكن أن تقودنا حتى إلى الفناء والزوال من على هذه الأرض.

وتشارك المختصة النفسانية (sherry turkle) مواطنها الأمريكى نفس وجهة النظر، والتى ترى بأن التوجه الكبير إلى الاهتمام بالتقنيات الحديثة، أدى إلى اعتبار الإنسان كآلة، حيث تم تجريده من كل أحاسيسه وإنسانيته[35].

وبالإضافة إلى هؤلاء، نجد الفيلسوف الألماني[36](jurgen Habermas) يتعرض بالنقد للتقنيات الاتصالية الحديثة، مع كل من <m.Horkheimer G.simondon L.munford G.dumézil، والذين بينوا حدود البعد التقني في عملية الاتصال، وأن القدرة العالية للتقنيات والأجهزة ليست الشرط الوحيد لحدوث اتصال اجتماعي وإنساني فعال[37]، فالاتصال الإنساني عملية معقدة أكثر مما يتصوره الكثير، إذ تتطلب عدة أمور كي تكون ناجعة وفعالة.

وفي مقدمة كتابهما، يتساءل كل من(Emile N.و vahé Z.) هل يمكن اعتبار تكنولوجيا الاتصال نعمة علينا أم نقمة؟[38]، أي هل يمكن أن نتفاءل من إدماجها في مجتمعاتنا والترحيب بها، أو نحذر منها ونتحفظ من تبنيها واستعمالها في مختلف الميادين كوسيلة حديثة؛ وقد قام مجموعة من المهتمين بهذا الميدان، بالإجابة على هذا التساؤل، حيث يبين الكاتب (فيليب بروتون)[39] "الأخطار المحتملة والجسيمة على الروابط الاجتماعية، وتوجه الأفراد إلى العزلة الاجتماعية والنفسية عن محيطهم بفعل الاستخدام المفرط للإنترنت. كما لا يخفى الكاتب (Paul virilio) تخوفه من كون التكنولوجيات الحديثة للاتصال يمكن أن تكون وسائل حرب، وتساعد على التأليب والتضليل وإقامة الحرب الافتراضية.

ولعل هذا ما جعل بعض الناس يتهمون الإنترنت بالفوضى وبأنها تجسد النيوليبرالية[40]، من خلال قيامها بعولمة الاتصال وتعميمه في كل أرجاء المعمورة، بالإضافة إلى محتواها، الذى تسيطر عليه اللغة الانجليزية بشكل واضح، ولذلك يعتبرها البعض وسيلة أو قناة لتصدير القيم والثقافة الأمريكية والغربية.

وهناك من يشبه الإنترنت "بحصان طروادةcheval de Troie "، الذى يحمل مجموعة قيم ضد الإنسانية (antihumaniste) وتتوسطها الرغبة في موت الإنسان وفنائه، فقد أقامت شبكة الإنترنت نجاحها وتطورها على أساس القيم والروابط الاجتماعية، التي أصبحت تشهد تأزما وتدهورا كبيرا"[41]. ومن بين الحجج التي يستند عليها بعض المعارضين، قضية الأمية الإلكترونية (illectronise)، التي تعتبر مصدر الحرمان والرفض

والمعاداة، والتي تعرف انتشارا حتى في الدول الغنية. ويعارض كذلك فكرة القرية الكونية الكاتب (schmuel Trigano) بحجة أنها تزيل استقرار الهوية الإنسانية، كما ينتقد (Jacques Ellul) عالم الرياضيات الأمريكي (Norbert Wiener)، الذي تصور فكرة مجتمع اتصالات ومجتمع يقوم على التقنية"[42]، أي ما يسمى اليوم بمجتمع المعلومات والاتصالات، الذي تحتل فيه تكنولوجيات الاتصال والإعلام حيزا كبيرا من الاهتمام، ويضيف (wolton) بعض الأمور السلبية التي تحسب على شبكة الإنترنت، مثل "التعدى على الحياة الخاصة وحقوق المؤلف، سرية المعلومات، حقوق الإنسان، خطر الجنوح المعلوماتى، مراقبة المعلومات، والتجسس المعلوماتي"[43]، الذى أصبح يأخذ أبعادا أخرى، خاصة بعد اكتشاف قضية "Echelon" التى تبين أن المخابرات الأمريكية تقوم بالتجسس والتصنت عبر شبكة الإنترنت.

وعموما، يمكن القول أن انعكاسات تكنولوجيا الاتصال هذه لا ينبغى أن تجعلنا نلغى تماما إيجابياتها وانعكاساتها السلبية، ولكن يجب أن نحدد الإجراءات الواجب القيام بها لتجنب كل هذه السلبيات، وتقليص انعكاساتها على الفرد والمجتمع.

خاتمة:

إن استعمال تكنولوجيا الاتصال الحديثة بصفة عامة وشبكة الإنترنت بصفة خاصة، أدى إلى حدوث عدة انعكاسات اجتماعية وثقافية، علمية ونفسية...إلخ، وذلك سواء على المستوى الفردى للمستعملين أو على المستوى الجماعى فى المجتمع ككل، وتبين لنا أن الآثار الاجتماعية والنفسية للإدمان الاتصالى كانت أعمق وأكثر مما يتصوره الكثير، ولاسيما على فئة الشباب والأطفال، حيث لا يمكن ممارسة المراقبة بشكل كلى، فى خضم الاجتياح الهائل لكافة أنواع تقنيات وتكنولوجيات الاتصال لمجتمعاتنا المعاصرة، حيث لا يكاد يخلو نشاط يومى من استعمال لهذه التقنيات، ولهذا فإن التعرف على مختلف هذه الانعكاسات أمر ضرورى لتجنبها ولمعرفة كيفية التعامل معها.

قائمة المصادر والمراجع:

1) محمود علم الدين: تكنولوجيا المعلومات والاتصال ومستقبل صناعة الصحافة، القاهرة:دار السحاب، 2005م، ص138.

2) مجد هاشم الهاشمي: الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل، عمان: دار المستقبل، 2001م، ص09.

3) عيسى عيسى العسافين:المعلومات وصناعة النشر، دمشق:دار الفكر،2001م، ص42.

4) J-J bertolus, renaud de la baume : la révolution sans visage, paris : Belfond, 1997. p.08.

5) Philippe Breton:le culte de l'Internet, une menace pour le lien social, Paris:la découverte, 2000.p.09.

6) محمد منير حجاب: المعجم الإعلامي، القاهرة: دار الفجر، 2004، ص 470.

7) Serge Broulx : les communauté virtuelle construisent-elle du lien social ? " Colloque international sur : l'organisation medias, dispositifs médiatiques, sémiotique et des médiations de l'organisation, LYON, Université jean moulin19-20/11/2004.

8) ibid.

9) Sahin Karasar: op.cit. p .03.

10) محمد علي رحومة: الإنترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، 2005 ، ص 286.

11) DOMINIQUE Wolton : Internet et après ? une théorie critique des nouveaux medias, France : Flammarion, 1999. p.215.

12) Thompson j.b." transformation de la visibilité " réseaux, n.100, (2000). p. 59.

13) Serge Proulx : op. .cit. p.1-3.

14) Philippe Breton : le culte de l'Internet. p. 105.

15) Louis L.: "impacts of net-generation attributes, seductive properties of the internet, and gratifications-obtained on internet use" telematics and informatics, n.20 (2003), pp.107-129.

16) Judith Lazar: sociologie de la communication de masse, paris:Armand colin,1991. p 213.

17) فؤاد عبد المنعم البكرى:الاتصال الشخصى فى عصر تكنولوجيا الاتصال ، القاهرة: عالم الكتب، 2002، ص ص.128-133.

18) Mehenni Akbal : quand la communication s'oppose a l'information, Alger : ed. Dahleb, 1997, p. 82.

19) Patrice flichy : une histoire de la communication moderne, espace public et vie privé, Alger : casbah, 2000, p.210.

20) معن خليل العمر: التفكك الاجتماعى، عمان: دار الشروق، 2005، ص 46.

21) جمال العيفة: الثقافة الجماهيرية، عنابة: جامعة باجى مختار، 2003م، ص 15.

22) عزى عبد الرحمان وآخرون: فضاء الإعلام، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1994 م، ص 235.

23) حسن عماد مكاوى، ليلى حسن السيد:م.س.ذ.،ص 217.

24) حسن عماد مكاوى: تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى عصر المعلومات، القاهرة:الدار المصرية اللبنانية، د.ت، ص18.

25) Dominique Wolton : penser la communication. p.40.

26) Guillaume Latzko-toth : a la rencontre des tribus IRC, thèse de magister, Québec : université Laval ,1998.

27) Reid Elizabeth: communication and community on Internet relay chat, thèse de magister, Melbourne: université de Melbourne, 1991.

28) Judith Horman : une exploration de l'interaction sociale en ligne lors de la réalisation d'activités d'apprentissage, thèse de magister, université de Laval : 2005.

29) Valerie B.Serge F. Julia V.:études des échanges électroniques sur Internet et intranet, forum et courrier électroniques,[www.cnet. francetelecom.fr] ,(10/12/2007).

30) Kelly Mendoza: adolescent girls, chat rooms, and interpersonal authenticity, [http://mediaeducationlab.com/pdf/403-working%], (10/12/2007).

31) Sofia A.GEORGE M.: " youth and internet, uses and practices in the home " COMPUTER&EDUCATION 10(2008) p 1016.

32) Beatriz L.A.Mileham: " online infidelity in internet chat rooms: an ethnographic exploration "COMPUTER IN HUMAN BEHAVIOR 23. (2007) p.11 - 31

33)أحمد محمد صالح: "حياة على شاشة الإنترنت" مجلة العربي، ع515، (01/ 10/ 2001).. ص 2.

34) طه عبد العاطي نجم:م.س.ذ. ص87.

35) Philippe Breton : le culte de l 'Internet, op.cit. p.105.

36) Philippe B.:op.cit.p.123-125.

37) Dominique W. :Internet et après ?. p.199.

38) Vahé Z. Emile N. :op.cit. p.07.

39) Philippe B.:op.cit.p.11.

40) J.C. Guédon : op.cit. p.74.

41) Philippe B: .op.cit. p.119.

42) Ibid, pp.16-17.

43) Dominique W.:Internet et après ?. p114.



- مؤسسات المجتمع المدنى وتوظيف تكنولوجيات الاتصال الحديثة لتحقيق التنمية المستديمة-

ملخص:

يهدف الباحث من خلال هذه الورقة أن يبرز دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى تحقيق التنمية المستديمة، عبر توظيفها فى مختلف المجالات، ليس فقط من طرف المؤسسات الحكومية، ولكن أيضا من طرف مؤسسات المجتمع المدنى، التى يمكن أن تدفع عجلة التنمية، وتساهم فى إقامة ركائز الاقتصاد القائم على المعرفة (knowledge economy)، والذى يعتبر التوجه السائد فى المجتمعات المتقدمة حاليا، ليس فقط لأنه يساعدها للتحرر من المواد الطاقوية، ولكن لأنه أنفع للبيئة والمحيط ولا يملك آثارا سلبية على البيئة مثل المواد الطاقوية. وإذا كان اقتصاد المعرفة يقوم فى الأساس على تكنولوجيات الإعلام والاتصال، سواء فى تصنيعها واستعمالها أو توظيفها فى مختلف مجالات الحياة، فإن مؤسسات المجتمع المدنى تعتبر الشريك الأساسى لمؤسسات الدولة لتطوير هذا القطاع، وتعزيز استعمال هذه الوسائل لدى مختلف فئات المجتمع، من الأفراد والجمعيات والأحزاب والمنظمات الشبانية.

مقدمة:

يعتبر موضوع التنمية المستدامة من بين المواضيع التى أسالت حبر عدد معتبر من الكتاب، واسترعت اهتمام الحكومات والدول المختلفة، فأجريت عدة ندوات ونظمت

ملتقيات ومؤتمرات إقليمية ودولية، كان أهمها مؤتمر "جوهانزبورج" بجنوب إفريقيا سنة 2002م. وقد خرجت معظم هذه الندوات والكتابات بنتائج كثيرة، وقدمت توصيات عديدة، للوصول إلى تحقيق جيد لأهداف التنمية المستدامة.

ولذلك فإنه ليس من الغريب أن تلحق هذه المؤتمرات الدولية عدة مؤتمرات محلية ووطنية فى عدة دول نامية، كالجزائر، لتجسيد هذه الأهداف بشكل عملى، وجعل الدول النامية تحذو حذو الدول المتقدمة، وتستفيد من تجاربها وخبراتها.

وسنحاول من خلال هذه الورقة البحثية، أن نركز على جانب أو زاوية هامة، لم تعط لها الأهمية اللازمة والقدر المعتبر من طرف الدارسين، ويتعلق الأمر بتوظيف تكنولوجيا الاتصال الحديثة من طرف مؤسسات الدولة والمجتمع المدنى على السواء لتحقيق التنمية المستدامة، والاهتمام بالاقتصاد القائم على المعرفة وصناعة المعلومات، لأنه القطاع الجدير بالاهتمام إذا أردنا فعلا تحقيق تنمية مستديمة دون الإضرار بالبيئة ودون تشكيل الأخطار على مستقبلنا ومستقبل الأجيال القادمة، وهذا ليس فقط لأن الدول المتقدمة تنحو هذا المنحى، ولكن لأن الدراسات والبحوث الحديثة تبين أن المجتمعات المستقبلية سيكون رهانها الأساسى، مدى توظيفها للتكنولوجيات الاتصالية الحديثة دون آثار سلبية، ومدى استثمارها فى المعرفة ونتائج البحوث العلمية، لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

وقد وضعت هيئة الأمم المتحدة مجموعة من المعايير والمؤشرات، التى تحدد الدول التى أصبحت قادرة على تحقيق أهداف التنمية المستديمة، ومن بين هذه المؤشرات مؤشر استخدام تكنولوجيا الاتصال (الهاتف، الإنترنت، الحواسيب الشخصية...) سواء على المستوى الفردى أم المؤسساتى، وهذا ليس غريبا لأن معظم المؤسسات والهيئات العلمية التى تقوم بدراسات فى هذا المجال تأخذ هذا المعيار أو المؤشر بالحسبان، فالدول أصبحت تصنف من حيث تقدمها وقوتها وحداثتها وفقا لهذا المؤشر بالإضافة إلى مؤشرات أخرى.

ويمكن القول أن التنمية المستديمة تعنى الاهتمام بتحقيق التقدم والرفاه للإنسان دون إغفال المستقبل ودون إهمال البيئة والمحيط. "وتعتبر الاستدامة نمط تنموى يمتاز بالعقلانية والرشد، وتتعامل مع النشاطات الاقتصادية التى ترمى للنمو من جهة ومع

إجراءات المحافظة على البيئة والموارد الطبيعية من جهة أخرى، وقد أصبح العالم اليوم على قناعة بأن التنمية المستدامة التي تقضي على قضايا التخلف هي السبيل الوحيد لضمان الحصول على مقومات الحياة في الحاضر والمستقبل"[1]، وهي الوحيدة التي تستطيع أن تحقق الرفاهية للمجتمع في نفس الوقت الذي تحافظ فيه على البيئة.

و"كان أول ظهور له (مفهوم التنمية المستدامة) في نادي روما سنة 1986، الذي اقترح ما يسمى eco- developpement التفاعل بين الاقتصاد والإيكولوجيا في دول الشمال والجنوب.أما في 1987 فقد أعطى لها تعريف من طرف اللجنة الدولية حول التنمية والبيئة التي ترأستها الوزيرة الأولى النرويجية السابقة السيدة "بروند طلاند" حيث يعتبر التعريف الأكثر شيوعا أو ما يسمى بمستقبلنا للجميع أو بعنوان مستقبلنا المشترك، حيث عرفت بأنها التنمية التي تلبي حاجات الحاضر دون المساومة على قدرة الأجيال المقبلة على تلبية حاجاتهم " ثم ترسخ مفهوم التنمية المستدامة عند الجميع في 1992، في قمة "ريو" أو قمة الأرض بالبرازيل، حيث ظهرت عدة جمعيات غير حكومية مهتمة بالبيئة ذات بعد وطني، وإقليمي وعالمي خاصة في الدول المتقدمة، وقد وافقت عليه كل الدول المشاركة في الاتفاقية مما أدى إلى انبثاق ما يسمى بأجندة القرن 21، والسمة الأساسية لهذا البرنامج هي الاهتمام بالتنمية المتواصلة. ثم تطورت لتشمل الحفاظ على الموارد الطبيعية التنوع البيولوجي في 2002 في قمة جوهنز بورغ التي حضرها أكثر من 100 رئيس دولة وممثلي الحكومات والجمعيات والمؤسسات"[2].

وقد تطور هذا المفهوم حديثا ليعرف عدة تعديلات، وعدة معايير جديدة تأخذ كمؤشرات لقياس نسبة التنمية المحققة في مختلف المجالات.

- **وسائل الاتصال والتنمية المستديمة:**

لقد تم التفطن لدور الإعلام ووسائل الاتصال في تحقيق التنمية والتطور الوطني في وقت مبكر، حيث قام الكاتب "ويلبور شرام"[3] (wilbur schramm) بدراسة تحت رعاية اليونسكو في ستينيات القرن الماضي، وبالضبط في 1966م، بعنوان "الإعلام والتنمية الوطنية"، وقد بين في دراسته هذه أن قطاع الإعلام والاتصال والمجالات المتعلقة

بالمعلومات وصناعتها، لها دور كبير فى دفع عجلة الاقتصاد الوطنى، وفى تنمية الدول المتخلفة بالخصوص.

كما أن الأنشطة والمنتجات الثقافية والإعلامية كانت فى وقت مبكر تعتبر كسلع، وكمواد أولية لدر الأرباح، فأصبح ما يسمى "بالصناعات الثقافية cultural industries" موردا اقتصاديا، وقطاعا هاما لتحقيق التنمية والرفاه الاقتصادى. ولعل هذه النظرة الاقتصادية والتجارية للمنتجات الثقافية، والقيام بتسليعها هو ما أثار حفيظة رواد المدرسة النقدية بفرانكفورت، الذين انتقدوا بشدة هذا التوجه.

يقول "أرمان ماتلار وجون مارى بيام" :"اليوم بعد أن تم الاعتراف بأن وسائل الإعلام صناعة، واكتساب هذا التعريف مشروعية واضحة، أصبح إنتاج هوركايمر horkeimer وأدورنو adorno مقررا"[4]، أى أن نظرتهم الناقدة لتحويل الصناعات الثقافية إلى قيمة تجارية قد كانت محقة. وبالفعل فإن هذا أمر واقع، فكم هو رقم أعمال المؤسسات التجارية والإعلامية اليوم والتى تشتغل فى ميادين متعلقة بالإعلام والثقافة، إما فى إنتاجها أو تسويقها أو بيعها، وكذلك تنظيم النشاطات والمظاهرات المرتبطة بها. ونذكر هنا على سبيل المثال بعض المؤسسات الإعلامية الكبرى أو كما يسميها البعض الإمبراطوريات الإعلامية" التى تحتكر عدة ميادين متعلقة بالمضامين والبرامج الإعلامية والثقافية والترفيهية:

"شركة تايم وارنر وإيه أو أل aol Time Warner، شركة ديزنى disney، شركة نيوزكوربوريشن news corporation، برتسلمان Bertelsman، شركة فايكوم viacom، شركة سونى sony، شركة تى أى TCI، شركة يونفرسال(سيجرام) Universal seagram)، شركة جنرال إلكتريك وإن بى سى General Electric (NBC)، شركة وستنجهاوس[5] westinghouse. وهى كلها مؤسسات كبرى لها استثمارات ضخمة فى ميادين متعلقة بإنتاج البرامج الإعلامية والثقافية والترفيهية.

هذا، وقد تنبأ كذلك الكاتب "ألفين توفلر "Alvin Toffler فى النصف الثانى من القرن العشرين أن تتحول المجتمعات المعاصرة إلى مجتمعات معلوماتية، وذلك فى كتابه "الموجة الثالثة [6] the third wave ، حيث بين أن المجتمعات مرت بثلاث مراحل تاريخية،

أولاها كانت مرحلة المجتمع الزراعى، والثانية مرحلة المجتمع الصناعى، ثم تليها المرحلة الثالثة المتمثلة فى مرحلة مجتمع المعلومات، التى بدت معالمها الأولى فى الدول المتقدمة وبالخصوص الولايات المتحدة الأمريكية، التى بدأت تزداد فيها فى الثلث الأخير من القرن العشرين نسبة اليد العاملة التى تشتغل فى قطاعات مرتبطة بالمعلومات وبالصناعات والأنشطة المتعلقة بها، وهو ما جعل الكتاب والمهتمين يسمون هذه المجتمعات بمجتمعات المعلومات أو المعرفة، وهذا ليس لأنها لا توجد فيها زراعة أو صناعة وإنما لأن صناعة المعرفة والمعلومات هى الغالبة فيها بشكل ملحوظ.

وفى عصرنا هذا قد ازدادت هذه الأهمية بشكل ملحوظ، حيث تبين العديد من الدراسات والأرقام أن أكبر اقتصاديات العالم تقوم فى الأساس على هذه القطاعات، وما تنتجه من "صناعات ثقافية"، ومن معلومات ومعارف مختلفة.

لقد ثبتت فعلا صحة ما تنبأ به "ألفين توفلر"، فنحن فى مجتمعات شبكية واتصالية، ترتبط فيما بينها بالشبكات والوسائل الاتصالية، "ففى الوقت الذى كانت فيه الشبكات التقليدية (شبكات الطرق والسكك الحديدية والشبكات البحرية والخطوط الجوية) تقوم بنقل الأفراد من مكان لآخر، فإن العصر الحالى قد عوض تقريبا كل هذه الشبكات بشبكات اتصالية حديثة (شبكة الإنترنت، الطرق السريعة للمعلومات information superhighway) والتى تختزل انتقالات الأفراد وتسهل القيام بكل النشاطات دون التنقل.

وعليه فإن "رجل القرن العشرين يقوم بكل ما يرغب فيه فى المكان الذى يختاره والوقت الذى يناسبه...وشكل جديد من أشكال الاقتصاد فى طور التشكل بفعل ضغط النظام الإعلامى، فالاقتصاد الجديد لا ينبنى على المعايير الجغرافية -الطرق، المسافات، المناجم، المياه- ولكنها تنبنى وتتركز على شبكات الاتصالات، إنه اقتصاد متحرر من العامل الجغرافى والمسافة والحدود التاريخية"[7].

ولا يخفى على أحد أن هذه الوسائل الاتصالية الحديثة لها من الإيجابيات ما يلغى أو ما يجعلنا نتغافل عن بعض سلبياتها، فأن "يكون العالم متصلا ومترابطا بشبكة إلكترونية،

يعنى أن نقتصد كميات هائلة من البترول والتلوث، وأموات حوادث المرور"(٩)، عبر تجنب أو تقليل تنقل الأفراد بفعل إنجاز العديد من الأعمال والأنشطة عن بعد دون التنقل.

يقول "جون كون"(Jean Caune): "مع تكنولوجيات الإعلام والاتصال دخلنا في مرحلة يتم فيها تعديل فهمنا للزمن والفضاء الجغرافي"(٩)، فلا الحدود الزمنية ولا الجغرافية التقليدية أصبحت لها معنى فى عصر يمكن فيه لأى شخص أن يتصل بمن يشاء، ويعمل ما يشاء عن بعد.

- **إشراك مؤسسات المجتمع المدنى لتحقيق التنمية المستديمة:**

من الأكيد أن اقتراح تعزيز وتنمية قطاع اقتصاد المعرفة وصناعة المعلومات لتحقيق أهداف التنمية المستديمة، لا يرتبط فقط بالمؤسسات الحكومية، فالمؤسسات الخاصة والمحلية، ومؤسسات المجتمع المدنى من جمعيات ومنظمات وأحزاب، كلها تعتبر كشريك اجتماعي وكمكمل للمؤسسات الحكومية، وهذا لأنها تعتبر طرفا فعالا للمساهمة فى نشر وتوسيع استخدام تكنولوجيات الاتصال فى مختلف القطاعات من طرف الأفراد، وتوعيتهم بضرورة المحافظة على الأجهزة والتقنيات التى توضع تحت تصرفهم، وتساهم فى إرشادهم فى كيفية استعمالها والاستفادة منها.

بالإضافة إلى أن مؤسسات المجتمع المدنى فى حاجة ماسة لتوظيف تكنولوجيات الاتصال، لأداء أنشطتها والقيام بمهامها على أكمل وجه، كالأحزاب والنقابات والجمعيات، وغيرها من المؤسسات، فقد أصبح وجودها مرهونا تقريبا بمدى حسن توظيفها لهذه التقنيات. يقول فى هذا المضمار "هيرڤ رونى مارتان" :"استعمال تكنولوجيا الاتصال الحديثة من طرف المؤسسات المحلية يجعلها أكثر فعالية وتنافسية(15)، وأكثر مقدرة على أداء نشاطاتها وأعمالها. فعلى سبيل المثال نجد اليوم فى المجتمعات المتقدمة أن الأحزاب والجمعيات تتواصل بشكل أساسى مع أتباعها وجماهيرها عبر خدمات شبكة الإنترنت، كالبريد الإلكترونى، ومواقع الشبكة الاجتماعية والمنتديات الإلكترونية والمدونات الإلكترونية، وذلك لأنها أكثر فعالية وأسهل، كما أنها تقرب المواطن من المسؤولين وتجعلهم يتعرفون على اهتماماتهم وانشغالاتهم. حتى أن العديد من الكتاب

والمتبعين يرون أن الحملات الانتخابية أصبحت تحسم بنسبة كبيرة عبر هذه الشبكات، ولذا يتم توظيفها بشكل كبير فى المجال السياسى. كما ظهرت مفاهيم جديدة فى هذا الميدان، كالديمقراطية الإلكترونية، وهى تطبيقات تتيح للمواطن ومؤسسات المجتمع المدنى أكثر فرص للمشاركة السياسية، وممارسة الديمقراطية بأشكالها المختلفة، كالتعبير الحر والمشاركة فى اتخاذ القرار ومعرفة المستجدات. ويشير إلى ذلك كتاب "فهم الإعلام البديل" الذى يبين أن هذه الوسائل التكنولوجية والتقنيات الاتصالية الحديثة التى تمثل ما يسمى بالإعلام البديل، لها دور كبير فى ما يلى: خدمة المجتمع المحلى، ومعاملة الجمهور وكأنه موجود فى مجتمع محلى، وتمكين أفراد المجتمع المحلى من المشاركة والوصول، وتمكن أفراد المجتمع المدنى مناقشة موضوعات تعتبر وثيقة الصلة بالمجتمع المحلى.بالإضافة إلى ربط الإعلام البديل بالمجتمع المدنى، وجعل الإعلام ديمقراطيا من حيث المشاركة الجزئية والكلية، وتطبيق الديمقراطية من خلال الإعلام، والمشاركة الواسعة النقاش العام وفرص للتمثيل الذاتى فى المجال العام[١١].

ومن المعروف أن أهم مبادئ التنمية المستدامة تتمثل فى تمكين أفراد المجتمع المدنى ومؤسساته، والمنظمات غير الحكومية، من المساهمة فى تحقيق أهداف التنمية المستديمة التى تضطلع بها مؤسسات الدولة، وتستعين فيها بالمجتمع المدنى. ولذلك يتفق معظم المهتمين أن أهم مبادئ التنمية المستديمة مبدأ "المشاركة الشعبية"، حيث "ينطلب تحقيق التنمية المستدامة توفير شكل مناسب من أشكال اللامركزية، التى تمكن الهيئات الرسمية والشعبية والأهلية والسكان بشكل عام من المشاركة فى إعداد وتنفيذ ومتابعة خططها، ويطلق على هذا المفهوم بالتنمية من أسفل"[١٢]، أى أن القاعدة الشعبية بمؤسساتها المختلفة تقوم بأدوار وأنشطة تنموية تكمل ما تقوم به مؤسسات الدولة المركزية.

توظيف تكنولوجيا الاتصال الحديثة:

تعد تكنولوجيا الاتصال الحديثة من الوسائل والتقنيات التى لم تترك فى عصرنا الراهن مجالا من المجالات دون أن تقتحمه، وتفرض نفسها على القائمين والمشتغلين فى مختلف الأنشطة، فأصبح كل عمل أو نشاط لا ينجز إلا بتوظيف تكنولوجيا الاتصال

الحديثة، مثل الحاسوب، شبكة الإنترنت، الإنترانت، الأجهزة الرقمية (هواتف، كاميرات، مسجلات، معالجات، برمجيات...)، ولاسيما شبكة الإنترنت التى أصبحت تأوى العديد من النشاطات التى كانت تنجز من قبل، وغيرت كيفية القيام بها، والمدة والتكاليف المستهلكة، فسهلت العديد من الأعمال والأنشطة، وساهمت فى تحديثها، فنجد اليوم مفاهيم ومصطلحات جديدة ظهرت بفعل هذا التقدم والتحول الحاصل فى هذه القطاعات والأنشطة، مثل: التجارة الإلكترونية E-commerce، التعليم الإلكترونى E-learning، العمل عن بعد télé travail، الدراسة عن بعد télé enseignement، العلاج عن بعد télé medecine، التبضع عن بعد E-buy، الحكومة الإلكترونية E-government، والإدارة الإلكترونية، والسياحة الإلكترونية، والكتب والمصادر الإلكترونية، والنشر الإلكترونى، إلى غير ذلك من المجالات والمفاهيم التى أصيبت بالحمى الإلكترونية.

وتعتبر تقريبا كل هذه المجالات وثيقة الصلة بالمعلومات والمعرفة، وبالمجالات المتعلقة بصناعتها وتخزينها وبثها واستثمارها، وهو ما يندرج بصفة عامة فيما يسمى بالاقتصاد القائم على المعرفة، والذى يساهم بشكل كبير فى تحقيق التنمية المستديمة دون أن تكون له أثار وانعكاسات سلبية على البيئة، حتى أن التحكم فى التقنيات والتكنولوجيات الحديثة يحدد اليوم مدى تقدم دولة معينة أو تخلفها، فهو مؤشر هام أصبحت تصنف به الدول، ويحدد مدى قوتها ووجودها فى مصاف الدول الكبرى والمتطورة من عدمه.

ضرورة التوجه نحو اقتصاد المعرفة لتحقيق التنمية المستديمة:

إن التنمية المستديمة تهدف إلى تحسين نوعية حياة الإنسان، وتطوير مختلف مناحى الحياة، لكن بشرط المحافظة قدر المستطاع على البيئة، وعدم الإضرار بها عبر هذه النشاطات التنموية، وعدم ترك المخلفات التى ستؤثر بشكل سلبى على المحيط، ويترتب عنها مشاكل بيئية لا نعرف مداها وآثارها، كالتلوث البيئى...

وتعتبر النفايات الصناعية والمخلفات من أكثر ما يساهم فى تلوث البيئة، وبالتالى يقلل من قيمة التنمية التى حققتها البشرية من هذه الأنشطة (الصناعية والزراعية...) والتى تركت لنا هذه المخلفات، فهل الحل يكمن فى الإلغاء أو التقليل من الأنشطة الزراعية؟ أم

فى ترشيد الاستخدام العقلانى للموارد الطبيعية والاقتصادية، بشكل يحقق التنمية ويحافظ على البيئة؟

من الأكيد أن استخدام الموارد الطبيعية والطاقوية له من الأهمية ما يجعل من المستحيل حاليا الاستغناء عنها، وعدم استغلالها بدافع الحفاظ على البيئة، فتقريبا كل القطاعات تنتعش وتنمو بهذه الموارد. لكن من جهة أخرى لا يمكن أن نتغافل عن التوجه العالمى فى العصر الحالى، والذى يتسم بمحاولة معظم الدول التخلص من ارتباطها بالمواد الطاقوية، التى ستنفذ فى المستقبل من دون شك، وهى تحاول أن تجد البديل الذى يحقق لها تنمية وتطور مستمر لأكبر مدة ممكنة، وفعال ومربح أكثر، فى نفس الوقت الذى لا تكون له مخلفات ونتائج سلبية على البيئة والمحيط.

ومن أهم المجالات التى وجدتها الدول المتقدمة ناجعة أكثر لأداء هذه المهمة ولتحقيق هذه الأهداف (تحقيق التنمية بأكبر قدر من المنفعة والربح، وبأكبر مدة من الاستمرارية والديمومة، بأقل نسبة من التكاليف، وبأقل نسبة من الخسائر والمشاكل البيئية) مجال المعرفة، وهو ما دفعها إلى تحديث اقتصادياتها القائمة على المعرفة، وتنمية النشاطات التى تعمل على الاستثمار فى المعلومات ونتائج البحوث والدراسات، فنشأ المجال الاقتصادى المعروف "باقتصاد المعرفة knowledge economy ".

وما يميز الاقتصاد القائم على المعرفة أنه يعتمد على مادة أولية لا تنضب باستعمالها(المعرفة)، عكس المواد الأولية الأخرى كالبترول، الغاز، الفحم...التى تتميز بالنفاذ والنضوب مهما كانت كميتها، كما أنها ذات آثار كبيرة على المحيط، وعلى صحة الإنسان، وحتى على استقرار المجتمعات سياسيا وأمنيا، فكل الحروب الموجودة حاليا نشبت من أجل السيطرة على منابع النفط والغاز والموارد الطاقوية الباطنية. أما المعرفة والقطاعات المرتبطة بها فتتسم بالاستمرارية والبقاء، المعلومات مهما تعدد مستعمليها لا تنضب، بل إنها تنمو وتستحدث بالاستعمال والتمحيص والدراسة والتداول، ولذلك فإنه ليس من الغريب أن نجد أكثر من خمسين بالمئة من الطبقة العاملة فى الدول المتقدمة تشتغل فى قطاعات ذات علاقة بصناعة المعلومات، وفى تجميعها وتحليلها وتصنيفها واستثمارها

وبيعها. وحينما نتحدث عن المؤسسات التى تشتغل فى ميدان المعلومات والمعرفة فإننا نقصد مجالات عديدة، كالجامعات، المدارس، مراكز البحوث، مكاتب الدراسات، مصانع الأجهزة والتقنيات الاتصالية والمعلوماتية (الحواسيب، الهواتف، الألياف البصرية...)، دور النشر، صانعو الحوامل والوسائط (الأقراص، الذاكرات ...) إلى غير ذلك من الميادين التى يضيق المكان لذكرها.

ولذلك يمكن القول أن تحقيق التنمية المستديمة يتطلب حل المعادلة التالية:

- تحقيق التنمية المستديمة= أنشطة مربحة+تكاليف قليلة+ مشاكل بيئية قليلة+مواد لا تنضب باستعمالها

وبالتالى فإن المجال الناجع والفعال بنسبة أكبر لحل هذه المعادلة يتمثل فى التوجه نحو التحرر من الارتباط بالمواد الطاقوية والباطنية، وزيادة الاهتمام بالمعرفة وبالاقتصاد القائم على المعرفة وصناعات المعلومات. يقول الكاتب "جون بيير وارنيي": "إن الصناعات الثقافية هى فرع هام جدا من فروع الاقتصاد"[13]، ويقول كذلك "ايمانوال كاستل manuel Castel " بأن المنافسة فى الاقتصاد الحديث تكمن فى القدرة على إنتاج المعرفة ومعالجة معلومات"[14].

أى أن الضلوع فى هذه القطاعات وارتياد مراكز الصدارة فيها، هو العامل الحاسم والرهان الأساسى للدول التى ترغب فى عصرنا هذا أن تحقق تنمية مستدامة.

ويظهر ذلك من خلال الميزانيات الكبيرة التى تخصصها الحكومات وتستثمرها فى قطاع صناعة المعلومات وتكنولوجيات الاتصال، "فقد اعتبرت مثلا الحكومة الأمريكية بأن الصناعات المتعلقة بالمعلومات تشكل قطاعا هاما يعتبر كمحرك للنمو فى العصر الحالى، إذ يشير تقرير أُعِد حول التجارة بأمريكا إلى أن صناعة المعلومات تشكل حوالى ثلث النمو"[15].وحتى فى دول أخرى خاصة تلك التى لا تملك مصادر طاقوية طبيعية (البترول، الغاز...)، مثل ماليزيا، سانغفورة وغيرها من دول جنوب شرق آسيا، التى عملت على

تعويض فقرها لهذه الموارد الطبيعية، وأوجدت مصادر دخل بالاعتماد على المعرفة. وهذا يبين دور قطاع صناعة المعلومات والثقافة والمعرفة فى التنمية الوطنية.

خاتمة:

يمكن القول فى ختام هذه الورقة البحثية، أن الدول الراغبة فى تحقيق تنمية مستدامة، على كل المستويات، وفى كل المجالات (الاقتصادية، العلمية، الصناعية، السياسية...)، لا مناص لها من توظيف تكنولوجيا الاتصال الحديثة فى هذه المجالات بشكل جيد، وإدماجها فى مختلف الأنشطة، وتشجيع استخدامها من طرف مؤسسات الدولة ومؤسسات المجتمع المدنى على السواء، بالإضافة إلى تشجيع وتنمية الاقتصاد المعرفى والقطاعات المرتبطة بصناعة المعلومات، لأنها المجالات التى تمكن الدولة من تحقيق أهداف التنمية المستدامة، دون آثار سلبية على البيئة والمحيط، ودون خوف من أى انعكاسات على مستقبل الأجيال.

ولذلك فالمجتمعات المتطورة الحالية أصبحت باستحقاق مجتمعات معرفية، ولا أدل على ذلك نسبة ما تخصصه من ميزانيات من مجموع دخلها الوطنى، والتى تبين اهتمامها بالعلم والمعرفة، وتحكيمها للمعرفة فى كل شيء، فلا نكاد نجد أى مجال إلا وأصبح يخضع للبحوث والدراسات العلمية. وهو ما يجعل الدول النامية مضطرة إلى تحديث هذه المجالات لتحقيق التنمية المستديمة.

قائمة المصادر والمراجع:

1) http// :communication.akbarmontada.com, (8-5-2010).

2) Op.cit.

3) Wilbur schramm : l'information et le développement national, UNESCO, 1966.

4) أرمان ماتلار، جون ماري بيام: "صناعات ثقافية أو ثقافة جماهيرية" ترجمة نصر الدين العياضي، في كتاب : وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع، أراء ورؤى، الجزائر: دار القصبة، 1999م، ص 106.

5) سليمان صالح: ثورة الاتصال وحرية الإعلام، الكويت: مكتبة الفلاح، 2007م، ص ص 98 -103.

6) Alvin toffler : the third wave, new york : bantam ed. 1980.

7) François-henri de virieu: la mediacratie , paris : Flammarion, 1990, p.74.

8) Hérvé rené Martin : la mondialisation racontée à ceux qui la subissent, ed, Climats, 999.p,25.

9) Jean Caune : esthétique de la communication, paris : presses universitaire de France , 1997, p.120.

10) François-henri de virieu: op.cit, , p.78.

11) انظر أولجا جوديس بيلي، بارت كاميرتس، نيكوكار بنتيير: فهم الإعلام البديل، ترجمة: علا أحمد إصلاح، القاهرة: مجموعة النيل العربية، 2009م.

12) http// :communication.akbarmontada.com.

13) Jean-pierre warnier : la mondialisation de la culture, paris : la découverte, 1999, p.63.

14) Mohamed Meziane :pour une société algérienne de l'information, le quotidien d'Oran,n.3946, 06 décembre 2007,p.11.

15) Patrice flishy : Internet , un nouveaux mode de communication, ed. Hermès, paris,1999, pp.17-18.



- البث التلفزيوني الفضائي وتطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة نحو تغيير مفهوم السيادة-(*)

ملخص:

يحاول الباحث من خلال هذه الورقة أن يبين دور تكنولوجيا الاتصال الحديثة في تغيير المفهوم التقليدي للسيادة، وبروز أبعاد وزوايا جديدة ينبغي أن تأخذ في الحسبان لتحديد معنى السيادة في المجتمعات المعاصرة، وسيركز بالخصوص على البث التلفزيوني الفضائي وعلى شبكة الإنترنت، باعتبار أنهما التطوران البارزان اللذان كان لهما التغيير الملحوظ والتأثير المباشر على مفهوم السيادة، ولاسيما في شقه القانوني، وعليه فإن مصطلح السيادة قد أصبح مرتبطا بعدة مفاهيم ومصطلحات جديدة، لا بد من تناولها في معرض الحديث عن السيادة في المجتمعات المعاصرة، مثل مجتمع المعلومات، العولمة الإعلامية والثقافية والتكنولوجية، تدفق المعلومات، النظام الإعلامي الدولي الجديد، السيادة الإعلامية والثقافية؛ وهي كلها مفاهيم سيحاول الباحث أن يركز عليها ويبين ارتباط مفهومها بمفهوم السيادة.

- **الكلمات الدالة:** السيادة الوطنية، البث الفضائي، تكنولوجيا الاتصال، الغزو الثقافي.

(*) قدمنا هذه المحاضرة في إطار الملتقى الدولي حول " أخلاقيات الممارسة الإعلامية، بين ضوابط القانون وواقع المهنة" 26-27 أكتوبر 2010م، المركز الجامعي، خميس مليانة.

مقدمة:

لقد أدت تكنولوجيا الاتصال الحديثة بتطوراتها المتعددة الأبعاد والأشكال، إلى إحداث عدة تغيرات وتحولات فى المجتمعات المعاصرة، وتقريبا فى كل المجالات والأنشطة، مما جعل الباحثين والمختصين يتناولون بالدراسة والتحليل نتائج وانعكاسات هذه التكنولوجيات الحديثة، كما أنها أحدثت عدة تغيرات فى الجانب المفاهيمى للكثير من المصطلحات، حيث إن توظيف تكنولوجيا الاتصال هذه فى مختلف الميادين، سيؤدى إلى ظهور أنشطة وأعمال جديدة، وبالتالى استحداث مصطلحات جديدة مرتبطة بها.

ومن بين الوسائل الاتصالية الواسعة الاستعمال فى المجتمعات المعاصرة، شبكة الإنترنت والتلفزيون، حيث إننا لا نكاد نجد مجتمعا ما يخلوا نشاطه اليومى من توظيف هاتين الوسيلتين، وقد أدى التطور التكنولوجى الحاصل فى تقنيات الاتصال الحديثة إلى تحديث خدمات شبكة الإنترنت بشكل مذهل، فتعددت خدماتها وتطبيقاتها الاتصالية بشكل جعلها حاضرة فى كل مكان وزمان، ونفس التطور شهدته عملية البث التلفزيونى الفضائى، الذى أصبح يعتمد على أحدث التقنيات الاتصالية، كالأقمار الاصطناعية، وأجهزة الاستقبال والتوزيع والبث، وأجهزة التشفير وإزالة التشفير... إلخ، فقد أصبح الفرد يستقبل المئات من القنوات الفضائية، بكل اللغات ومن كل دول العالم، وحول مختلف المواضيع والمجالات، فنجد قنوات عامة وأخرى متخصصة فى مجال معين.

وقد جعلت هذه الوفرة الإعلامية -المتمثلة فى القنوات الفضائية وشبكة الإنترنت- الفرد المتلقى يستغنى فى الغالب عن القنوات المحلية وعن الإعلام الوطنى، الذى أصبح لا يلبى رغباته واحتياجاته، أو لا يعبر عن روحه وانشغالاته ولا يتناول قضاياه الحقيقية، إما عن قصد بفعل تأثير الأطراف السياسية والمؤسسات المالكة لوسائل الإعلام، والتى تتعامل بمنطق المصلحة والربح أكثر من عملها بمنطق المهنية والموضوعية الإعلامية فى التغطية، وإما لعدم كفاءة هذه الوسائل المحلية وعدم قدرتها على مسايرة التطورات الحاصلة فى المجال الإعلامى.

وقد أدت هذه الهجرة الجماعية للجمهور نحو القنوات الفضائية الأجنبية أو الدولية، ونحو مضامين شبكة الإنترنت بمختلف خدماتها، إلى ظهور عدة مفاهيم، كالغزو الثقافى، العولمة الإعلامية، تدفق المعلومات بشكل أحادى، انتهاك السيادة الوطنية، السيادة الثقافية، الهوية الوطنية، إلى غير ذلك من المفاهيم، التى سنحاول أن نتناولها بالتفصيل من أجل تبيان دور هذه التطورات فى تغيير مفهوم السيادة فى المجتمع المعاصر.

مفهوم السيادة:

كانت السيادة فى الماضى تعنى قدرة الدولة على التحكم فى حدودها الجغرافية، وتطبيق قوانينها وسياستها الخاصة بكل حرية، ودون تدخل من أى جهة أجنبية، وللدولة أن تتحكم فى مواطنيها وفقا لقوانينها ودستورها الوطنى، والتحكم فى حركة انتقال الأفراد من الداخل إلى الخارج أو العكس؛ وحاليا أصبح لمفهوم السيادة أبعادا أخرى ومعان أخرى، بفعل عدة عوامل سيتم عرضها فيما يلى، لنصل فى نهاية المطاف إلى تحديد المفهوم الحديث للسيادة.

وتعرف السيادة كذلك بأنها "امتلاك الدولة للقدرة على التحكم الحصرى فى نطاقها الداخلى، وفى الافراد سواء كانوا من البلد أو من الأجانب العابرين لهذا النطاق الجغرافى، كما أنها تملك الشرعية الحصرية لاستخدام القوة فى هذا المجال"[1].

تطور تكنولوجيا الاتصال الحديثة:

لقد شهد العالم ابتداء من النصف الثانى من القرن العشرين وامتدادا إلى بداية القرن الحادى والعشرين، ثورة معلوماتية كبيرة، أثرت فى كل مناحى الحياة الاجتماعية، وغيرت عدة مجالات فى المجتمعات المعاصرة، بدءا بالسياسة والاقتصاد، والدين، وصولا إلى المعرفة والثقافة والإعلام، إلى غير ذلك من الميادين الأخرى، خاصة تلك المتعلقة بالانعكاسات المترتبة عن تبنى واستعمال تقنيات ووسائل الاتصال الحديثة، التى شكلت جوهر هذه الثورة الاتصالية الحديثة.

" إن عصر الإعلام الكونى ألغى حواجز العزلة بين الحضارات، كما أن السرعة المتزايدة والفائقة والمستمرة التى تدور بها اليوم عجلة تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دفعت العالم إلى الانتقال من المجتمع الصناعى إلى مجتمع المعلومات لتعصف ثورة المعلومات والتكنولوجيا متعددة الوسائط جوانب الحياة كافة، فى التجارة والسياسة والتربية والتعليم إلى التسلية والألعاب"[2].

ولعل الميزة الأساسية والشيء البارز فى نتائج وانعكاسات هذه الثورة الاتصالية والتكنولوجية، هى تلك المتعلقة بالمصطلحات الجديدة التى ظهرت، والمفاهيم الجديدة والمستحدثة، بفعل ظهور أنشطة وأعمال جديدة وتقنيات جديدة، حيث نجد عدة مصطلحات قد تغيرت مفاهيمها ومعانيها وفقا للمعطيات الجديدة والتطورات الحاصلة فى مجتمعاتنا المعاصرة، ومن بين هذه المفاهيم المتغيرة مفهوم السيادة، الذى أصبح يأخذ أبعادا ومعانى جديدة.

السيادة فى ظل مجتمع المعلومات:

أطلقت تسمية "مجتمع المعلومات" على المجتمعات المعاصرة التى تعتبر المعلومة والمعرفة أساس كل نشاط فيها، بعد أن كانت المجتمعات التى قبلها تسمى "بالمجتمعات الصناعية" والتى قبلها "بالمجتمعات الزراعية".

وهناك من يعتبر أن مرحلة المجتمع المعلوماتى "هى امتداد للمرحلة الصناعية مع الفارق أن الاقتصاد فى المجتمعات المعلوماتية يعتمد بنسبة متزايدة على الصناعات المعلوماتية وليس على الصناعات التقليدية الثقيلة"[3].

وعليه يمكن القول أن مجتمع المعلومات هو ذلك المجتمع الذى تحتل فيه المعلومات والمعرفة المكانة الأساسية فى كل المجالات والنشاطات، ويقوم على صناعة المعلومات بكل أشكالها، وأوعيتها ووسائل تخزينها وتنظيمها وتحليلها وبثها، إنها مجتمعات توظف بشكل مكثف تكنولوجيات الاتصال فى عدة ميادين.

ولذلك فإن مجتمع المعلومات يشهد تدفقا مكثفا للمعلومات عبر عدة قنوات اتصالية، بكل اللغات وفى مختلف الأوعية، وفى عدة تخصصات، ومن مختلف الثقافات؛ وهذا ما يجعل مصطلح مجتمع المعلومات يرتبط ارتباطا وثيقا بالتغيرات الحاصلة على مفهوم "السيادة"، ولعل هذا ما جعل البعض يتحدثون عن "الأمن الفكري" فى ظل العولمة الإعلامية، وفى ظل التدفق الأحادى للمعلومات والمضامين الإعلامية.

ففى مجتمع المعلومات نجد أن تدفق المعلومات وانتقالها يكون بشكل حر ودون قيود فى الغالب، على سبيل المثال، تنتقل المعلومات عبر شبكة الإنترنت بكل حرية من بلد إلى بلد، ومن منطقة جغرافية إلى أخرى، دون أن تتأثر بالحدود الجغرافية والزمنية، وأى مكان فى العالم يتوافر فيه الاتصال بالشبكة، يستقبل المعلومات التى تنتقل عبرها، ونفس الشيء يحدث مع القنوات الفضائية، التى يمكن استقبال بثها من أى بلد أو مكان فى العالم، فنجد قنوات دولية وعابرة للقارات، تصدرها دولا ذات ثقافة معينة ولغة خاصة وتقاليد معينة، ويتم مشاهدتها من طرف متلقين من دول أخرى بثقافات ولغات وتقاليد مختلفة، وهو ما يجعل مفهوم السيادة كما نعرفه قد أصبح تقليديا، فى ظل هذه التطورات الحديثة.

ونجد العديد من الكتاب والمختصين يطرحون إشكاليات مثل "السيادة الفكرية"، "الغزو الثقافي" و"الأمن الفكري"، والتى تعتبر أبعادا خطيرة تتعلق بفقدان السيادة بمفهومها الحديث. فأى سيادة لدولة تستقبل يوميا كما هائلا من المضامين الإعلامية الأجنبية، وتتلقى أنماطا ثقافية وأشكالا متعددة من الغزو الفكرى، وأى سيادة لدولة لا تقدر على التحكم فى المعلومات التى تتدفق إلى حدودها عبر شبكة الإنترنت أو الفضائيات، وأى سيادة لدولة لا تنتج المعلومات والمضامين الإعلامية محليا، وأى سيادة لدولة تستورد كل مناهجها التعليمية؟

ولذلك فإننا نخلص إلى أن السيادة كمفهوم تقليدى، قد طرأ عليه تغيير كبير فى ظل المجتمعات المعلوماتية، مما يجعل السيادة السياسية غير مهمة مقارنة بالسيادة الثقافية والفكرية والمعلوماتية، والتى تفوقها خطرا وأهمية فى نفس الوقت، فالدول الكبرى كانت

فى الماضى تستعمر الدول الضعيفة عسكريا وتنتهك سيادتها السياسية بشكل مباشر، أما حاليا فقد أصبحت تركز على الاستعمار الثقافى والمعلوماتى، فهى المهيمنة على وسائل إنتاج المعلومات وتوزيعها وتنظيمها وتحليلها، وبالتالى فهى المتحكمة فى طرق تدفقها وأمكنة انتقالها والحدود التى تصل إليها.

الأقمار الاصطناعية والبث الفضائى العابر للحدود:

إذا كانت شبكة الإنترنت قد أثرت بشكل كبير على المفهوم التقليدى للسيادة، فإن البث الفضائى عبر الأقمار الاصطناعية لا يقل أهمية وتأثيرا، فحاليا توجد المئات من القنوات الفضائية، التى تبثها مختلف الدول، بلغات متعددة، وتتناول مجالات مختلفة، بالإضافة إلى تطور الأجهزة الاتصالية، كأجهزة البث والتوزيع والاستقبال، مما يجعل المضامين تتدفق بسهولة ودون عوائق تقنية، وهو ما يجعل هذه القنوات الفضائية عابرة للقارات وللحدود الجغرافية، مما يجعل الدول فى مواجهة تحديات جديدة متعلقة بسيادتها، فهى غير قادرة على التحكم فى المضامين الإعلامية والمحتويات الثقافية التى تسوقها هذه القنوات المتعولمة، وغير قادرة على منعها من اختراق حدودها، ومن الوصول إلى عقول مواطنيها، ولعل هذا ما جعل البعض يتحدث عن "الحدود المفتوحة" و"السماوات المفتوحة" التى تعج بالأقمار الصناعية التى ترسل المئات من القنوات، الممكن استقبالها من أى بلد، سواء شاءت حكومات تلك البلدان أم رفضت، فالتطورات التقنية والتكنولوجية الحاصلة فى وسائل وأجهزة الاتصال، يجعل من الصعب أو من المستحيل أحيانا على الدولة، مراقبة المعلومات والمضامين المتدفقة والمتنقلة عبر مختلف القنوات والأوعية الاتصالية.

وعليه، فإن البث الفضائى العابر للقارات والحدود يجعل مفهوم السيادة مفهوما باليا وغير ذا معنى بشكله التقليدى، نظرا لعدم قدرة الدولة فى التحكم فى ما يفد إليها من معلومات ومضامين أجنبية، خاصة إذا كانت دولة متخلفة فى هذا الشأن لا تملك إنتاجا محليا يضاهى ويواجه الإنتاج الإعلامى الأجنبى، ويحد من تأثيره على عقول وسلوكيات المشاهدين.

العولمة الإعلامية والسيادة الوطنية للدول:

يمكن القول أن العولمة فى شكلها الإعلامى تهدف إلى تعميم نموذج إعلامى يسوق فى الأساس مضامين إعلامية وثقافية أمريكية، ولعل هذا السبب هو ما جعل البعض يستبدل هذه الكلمة بمصطلح "الأمركة"، أى محاولة فرض القيم والمبادئ والأفكار الأمريكية، وجعلها تحل محل الثقافات المحلية.

"ويفرق البعض بين العولمة والعالمية، فالعولمة هى احتواء للعالم وفعل إرادى يستهدف اختراق الآخر، وسلبه خصوصيته الثقافية، بينما تعد العالمية تفتحا على ما هو كونى وعالمى تستهدف إغناء الهوية الثقافية"[4]، ولذلك فإن العولمة (الثقافية) تعمل جاهدة على تنميط الثقافات وتوحيدها، وطمس الثقافات المحلية وجعلها تذوب فى بوتقتها، وهى تستعين فى ذلك بوسائل الإعلام الجماهيرية، التى تتميز بتأثيرها الكبير على المتلقى، سواء فى سلوكه أو ثقافته أو معارفه.

وقد "تربعت الولايات المتحدة الأمريكية على عرش إنتاج الثقافة التى تهيمن وتسيطر على معظم القنوات التلفزيونية العالمية، ويقدر الإنفاق الإعلامى فى الولايات المتحدة أكثر من 250 مليار دولار سنويا- أى أكثر من نصيب الإنفاق الإعلامى العالمى- ويوفر هذا الحجم الكبير للإنفاق المستلزمات الضرورية للصناعات الثقافية الأمريكية لتفرض نفسها وتبسط نفوذها على العالم"[5].

"إن مصادر الإعلام وبشكل خاص التلفزيون والإنترنت، الوسائل الأكثر انتشارا وتأثيرا، عادت موصوفة، وبحسب ما يعتبره المفكر الفرنسى "جان بودريار"، أنها تنقل لنا "عالم الواقع المفرط" فالواقع الحقيقى لم يعد موجودا، بل استعيض عنه بما نشاهده على شاشة التلفزيون من مشاهد وصور وأحاديث وتعليقات"[6]، وبالتالى تجعل المتلقى يتقمص الشخصيات التلفزيونية ويعيش حياتها، متخليا عن حياته الواقعية وهمومه الحقيقية.

ولذلك يقول الكاتب "صباح ياسين" : "إن معظم المادة الإعلامية هى "غلاف ثقافى فاسد" وقد أصبنا بعدة حالات تسمم ولم نتعلم بعد"[7].ولم نمتلك بعد الآليات التى تمكننا من تجنب هذه المادة الإعلامية الفاسدة، وتعويضها بمادة محلية بديلة.

"وخلال الأونة الأخيرة اتخذت العولمة الإعلامية العديد من المظاهر والتجليات الجديدة، ولعل أبرزها كان اتجاه بعض وسائل الإعلام الجماهيرية وكبريات الصحف والمجلات الأمريكية والغربية نحو ترجمة بعض برامجها الإذاعية المسموعة والمرئية وإصداراتها الأسبوعية والشهرية إلى العربية، وبثها وتسويقها وتوزيعها فى الدول العربية، وهو ما يمثل نموذجا مصغرا لظاهرة يمكن أن يتسع نطاقها فى المستقبل. وإذا لم يتم تطوير وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية التقليدية العربية والإسلامية، فإن قطاعات واسعة من القراء والمستمعين والمشاهدين قد يتجهون نحو تفضيل البرامج الإذاعية المسموعة والمرئية والصحف والمجلات الغربية وبالذات الأمريكية"[٥]. وهو ما يجعلنا نقول أن الحفاظ على السيادة بمفهومها الحديث أمر صعب المنال فى عصر العولمة، التى لا تعترف بالحدود الجغرافية والزمنية وخصوصا الثقافية.

السيادة الثقافية فى مواجهة الاختراق الثقافى:

إن الاختراق الثقافى ما هو إلا نمط جديد من الاستعمار أو الاستدمار كما يسميه "عبد الرحمان الكواكبي"، وما هو إلا نسخة جديدة من طرق الهيمنة الغربية على الدول الضعيفة، والذى وجدته الدول الغربية أكثر نجاعة وأقل تكلفة وأكثر مواردا وأشد تأثيرا. ولذلك فإنها تعمل جاهدة على التسلل إلى منطقة "اللاشعور الثقافي"، من أجل تعزيز حضورها وتقوية وجودها، ومن أجل قتل الوعى المتبقى، وبالتالى تجسيد ما ترغبه من قيم فى سلوكات وعادات وقيم ذوى هذه العقول المخترقة، وبلورة أفكارهم وتشكيل وعيهم من جديد بشكل يتوافق مع القيم الثقافية المرغوبة.

حيث إن "الاختراق الثقافى الذى تمارسه العولمة يريد إلغاء الصراع الأيديولوجى والحلول محله من خلال محاولة السيطرة على الإدراك عبر الصورة السمعبصرية، التى تسعى إلى تسطيح الوعى، وجعله يرتبط بما يجرى على السطح من صور ومشاهد ذات طابع إعلامى مثير للإدراك، ومستفز للعواطف وحاجب للعقل"[٦].

ومن أبرز الوسائل المعتمدة فى هذا الهجوم والغزو الثقافى، وسائل الإعلام السمعية البصرية، فهى القادرة على التأثير بشكل فعال وسريع، والقادرة على تعديل السلوكات

وغرس القيم والثقافات المختلفة، ذلك لأنها تستدعى الحاستين الأكثر أهمية، والأكثر مساهمة فى ترسيخ المعلومات التى نتلقاها، إنهما حاستى السمع والبصر. وقد أثبتت الكثير من البحوث والدراسات أن المعلومات التى نتلقاها بحاستى السمع والبصر تثبت بسهولة، ويتم تذكرها لمدة طويلة مقارنة بتلك التى نتلقاها بحاسة واحدة. هذا وبالإضافة إلى المؤثرات المختلفة التى تتيحها تقنيات وتكنولوجيات الاتصال الحديثة، والتى تمكن من تعديل وتغيير وتحوير الصور والتسجيلات السمعية والبصرية وتركيبها بالطريقة التى نشاء، وبالتالى بإمكاننا إنتاج المضامين التى نشاء وتسويقها بالشكل الذى نريده.

إن كل هذه العوامل وغيرها جعلت الوسائل السمع-بصرية قادرة على تحقيق مساعى العولمة لتنميط ثقافات الشعوب واختراق سياداتها، وقادرة على تجسيد ما يرمى إليه الإعلام الغربى المعولم، ولا سيما شبكة الإنترنت.

وعليه فإن شبكة "الإنترنت ليست كغيرها من وسائل الإعلام، فهى تتسم بالعالمية[15]، وهذه الخاصية تجعلها جديرة بنقل قيم العولمة وتجسيد أهدافها، وجديرة بإزالة الحدود الثقافية التى تشكل سيادة الدول المعاصرة.

التدفق الأحادى للمعلومات:

مما يساعد على تحقيق أهداف الإعلام الغربى فيما يخص الغزو الفكرى والاختراق الثقافى وانتهاك السيادة الثقافية الدول، هو كون النظام الإعلامى الدولى الحالى يتميز بتدفق أحادى للمعلومات، وهو التدفق الذى يصدر من الدول الغربية المالكة لأغلبية أو لأهم وأكبر وسائل الإعلام على المستوى الدولى.

وفى ظل النقص الرهيب فى مجال الإنتاج الإعلامى على المستوى الدولى وحتى المحلى، أصبحت القيم المحلية عرضة للتهديد من طرف السيل الجارف من القيم العالمية الغربية على الخصوص، التى تتدفق من جهة واحدة وتغمرنا بشكل يجعلنا مستهلكين فقط.

"وتستهدف ثقافة الاختراق تنميط الذوق وقولبة السلوك وتكريس نوع معين من الاستهلاك لأنواع معينة من السلع والمعرفة والثقافة، تتسم جميعها بالضحالة والسطحية

والإثارة"[11]، وهى الثقافة التى يطلق عليها تسمية "الثقافة الجماهيرية"، التى تقابل ثقافة النخبة وثقافة القلة، فالمعلومات والأنماط الثقافية التى تقدمها غالبية الوسائل الإعلامية حاليا تتسم بالسذاجة والتفاهة، الهدف منها تضليل الجماهير عن المشاكل والقضايا الحقيقية، وتوجيه أنظارهم إلى هذه "المضامين الغوغائية" و"الجماهيرية"، و"الشعبوية".

وكان الكاتب "هربرت شيلر" قد قال فى كتابه المعنون "المتلاعبون بالعقول": "يقوم مديرو أجهزة الإعلام فى أمريكا بوضع أسس عملية تداول "الصور والمعلومات" ويشرفون على معالجتها وتنقيحها وإحكام السيطرة عليها، تلك الصور والمعلومات التى تحدد معتقداتنا ومواقفنا، بل وتحدد سلوكنا فى النهاية"[12]. إن عنوان هذا الكتاب ومضمونه ليوحى بالدور الذى يقوم به ملاك وسائل الإعلام ومؤسساتها الضخمة فى أمريكا، فى التأثير على أفكار الناس وتوجهاتهم وقيمهم، وفى تشكيل الرأى العام، ليس فقط الأمريكى ولكن حتى الدولى.

يقول الكاتب "لويس بورشي": "تقوم وسائل الإعلام بإلغاء الفردانية (individualité) وتوحد كل شيء، عبر قيامها بجعل الأفراد يستقبلون نفس المضمون والمعرفة"[13]، ونفس القيم والأنماط الثقافية، وهو ما يهدد بشكل مباشر القيم الثقافية المحلية الخاصة بهم.

"إن عولمة الإعلام سمة رئيسية من سمات العصر المتسم بالعولمة، وهى امتداد أو توسع فى مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه، وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافى نتيجة ذلك التطور لوسائل الإعلام والاتصال، التى جعلت بالإمكان فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتماء إلى مكان محدود"[14]، والولاء لثقافة دخيلة تابعة لمنتجى هذه المضامين.

وقد استهلت الدكتورة "عواطف عبد الرحمان" كتابها قائلة: "لقد اعتقد البعض أن موجة الاستقلال التى اجتاحت معظم دول آسيا وأفريقيا بعد الحرب العالمية الثانية سوف تؤدى بالضرورة إلى تحقيق استقلالها الاقتصادى والثقافى والإعلامى. ولكن حتى منتصف السبعينات لم يبد أن أية دولة من دول العالم الثالث قد استطاعت أن تحقق سيادتها الإعلامية

كاملة. ورغم أن مظاهر التبعية الاقتصادية فى العالم الثالث قد أصبحت واضحة للجميع فإن التبعية الثقافية والإعلامية لم يتم الكشف عنها إلا بشكل محدود وفى سياق الأختام بدراسة الجوانب الاقتصادية والاجتماعية. والآن قد مرت ثلاثة عقود حفلت بالممارسات والمحاولات العديدة من أجل الخروج من دائرة التبعية ولم يقدر النجاح إلا لحالات قليلة بينما لا تزال الغالبية العظمى من شعوب العالم الثالث تسعى للخلاص الشامل"[15]، ولهذا فإن الأهم ليس فقط الحصول على استقلال الدولة السياسى والعسكرى والاقتصادى، لأن ما يهم أكثر من هذه الجوانب الثلاث هو الاستقلال الثقافى، والتحرر من حملات الغزو الفكرى المسعورة، وتحقيق السيادة الإعلامية والثقافية والمعلوماتية.

مفهوم السيادة فى المجتمع الدولى المعاصر:

بعد ما تم تناوله فيما سبق يمكن أن نقول أن المفهوم الحديث للسيادة يتمثل فى تحكم الدولة فى المعلومات والأفكار والمعارف والمضامين المتداولة عبر حدودها الجغرافية أو فى الدول الأخرى، والقدرة على صد الغزو الثقافى والفكرى الكاسح، وتحقيق الأمن الفكرى لشعبها، وعلى تحقيق السيادة الفكرية الثقافية، بالإضافة إلى القدرة على إنتاج المعلومات والمعارف محليا وبشكل مستقل عن الخارج. وبالتالى فإن قدرة الدولة على إنتاج المضامين الإعلامية والمعارف والمعلومات، وعلى مواجهة الأفكار والأنماط الثقافية والمضامين الإعلامية الدخيلة، هو ما يحقق سيادة الدولة؛ التى لم تعد كما فى الماضى سيادة سياسية فقط، ولكن ثقافية وفكرية وعلمية ومعلوماتية وإعلامية.

خاتمة:

مما سبق نستنتج أن المجتمعات المعاصرة قد تغيرت فيها الكثير من الجوانب، بفعل التطورات الحاصلة فى كل الميادين، ولاسيما تلك المترتبة عن توظيف واستخدام تكنولوجيات الاتصال الحديثة؛ التى جعلت من عدة مصطلحات غير مستقرة المعنى والمفهوم، فهى تتبدل وتتغير وفقا للمستجدات، وتحل المفاهيم الجديدة محل سابقاتها التقليدية.

ويعتبر مفهوم السيادة من المفاهيم التى أصبحت لها دلالات أخرى، مرتبطة بالخصوص بالتطورات التكنولوجية التى حدثت مؤخرا، ولاسيما فى مجال البث التلفزيونى الفضائى وفى تقنيات التواصل كالإنترنت، والتى جعلتنا نتحدث عن أنواع أخرى من السيادة، كالسيادة الثقافية والإعلامية والمعلوماتية، التى تعتبر الرهان الحقيقى للدول والمجتمعات المعاصرة، التى ترغب فى المحافظة على استقلالها وسيادتها الكاملة من كل النواحى.

قائمة المصادر والمراجع:

1) Encyclopedie Encarta 2009.

2) مجد هاشم الهاشمي: الإعلام الكوني وتكنولوجيا المستقبل، عمان: دار المستقبل، 2001م، ص09.

3) طارق محمود عباس: مجتمع المعلومات الرقمي، القاهرة: المركز الأصيل، 2004م، ص 14.

4) عواطف عبد الرحمان: الإعلام العربي وقضايا العولمة، كتب عربية، ص 27.

5) محمد نصر مهنا: في تنظير الإعلام، الفضائيات العربية، العولمة الإعلامية، المعلوماتية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009م ص ص 17-18.

6) صباح ياسين: الإعلام، النسق القيمي وهيمنة القوة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م ص 11.

7) نفس المرجع، ص 203.

8) محمد البخاري: المجتمع المعلوماتي وتحديات العولمة في الدول الأقل حضا، طشقند 2002م، ص 14.

9) عواطف عبد الرحمان: مرجع سابق، ص 27.

10) J-J bertolus, renaud de la baume : la révolution sans visage, paris : Belfond, 1997. p.08.

11) Christian B., Xavier M. : la communication, 2em.ed., paris: Nathan,1999.

12) انظر: أرمان وميشال ماتلار: تاريخ نظريات الاتصال، ترجمة نصر الدين العياضي، الصادق رابح ط3 ، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، 2005م، ص 134.

13) أرمان وميشال ماتلار: مرجع سبق ذكره، ص 205.

14) عواطف عبد الرحمان: مرجع سابق، ص 27.

15) هربرت أ. شيلر: المتلاعبون بالعقول، ترجمة عبد السلام رضوان، سلسلة عالم المعرفة: الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1999، ص 5.



القيم الثقافية المحلية فى مواجهة الإعلام الغربى والعولمة الثقافية

ملخص:

يحاول الكاتب من خلال هذه الورقة أن يبرز الدور المتعاظم الذى يقوم به الإعلام الغربى من أجل تنميط الثقافات المحلية للمجتمعات، وتسويق قيم ثقافية ومبادئ وسلوكيات تتنافى مع منظومة قيمنا المحلية، خاصة فى عصر العولمة بكل أنواعها وتجلياتها، الاقتصادية والثقافية والاتصالية، وفى عصر أصبحنا فيه غير قادرين على التحكم فى التدفق الهائل من المعلومات والمضامين الثقافية المختلفة، عبر وسائل إتصالية وتكنولوجيات حديثة، وفى عصر كذلك يتسم بانسياب سيل جارف من القيم والسلوكيات والعادات من الطرف الآخر أو من الضفة الأخرى (الغرب)، جعلت المختصين يدقون ناقوس الخطر حول تداعيات ذلك وتأثيراته على القيم الثقافية المحلية، وعلى العادات والسلوكات السائدة فى مجتمعاتنا.

كما سيحاول الباحث أن يبين دور وسائل الإعلام الغربى ولاسيما تكنولوجيات الاتصال الحديثة فى القضاء على القيم الثقافية المحلية، وإحلال قيم أخرى مكانها تبدو للمتلقى أكثر حداثة وأجدر بالتبنى من قيمه المحلية، وهو ما يجعله فى نهاية المطاف تائها بين قيمه وقيم الغير، بعد دخوله فى متاهات العولمة الثقافية، وغرقه فى سيل جارف من الأفكار والقيم والأنماط الثقافية والسلوكيات الجديدة، التى لا تمت بأدنى صلة لثقافته واعتقاداته ومنظومة قيمه، والتى تمطره بها ترسانة وسائل الإعلام الغربية فى كل لحظة، دون أن تدع

له المجال أو تتيح له الفرصة للإختيار والتمييز بين الايجابي والسلبي على مجالات حياته العامة، وعلى ثقافته وقيمه على الخصوص.

مقدمة:

تطال المجتمعات العربية والإسلامية حملة إعلامية كبيرة تهدف لزعزعة منظومتها القيمية والثقافية، واختراقها عبر ما يمكن أن نسميه بالغزو الثقافي والاستلاب الثقافي، الذي يعمل على التسلل لعقول المتلقين، ومحاولة التموقع والارتكاز بشكل جيد، وبشكل يتيح إمكانية إعادة هيكلة هذه القيم والثقافات المحلية السائدة، وبالتالي إحلال قيم ثقافية غربية مكانها، تسهم بدورها في تنميط السلوكات وتوجيهها نحو وجهة -محددة سلفا- تخدم أهدافا قام بوضعها القائمون أو المسيطرون على وسائل الإعلام الغربية والمجموعات الإعلامية الكبرى، التي تغرد سمفونية مفادها ضرورة الخضوع والاستسلام لرياح العولمة، ولأمواجها الجارفة، وضرورة تبني ما تجلبه معها من مبادئ وعادات وأنماط ثقافية.

ومما لا شك فيه أن العدو الأول للثقافات والقيم المحلية هي العولمة وقيمها الثقافية المرفقة، والتي تلوح في أفق كل بلد أو مجتمع يتعرض للزخم الهائل من المضامين الثقافية، التي تبثها ترسانة الإعلام الغربي الجارف، والذي لا يترك مجالا للمتلقي للاختيار والانتقاء بين الغث والسمين، وبين النافع والضار.إنه اجتياح فكري واكتساح ثقافي تتعرض له مجتمعاتنا المغلوبة على أمرها، والتي لا تملك إلا أن تستقبل وتمتص ما ينتج ويسوق من صناعات ثقافية، كالأفلام والبرامج الوثائقية والمسلسلات والرسوم المتحركة...الخ.

لقد أصبحت مجتمعاتنا كالاسفنجة التي لا تترك قطرة ماء إلا وامتصتها، لأنها تستهلك تقريبا كل ما ينتج في الضفة الأخرى، والأخطر هو في الاعتقاد أن كل ما يقدم جيد ولا يعتريه النقص والخلل، لأنه ببساطة "غربي" ويصلح للاستهلاك.

كيفية المواجهة:

يمكن من خلال ما تم عرضه من واقع ثقافي وإعلامي في الوقت الراهن، أن نقدم مجموعة من الحلول التي يمكن استغلالها لمواجهة الغزو الثقافي ومحاولة تغيير هذا الواقع المرير.

أ- إنتاج المضامين الثقافية والإعلامية المحلية:

إن المخاطر والسلبيات الناتجة عن الانسياب الأحادى للمعلومات والتدفق غير العادل للإعلام الدولى، وما يصاحبه من عولمة ثقافية، يجعلنا نستنتج أن أنجع السبل لمواجهة هذا الإعلام الغربى المعولم هى إنتاج مضامين إعلامية وثقافية خاصة بنا، تتناول تاريخنا وحضارتنا وقيمنا وعقيدتنا، وإنتاج ما يتوافق مع منظومتنا القيمية والثقافية والأخلاقية، فلا يمكن أن نواجه العولمة الثقافية فى الوقت الذى نبقى فيه أسرى للمنتجات الثقافية الغربية ونمتص كل ما تجود به علينا ترساناتهم الإعلامية.

تقول الدكتورة "عواطف عبد الرحمان": "أما البديل الأخر الذى قد لا يجد حماسا كبيرا لدى معظم دول العالم الثالث، فهو ينحصر فى ضرورة أن تقلل هذه الدول من تعلقها الجنونى بمنتجات الحضارة الغربية الحديثة، خصوصا فى مجال الإعلام. إذ بمجرد أن تبدأ دولة نامية فى اقتناء منتجات التكنولوجيا الإعلامية الحديثة سرعان ما يؤدى ذلك إلى خلق أنماط سلوكية تؤثر على إطار الحياة الاجتماعية بأكملها داخل المجتمعات النامية، فمثلا اقتناء التليفزيون يترتب عليه المطالبة الدائمة ببرامج لا تستطيع الدول النامية بميزانياتها الضعيفة أن تنتجها مما يضطرها إلى استيراد برامج تليفزيونية من الخارج"[1].

وقد "بدأت البلاد العربية تتعرف على إعلام جديد بوسائل ومضامين جديدة، يحمل رسائل ثقافية وإعلامية تربوية وقيما أخلاقية جديدة، وهى وإن كانت تتصادم أحيانا مع التراث العربى المعهود وأخلاقياته المحافظة، فهى تعبر عن مجتمعات الغرب الصناعى المتقدم، وتترجم قيمه وأخلاقياته وتروج لسياساته واهتماماته، وتفرض على مستقبلها ومتلقيها أجندته الرئيسية سياسيا واقتصاديا وعسكريا وثقافيا وأخلاقيا"[2].

إن "الحقائق التاريخية والواقعية المعاصرة فى قصة وسائل الإعلام وتطورها تنبهنا إلى نقطة جوهرية فاصلة، وهى أن الوسائل باعتبارها اختراعات بشرية وباعتبارها إنتاجا صناعيا وقفنا أمامها-نحن العرب- موقف المستهلك، وعلينا أن نسعى إلى المشاركة. وإن المضمون وإن كنا ننتج لأنفسنا قسطا، فإن قسطا آخر نستورده، والمشكلة فيما نستورده أن فيه ما يسمم نفوسنا. وعلينا أن ندرك ذلك وأن نسعى إلى تحصين أنفسنا

وأن نسعى إلى إنتاج إعلامنا، وأن نسعى إلى تصدير صورتنا الإنسانية الصحيحة إلى عالم مزدحم بالصراع"[3].

وفي ظل هذا الجو المشحون بالعداء والصراع ومحاولات الغزو الثقافي، فإن "الفضائيات العربية أصبحت تواجه تحديا مهما حيث إنها مطالبة بحماية المشاهد العربي من التدفق الإعلامي الغربي ومن التشويه والنمطية وتغيير الواقع حسب أهواء ومصالح القوى الفاعلة في النظام العالمي، ومن جهة أخرى فإنها مطالبة بإبراز الهوية العربية الإسلامية والثقافة والحضارة والوجود العربي الإسلامي عبر ما تبثه من برامج وإنتاج فكري وأدبي بما يساعد على مواجهة التحدي الحضاري والقيمي وإيقاف ذوبان التراكم القيمي والمعرفي والاجتماعي العربي في الثقافة العالمية"[4].

"وفي إطار إغراق سوق الثقافة بالقيم والمفاهيم الأمريكية تستورد القنوات الفضائية العربية ما معدله 17 بالمئة من برامجها من السوق الأمريكية"[5]. ولكم أن تتصوروا حجم المخاطر المترتبة عن هذه النسبة التي تستورد، وانعكاساتها على المدى البعيد.

2 - تطوير الإعلام المحلي:

من الأمور الهامة كذلك لمواجهة الإعلام الغربي والعولمة الثقافية تحديث الإعلام العربي المحلي، سواء من حيث الوسائل والتجهيزات أو من حيث تكوين العاملين فيها، وكذلك تطوير طبيعة البرامج والمضامين التي تبث عبر هذه الوسائل؛ لأن العامل الهام الذي سبب هذه الحملات الشعواء المستهدفة لثقافاتنا وقيمنا، هو مساهمة إعلامنا وتهيئة الأرضية للقيام بذلك، وتخلف الإعلام المحلي الذي كانت له انعكاسات كثيرة.

يقول الدكتور "صباح ياسين": "التراجع في أداء المؤسسة الإعلامية العربية لم ينحصر في قدرتها على التعبير عن حاجات التغيير والإصلاح في الواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي، بل تعدى ذلك إلى مساهمتها، بشكل أو بآخر، في تكريس واقع التشرذم والتفكك وتسويق القيم والمفاهيم السلبية في الحياة"[6].

والإعلام العربى والإسلامى لابد وأن يركز على الشأن الثقافى الذى يمكن أن نواجه به الغزو الثقافى والتنكيل بالمسلمين بكل الطرق فى الإعلام الغربى، وعليه أن ينتج مضامين تبين البعد الحضارى فى ديننا وثقافاتنا وتقاليدنا، فليس أفضل لمجابهة هذه الحملات الشرسة لوسائل الإعلام الغربية، أن نواجههم بأسلحتهم التى يستعملونها.

يقول الكاتب "حسن عبد جبار": "السيطرة القيادية الغربية على مجمل تصنيع المخترعات الإعلامية والتكنولوجية، إضافة لتراكم الخبرات الغربية بهذا الصدد، قد دفعت بتوجيه الأنظار نحو الجانب الغربى، وما ينتجه من أجهزة ولواحق إعلامية، بهدف اقتناء الأحدث فيها، وهذه المواكبة المهتمة للاستمتاع بفوائد عروض الإعلاميات المنوعة، من خلال أجهزة إعلام ذات كفاءة تكنيكية أعلى من سابقاتها، ركزت مفهوما فى الذات الإنسانية، كى لا يكون التعامل مع الإعلام على حساب النوع الإعلامى المعروض، ولعل حالة امتلاك المرء لزمام إرادته شيء عظيم، وممكن أن يوظف للضغط المعنوى قبل المادى فى هذا المنحى عبر الانتقاء الملائم من النشاطات البرنامجية الإعلامية، وبما لا يتنافى وجواهر القيم والمثل والأعراف الاجتماعية السائدة فى بلدان العرب والمسلمين"[7].

3 - المطالبة بنظام إعلامى دولى جديد:

بدأت بعض الدول تنادى بنظام إعلامى دولى جديد "وقد كانت نقطة البداية فى مؤتمر قمة عدم الانحياز الذى انعقد فى 1973 بالجزائر، وتمثل أهم حدث فيه الكلمات العميقة التى أدلى بها آنذاك الرئيس الحبيب بورقيبة حول العمل الإعلامى بالخارج حيث قال: إن الأصابع الخفية لا تنفك ساعية لطمس بصيرتنا، وإطفاء نور عقولنا وتوجيه حركتنا، وضبط أذواقنا وخلق حاجاتنا ..وهى تستحوذ على العقول وتخنق ملكة الخلق والإبداع، وتنال من حرية التفكير والعمل"[8].

وعليه، فإن تغيير النظام الإعلامى الدولى ضرورة ملحة للحد من التدفق الأحادى للمعلومات، ولمواجهة عملية الغزو الثقافى والاختراق الفكرى الذى نتعرض له.

يقول الدكتور محمد الرميحى: "إن لنا مأخذ على النظام الدولى الراهن للإعلام، ولكن ذلك لا يحتم علينا إغلاق الأبواب دون هذا الإعلام، ولا فتحها على مصراعيها، بل يجب أن نأخذ منه بالقدر الذى يبقى على قيمنا، ويحفظ لنا شخصيتنا القومية، ولا يعرضنا للمسخ أو تشويه الهوية الثقافية"(٩).

و"من الثابت أن العولمة فى مجال الإعلام تتمثل خطورتها فى أنها تعكس الاختلال القائم بين العالم المتقدم والعالم الثالث، وبين الذين يملكون القدرة على الإرسال والبث والذين لا يملكون إلا أن يكونوا متلقين ومستهدفين بهذا الإرسال وذلك البث"(١٥).

وبالتالى فإن المناداة بنظام إعلامى جديد يعتبر ضرورة للحد من التدفق الأحادى للمعلومات، وللانسياب الثقافى من جهة واحدة تحتكر الساحة الإعلامية، وتستحوذ على دور النشر ووسائل الإعلام.

4 - تعزيز التواجد على الشبكة العنكبوتية:

ويقصد به التواجد الثقافى والمعرفى فى العالم الرقمى، من خلال إبراز الصورة الحقيقية لديننا وثقافتنا وقيمنا التى تتعرض للتشويه والتزييف من طرف وسائل الإعلام الغربية. وإذا كانت شبكة الإنترنت تتسم بصفة العالمية والكوكبية، فإن التواجد الثقافى فيها يعطى لثقافتنا وعاداتنا المحلية بعدا كونيا.

فى دراسة بعنوان "صورة الثقافة العربية والحضارة الإسلامية على الإنترنت" للكاتب "نبيل علي" توصل إلى نتائج:

- غياب عنصر التنسيق والمشاركة فى الموارد.
- صورتنا السلبية ناتجة عن تقاعسنا واسترخائنا أكثر من كونها نتاجا لما يقوم به الآخرون من تشويه أو طمس.
- تسهم فى تشكيل صورتنا على الإنترنت جماعات وفرق لا رابط بينها.
- يسود خطابنا على الإنترنت طابع رد الفعل والانفعالية وكثيرا ما يتناقض مع نفسه.

- يعيب خطابنا على الإنترنت انعزاليته المعرفية والتاريخية وهو تصادمى وخاصة فيما يخص الجدل الديني[11].

وختاما نستخلص أن الإعلام الغربى لا يدخر جهدا فى محاولته زعزعة منظومة قيمنا المحلية، وثقافاتنا الخاصة بنا، وسعيه من أجل تنميط الثقافات المحلية للمجتمعات، وتسويق قيم ثقافية ومبادئ وسلوكيات تتنافى مع منظومة قيمنا المحلية، وهو ما يجعلنا فى موضع يتطلب تحركا وتنسيقا بين مختلف الجهات من أجل مجابهة هذه الحملات التغريبية، وصد محاولات الاختراق الثقافى التى تستهدفنا.

قائمة المصادر والمراجع:

1) عواطف عبد الرحمان: الإعلام العربي وقضايا العولمة، كتب عربية، ص 21.

2) محمد نصر مهنا: : في تنظير الإعلام، الفضائيات العربية، العولمة الإعلامية، المعلوماتية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2009م ، ص19.

3) محمد سيد محمد وآخرون: وسائل الإعلام من المنادي إلى الإنترنت، القاهرة: دار الفكر العربي، 2009م، ص 296.

4) محمد نصر مهنا: مرجع سابق. 24-25.

5) صباح ياسين: الإعلام، النسق القيمي وهيمنة القوة، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2006م، ص 60.

6) نفس المرجع، ص 40.

7) حسين عبد الجبار: اتجاهات الإعلام الحديث والمعاصر،عمان: دار أسامة، 2008م، ص164.

8) مصطفى المصمودي: النظام الإعلامي الجديد، سلسلة عالم المعرفة: الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، 1985، ص 19.

9) نفس المرجع، ص 12.

10) محمد نصر مهنا: مرجع سابق،ص 20.

11) أمين سعيد عبد الغني: وسائل الإعلام الجديدة والموجة الرقمية الثانية، القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع، 2008م.ص ص 79-80.



الصورة الإشهارية بين المنطق التجاري والتسويق الثقافي (*)

ملخص:

يحاول الباحث من خلال هذه المداخلة أن يبين الدور المتعاظم للصورة بصفة عامة، كوسيلة لتوصيل المعانى والرموز ونقل الواقع، بل ولصناعة الواقع كذلك، خاصة فى ظل التحول المتزايد للمجتمعات الحالية إلى "مجتمعات مشاهدة"، وفى ظل الغزو الجارف لحياتنا اليومية من طرف عدد لا متناهى من الصور بكل الأشكال والتقنيات والوسائل، وكيفية تأثيرها تقريبا فى كل مناحى الحياة، ويركز بصفة خاصة على الصورة الإشهارية، وكيفية استخدامها للتسويق الثقافى أو بالأحرى للغزو الثقافى، ولتنميط ثقافات المشاهدين، ولغرس أفكار وقيم معينة فى المجتمعات المستهلكة والمستقبلة لهذه الإشهارات، وسنحاول كذلك من خلال هذه الورقة أن نبين أن الهدف من الصورة الإشهارية ليس دائما تجاريا ترويجيا لسلع أو خدمات معينة، وإنما يستعمل لتحقيق غايات تتركز أساسا على نشر ثقافات وقيم محددة، وترسيخ سلوكات معينة.

(*) قدمنا هذه المحاضرة فى إطار الملتقى الدولى حول: اتصال الصورة، الأبعاد والتحديات" يومي 09/ 10/ ماي 2009م، جامعة الدكتور يحى فارس،المدية.

مقدمة:

تعتبر الصورة الاشهارية فى عصرنا الحالى من بين أهم الوسائل المستعملة، ليس فقط للترويج التجارى وتسويق السلع، وإنما لتسويق ثقافات وقيم البلد الأصلى لهذه السلع والمنتجات، وهذا نظرا للدور المتعاظم للصورة وقدرتها المذهلة على إحداث التأثير على الأشخاص المشاهدين، وكما يقال فإن صورة واحدة قد تؤدى من المعانى ما لا يمكن أن تؤديه مئات السطور والصفحات، فهى تحدث وقعا فى نفس المشاهد قد لا يضاهيه وقع أى وسيلة أخرى؛ فعلى سبيل المثال عندما كان المسلمون يقتلون فى البوسنة والهرسك بشكل فضيع وصل لدرجة قتل خمسة آلاف شخص فى منطقة بيهاتش، لم يكن أحد يعير أى اهتمام لهذه الأنباء التى تنقلها الصحف، لكن عندما تم نقل صور لبعض هذه الجرائم البشعة تحرك كل العالم مندداً بها، وعرف المجتمع الدولى حقيقة تلك الجرائم التى تعتبر بمثابة تطهير عرقى وإبادة جماعية.

ولذلك "لا أحد يجادل اليوم فى المكانة التى أصبحت تحتلها الصورة لدى الإنسان المعاصر، لقد أصبحت تحيط به من كل جانب، وهذا أمر نستشفه بسهولة دونما اللجوء إلى سبل الحجج والبراهين .إن الصورة واحدة فى وسائل التعبير والتواصل والترفيه المهمة فى زماننا، إلى درجة صارت فيها من الوسائل الضرورية التى يسعى الإنسان لامتلاكها والسيطرة عليها، والتحكم فيها بغض النظر عن الحاجيات الأخرى ... بل أصبح إنسان اليوم، يساير التكنولوجيا المرئية خاصة ويقتنى مستجداتها.

إن العصر الذى نعيش فيه يسير بسرعة نحو تشكيل حضارة الصورة مما يجعلنا نتحدث عن إنسان الصورة بالمعنى الاستهلاكى للكلمة، وعن كوكب الصورة أى الكرة الأرضية كمكان، يعنى بإنتاج واستهلاك الصورة[1]".

و"إذا جاز لنا توصيف عصرنا الذى نعيش فيه، فهو باتفاق الآراء أننا نعيش عصر الصورة، ومن ثم فإن الشكل الثقافى السائد لعصرنا هو ثقافة الصورة، وفى مواجهة هذه الظاهرة التى هى جديدة بالرغم من زحفها الكاسح، تفجرت احتجاجات انتقاديه لا

ترى فى هذه الظاهرة إلا تهديدًا مدمرًا للهويات، وإلغاء لأنماط ثقافية جهدت الإنسانية فى إنجازها قرونًا وقرونًا من السنين(...).

العالم يجتاحه طوفان من الصور، هذه حقيقة لا مراء فيها، فللمرة الأولى فى تاريخ البشرية الطويل على هذه الأرض، بات فى مقدور بلايين البشر أن ينالوا قدرا من التجليات البصرية للتقنيات الحديثة، سواء كانوا فقراء يتجمعون حول بث الفضائيات فى المقاهى الرخيصة ورقميات التواصل المصورة فى مقاهى الإنترنت، أو ميسورين يمتلكون فى بيوتهم أحدث أجهزة التلفزيون واستقبال الفضائيات، وأثمن أجهزة الكمبيوتر القادرة على الاتصال السلكى واللاسلكى بشبكة المعلومات العالمية، بل الكوكبية. فإذا أضفنا إلى ذلك مصادر الصور المتاحة الأخرى، من شرائط مصورة، رقمية ومغناطيسية، وأقراص مرنة وأخرى مضغوطة، وأجهزة قادرة على بث الصور الرقمية وغير الرقمية فى كل ذلك، فإننا نكون فى مواجهة طوفان حقيقى من الصور. ولا يتبقى إلا أن نقرر: هل نطفو على سطح هذا الطوفان، أم أننا نغرق فيه؟(...).لقد باتت الصورة جزءًا من الواقع المعيش فى زمننا، وربما صارت بديلاً له، بل حتى أداة تصنيع لعالم متخيل - غير حقيقى - ينوب عن العالم الحقيقى لأهداف وغايات لا يمكن أن تكون حميدة فى معظمها، وإن كان بعضها حميدًا، من زاوية واقعنا العربى، فالصورة تعيد إنتاج العالم فتغدو حدثا محسوسًا مما يقوى من دورها ويفرض وصايتها على المشاهد الذى تبتلعه بهيمنتها، ولا تدع له فرصة للتأمل، وهى بالطبع وافد يحمل فى جعبته من الخبايا ما يحمل(...)، بل إنها لا تتوقف عند حدود مجرد الاتصال، بل تمارس التأثير بأكثر الأدوات نفوذًا ومكرًا، وهى الصورة، ومن ثم تمارس إعادة الصياغة الثقافية للبشر تبعًا لإرادة صانعى الصور ومروجيها، وهذه الصياغة لا تتوقف عند أنماط التفكير المسايرة لإرادة المهيمنين، بل تمتد إلى صياغة تقاليد وافدة فى الطعام والشراب واللباس والمسكن، وحتى فى السلوك العام اليومى، كما فى الفنون بجميع أنواعها. وهكذا لم تعد الصورة مجرد أطياف من أثير بل أصبحت أداة حفر وتشكيل وصياغة لمتلقيها، أى إخضاعا لاشعوريا لإرادة خارج الذات التى لا تصنع أو لا تشارك فى صنع هذه الأداة، كما تُتهم عاصفة الصور بكونها مسيرة للقطيعة مع أشكال الماضى كافة، وفى قلبها الهويات الثقافية الخاصة، أو المحلية لبعض الشعوب التى لم تعد تصنع حاضرها

وتاريخها، بل يصنعها لهم الآخرون الأقوى بمعايير عالم اليوم، وصناعة الصورة هى واحدة من معايير القوة لدى القوى المهيمنة الآن.

هذا الواقع الجديد، الذى تصوغه "عاصفة الصورة" دفع ببعض من مثقفينا للشك المشروع عند تناولهم للظاهرة، تقول الدكتورة مارى تريز: "ينبغى إذن التعرف على العلاقة بين الفرد والتكنولوجيا، وما أفضت إليه من ممارسات سلطوية جديدة متخفية فى ثقافة الصورة، نتيجة اختراق اقتصاد السوق للمعاملات بين الذات والآخر، خاصة بظهور مجتمع المشاهدة، فقد تزامن نمو مجتمع المشاهدة مع النمو التدريجى للتكنولوجيا المستخدمة فى تمثيل الذات والآخر عبر المنافذ البصرية المتنوعة"[2]؛ والأوعية التقنية المختلفة، خاصة فى عصرنا الحالى الذى لعبت فيه "الصورة بأشكالها المختلفة فى التلفزيون والسينما والإنترنت، وفنون الإعلان والإعلام دورا أساسيا فى تشكيل وعى الإنسان المعاصر بأشكال ايجابية حينا، وأشكال سلبية حيناً آخر، فهناك حضور جارف للصور فى حياة الإنسان الحديث، إنها حاضرة فى التربية والتعليم، وفى الأسواق والشوارع، وعبر وسائل الإعلام، وفى قاعات العرض للأعمال السينمائية والمسرحية والتشكيلية، وفى بطاقات الهوية، وأجهزة الكمبيوتر وعبر شبكات الإنترنت والفضائيات والتلفزيونات المحمولة، وفى ملاعب كرة القدم والتنس والمصارعة، وفى العروض الفنية"[3].

إن عالم اليوم يشهد اجتياحا كبيرا لتقنيات وتكنولوجيات الاتصال الحديثة، والتى جاءت بدورها بكم هائل من الصور، التى لا نقول بأنها وليدة اليوم، وإنما "أهميتها ازدادت بشكل كبير فى العصر الحديث، فالحياة المعاصرة لا يمكن تصورها من دون صور، وهذا ما أكده رأى الناقد الفرنسى (رولان بارت) حيث يقول :(إننا نعيش فى حضارة الصورة)، وأهم أهداف الصورة إنها ثقافة مفروضة علينا بإرادتنا معلنة، تقتحم بيوتنا وتبدل أفكارنا وتعمل على اعتياد غسيل عقولنا بأنفسنا أو عنوة، وفعلت الاتصالات والإعلام العالمى دورهما فى الانتقال من منطقة العرض إلى منطقة الفرض.لقد وضعت الصورة لكى تكون ثنائية التفاعل"[4]، وتكون ثنائية الوظيفة، أى أنها تؤدى وظيفة ظاهرة وأخرى خفية، فهى أشبه ما تكون بحصان طروادة، الذى يبدو فى ظاهره بأنه حصان عادى، فى حين أنه يحمل

بداخله جنودا ومحاربين، كذلك الصورة فهى تقدم مشاهد لأشياء وأمور قد تبدو عادية، لكنها تحمل فى طياتها كثير من المعانى والدلالات الخفية والمتسترة.

وعليه، يحرص اليوم معدو الحصص التلفزيونية والأفلام والاشهارات، ومخرجى الصحف والجرائد على طبيعة الصور المستعملة، ويتم انتقائها بعناية لأداء هدف أو معنى معين وإيصال فكرة معينة. ولذلك فإن الصورة قد ازداد الاهتمام بها ليس فقط فى المجال التجارى، وإنما حتى فى المجال السياسى والحربى وخاصة الدعائى، وهذا ما نلحظه فى المنتجات السينمائية والاشهارات، والتى تحاول من خلالها الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية أن تخلق ما يسمى بالصورة النمطية stéréotype، خاصة بالنسبة للعرب والمسلمين، والتى ازدادت حدتها بعد أحداث 11 سبتمبر، حيث حاولت أمريكا أن تخلق صورة نمطية للمسلمين أنهم إرهابيين وعدوانيين ومتطرفين، وبالتالى لابد من محاربتهم والقضاء عليهم، وتصنيف الدول الإسلامية فى خانة الدول الشريرة أو ما يسمى بمحور الشر، وللأسف الشديد فقد نجحت إلى حد ما فى جعل العالم يصدق هذه الصورة النمطية المغلوطة والمزيفة عن الإسلام والمسلمين، ويصدق الأراجيف التى تبثها الأفلام والاشهارات الغربية، وقد وصل الحد بالمسلمين فى الكثير من الأحيان إلى إخفاء هويتهم وديانتهم ما استطاعوا خاصة فى الدول الأجنبية، مخافة أن يتعرضوا للضغوطات والمضايقات.

وكما قلنا سابقا فقد أصبح اليوم مصممو الومضات الإشهارية التلفزيونية يولون اهتماما كبيرا بطبيعة الصورة التى ستستعمل، لأنهم لم يعد اهتمامهم تجاريا فقط كما كان من قبل، وإنما غدا الاهتمام ينصب كذلك على كيفية تسويق القيم الثقافية الغربية، والترويج لنموذج ونمط ثقافى خاص بهم، ومحاولة جعل الناس يتبنون هذه المبادئ والقيم. وعليه فإن خلق الصور النمطية من خلال الإشهارات يعد من بين التقنيات المستعملة لطمس الهويات الثقافية للشعوب، وتهديم منظومة قيمها، ومحاولة إحلال القيم الغربية محلها، والترويج لمبادئها ومعتقداتها.

ولذلك فإن الاعتقاد بأن الصورة الاشهارية تهدف للترويج فقط للسلع وزيادة إقبال الناس عليها، وتغيير سلوكاتهم الشرائية، هو اعتقاد خاطئ، حيث إنها تسوق بنفس

الدرجة أو أكثر مجموعة من القيم والثقافات المرتبطة ارتباطا وثيقا بمنتج السلعة، وتعمل جاهدة على جعل المشاهدين يتبنون سلوكات معينة، ويتبعون نمط ثقافى معين.

وبالتالى فإن الصورة يمكن أن تكون وسيلة فعالة لتنميط الثقافات وتوحيدها، وبالتالى إزالة الثقافات المحلية. "وهو التنميط الثقافى الذى يعنى إنتاج نمط ثقافى واحد وفق إرادة المنتج المهيمن، ويكون ذلك عبر وسائل السيطرة المختلفة كالتقنية والمعلوماتية والاتصالات، ولا سيما استعمال الأقمار الصناعية.. ولا شك أن أخطر مظاهر التنميط وسيلة، هو شيوع ثقافة الصورة بديلاً عن ثقافة الكلمة، ولقد أصبحت الصورة لها تصمياً خاصاً، وصفة غامضة بين المغامرة والشهرة تصمياً مكانيا وزمانيا، فإن لسحر الصورة المبرمجة مكانتها المثيرة، والسحرية فى نفوس الآخرين".

إن هدف هذه الصورة وهذه التقنيات هى فى خلق ثقافة جديدة، توجه نمط المجتمع العالمى وتصقله بحسب المخطط وما تحتوى برامج بثها..و فى حاضرنا الآن تسعى صورة الآخر فى إعادة تشكيل العالم العربى خصيصا، بشكل سريع وفعال(...)، وإعادة تشكيل وعيهم من خلال الصورة أيضا،(..). لقد تطور الاستعمار كثيراً، من شكله القديم العسكرى المباشر، إلى شكله الجديد الذى لا يحتاج إلى الأسلحة التقليدية، لأنه مزود بسلاحه الفتاك الداخلى، أعنى به التنميط الثقافى من خلال آلية صناعة العقل والغزو الثقافى، فيهدف إلى احتلال العقل؛ فهو أخطر من الغزو العسكرى، بينما ييسّر الغزو الثقافى آليات الإخضاع الداخلى، مما يبدو وكأنه تعمية للحال، أو تجميل له، فيُقبل الإخضاع على أنه شيء آخر غير الإخضاع، لالتباسه بمفاهيم كثيرة تتصل بعمليات التكوين الذاتى، كالنمو والاستقلالية والأصالة والصلابة والسلطة والمناعة والوعى.. الخ. إننا فى ظل الفضائيات فى مواجهة ارتبطت الصورة بحياة الإنسان بشكل لم يسبق له مثيل، تربية قائمة على الإثارة من جانبين، إثارة التسلية، وإثارة العنف، ثقافة مبنية على عالم المغامرة والمخاطرة والإثارة، بدل التفكير والتدبر والتميز المعرفي(...)، إن لغة وشكل الصورة يحتوى على جانبين متعارضين ومتكاملين، هما الجانب الدلالى والجانب الجمالى أى ما يتضمنه الخطاب دون قوله بشكل مباشر، بل هو منغرس فى ثنايا الخطاب ورموزه الموحية."[٥]، فالصورة لها

كما قلنا من قبل معنى واضح وظاهر للعيان، ومعنى رمزى، وخفى لا يدرك كنهه إلا من يلاحظ بدقة ويتمعن جيدا فى رموز ودلالات هذه الصورة.

وكما يقول الباحث سعيد بنكراد "لا يمكن أن يكون موضوع الصورة "واقعا" مباشرا تدركه العين دون وسائط، فالمعطى موجود خارج الصورة وخارج العين التى تصوغها. إنها، على العكس من ذلك، تستثير فيما وراء المرئى المباشر، سلسلة من الانفعالات التى تهرب من الملموس لتختبئ فى الرمزى الذى يستعصى عادة على ضوابط العقل ومنطقه. إن غاية كل تواصل بصرى هى استنفار لكَم هائل من الأحاسيس التى تتوسل بالنظرة أكثر مما تستدعى اللفظى لإدراك مداهاًً(...)، وليس غريبا أن تكون الصورة، استنادا إلى كل التحديدات السابقة، أداة للتحكم والتضليل والتوجيه. فكما يمكن أن تكون نافذة تطل من خلالها الذات على عوالمها الأكثر إيغالا فى القدم، يمكن أن تكون أداة لكل أشكال "الإقناع القسري" الذى يحدد للذات أشكال ردود أفعالها. ويكفى أن نشير هنا إلى الصورة الإشهارية وآلياتها فى الإقناع وفى خلق حاجات للاستهلاك بشكليه الفعلى والرمزي"[6].

"إن الصورة عبر وسائل الاتصال الحديثة قد قلبت تماما دور المجتمع عامة والأسرة خاصة، واغتصبت الذات وانتهكت الحرمات الخصوصية علنا، جهارا نهارا، ودون أية علامات استفهام لهذا الواقع الذى يعرض علينا ومساءلة علاقته بالواقع الذى نعيشه"، وقد نجحت الصورة وثقافتها فى إحداث تغييرات جذرية على السلوك الاجتماعى الثقافى الممارس للجماعات والأفراد. ولم تسلم من هذه التأثيرات المجتمعات ذات التركيب الاجتماعى التقليدى والثقافات المحافظة، أو تلك التى تعيش حراكا دائبا على المستوى الاجتماعى، وانفتاحا على المستوى الثقافى. إن هذه التغييرات التى لا تعبّر بالضرورة عن أشكال من التفاعل الحقيقى بين وسائل الاتصال الحديثة، والمضامين التى تمرّرها، وبين المجتمعات والثقافات التى اخترقتها هذه الثقافة وانفتحت طوعا عليها. لقد انعكست ثقافة الصورة على الأفراد والمجموعات من خلال تأثيرات التلفزيون على العلاقات الاجتماعية"[7]، وأصبحت تصاحب الإنسان فى كل مكان، وتشغل تقريبا كل فضاء، حتى

طغى المرئى والمشاهد على المقروء والمكتوب، وتحول المجتمع نتيجة لذلك إلى مجتمع شفوى، وغابت ثقافة القراءة لتحل محلها ثقافة الصورة.

الصورة الإشهارية واختراق الهوية الثقافية:

تعتبر الومضات الاشهارية من بين أكثر الوسائل خطورة والتى يتم استعمالها فى هذا الشأن، وقد تفوق خطورتها ربما الأفلام السينمائية، وهذا نظرا لأنها تبث بصفة مستمرة ومتكررة، عكس الفيلم الذى قد يبث مرة أو مرتين، وبالتالى فإن الومضة الاشهارية تعمل من خلال عامل التكرار على ترسيخ الصور الذهنية، وغرس الأفكار والقيم الخاصة بمنتج السلعة أو مصمم الإشهار، إذن فالارتباط لا يكون فقط بالسلعة المروج لها، وإنما يصاحبه ارتباط بتلك القيم والمبادئ وتمسك بها يزداد وثوقا وشدة كلما استمرت مشاهدة هذا الإشهار.

" قد أصبح الإشهار ليس مجرد ترويج لسلعة أو خدمة ما، إنه يحمل فى طياته ثقافة ويعبر عنها من عدة أوجه:

- يحمل معه ثقافة مصدر السلعة.
- يحمل معه ثقافة المعلن.
- يحمل معه ثقافة مصنع الإعلان[8].

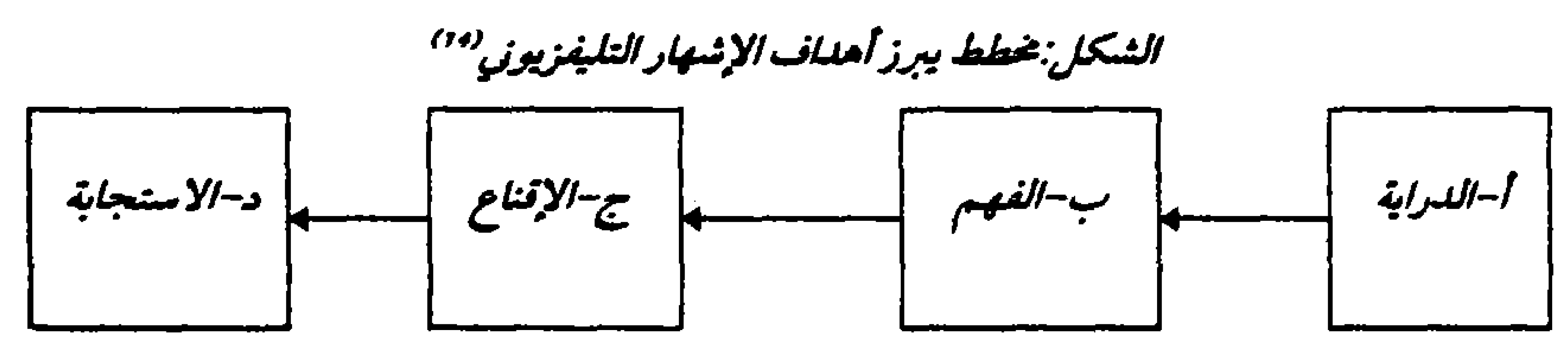
وتحمل الإعلانات صور مملوءة بالتمويه والخداع، وهى بكل تأكيد تحقق أهدافها، تتسلل إلى عقول الناس، ويتخذون قراراتهم بناءا عليها وتصبح جزءا من حياتهم، فالإشهار ذو بعد اقتصادى لا تخفى جوانبه من حيث تنشيط الحركة الاقتصادية، ولكن هذا الجانب يحمل معه دلالات ثقافية قد تكون ذات أبعاد سيئة من خلال إشاعة النمط الاستهلاكى فى مجتمعات غير منتجة، وتعويد الناس على النمط الاستهلاكى، بالإضافة إلى التأثير على المستويات الأخلاقية[9]، خاصة التى تؤكد العنف، والإشهارات الجنسية الفاضحة التى تصل إلى حد الدعارة، كوميديا الجريمة أو الموسيقى الصاخبة أى محتوى آخر يؤدى إلى الإسهام فى خفض مستوى الذوق، وإفساد الأخلاق أو الإثارة للقيام بسلوك غير مقبول

اجتماعيا[١٥].وكما يقول الكاتب"سعيد بنكراد" فإن " ما يستهوى الذات المستهلكة فى المنتوج هى عوالمه الرمزية المليئة بسحر الممنوع والغامض والسرى والمبهم، (...) والذات " تستهلك المعنى الرمزى للمنتوج، ونادرا ما تلتفت إلى وظيفته النفعية" (بودريار). فالدال البصرى فى حالة الإشهار يجنح، أثناء صياغة ميكانيزمات التواصل الإشهارى، إلى التخلص من مرجعه المباشر ليسرب المعنى ضمن إحالات رمزية تخلق الحلم والسعادة والجنس واللذة "[١١].

وعليه، فالصورة الإشهارية تحاول إثارة مكامن الشهوة، وغرس النزعة الاستهلاكية، التى لا تنتهى فقط باقتناء المنتوج، بل بتبنى ثقافة منتجه أو المعلن والمروج له.

ومن بين خصائص الإشهار التلفزيونى تعدد الحواس: أى الاعتماد على حاستى السمع والبصر، حيث يستخدم الصوت والصورة والحركة بالإضافة إلى استخدام اللون والإضاءة مما يدعم الفكرة ويثبتها[12]؛ وتعمد التكرار بغرض تكريس الصورة والفكرة فى ذهن المتلقى، ولذلك نجد بعض الكتاب الذين يصنفون بعض الإشهارات فى خانة الإشهارات التأثيرية، التى تهدف"إلى إحداث تأثير سريع ومباشر أو يهدف إلى إحداث[13] تأثير تدريجى وبطيء.

الشكل: مخطط يبرز أهداف الإشهار التليفزيوني[١٤]



إن الصورة الإشهارية فى تجسيداتها للمكان، لا يمكن أن تتم بعيدا عن أنماط بناء العلامة البصرية، ذلك أنه لا يمكن أن تبنى الصورة الإشهارية بعيدا عن الموضوعات الثقافية التى تنتجها الممارسة الإنسانية، وبعيدا أيضا عن النماذج الاجتماعية المرتبطة بها، لأن الخطاب الإشهارى يشكل اليوم سلطة تثيرنا وتثير قيمنا وأذواقنا واختياراتنا، وهنا مكمن خطورة الخطاب الإشهارى؛ خاصة أنه يستعمل اللغة والموسيقى واللون والإيقاع والصورة لمداعبة خيال المتلقى، والتأثير عليه لاقتناء المنتوج وترسيخ سلوكيات ما، وهكذا

تتشكل الإرسالية بتآلف الأشكال اللغوية والأشكال البصرية، تقدم نفسها على أنها تمثيل وضعية إنسانية يحق لكل فرد التناهي فيها وإدراكها، وهي على العكس من ذلك تكسبنا سلوكيات لا تمت بصلة إلى ثقافتنا، فالخلفية المحركة لمنتجي الإشهار هي التأثير على المشاهد وإقناعه بأن منتوجهم مطلق الصلاحية والفائدة، ويتحول بذلك الخطاب الإشهاري إلى خطاب الحقائق الواقعية المطلقة، ولا يتم ذلك إلا بصور مملوءة بالتمويه والخداع، وقد أثبتت الدراسات النفسية على أن الإنسان يحصل على ثمانية وتسعون بالمائة من معرفته عن طريق حاستي السمع والبصر، ومن هذه النسبة يحصل المرء على تسعون بالمائة تقريبا عن طريق الإبصار وحده، بينما ثمانية بالمائة عن طريق السمع [15].

وتتزايد أهمية الرسالة الإشهارية في تقديم صور جذابة يفضلها المشاهد وتعمق من درجة انجذابه واهتمامه، فحتى ينجح الفيلم الإشهاري لابد من توفر تناسق في المكان، من أشكال وهيئات مكانية ولون وإضاءة، والتوافق والانسجام بين هذه العناصر يؤدي إلى مزيد من الواقعية لإيصال الفكرة، فهذه هي قوام البناء المكاني يميز خصوصية أي عمل فني، خاصة على مستوى الإشهار التلفزيوني، فالسيكولوجية تعني التصور الذي يحدث على مستوى النفس، حين يجعلها تتمثل من خلال المكان جملة من الأحاسيس والمشاعر.

ويمكن القول أن هذه القدرة المذهلة للصورة الاشهارية على التأثير في المشاهد، وقيمه ومبادئه وسلوكياته، من الأمور التي تجعل من الضروري اتخاذ الحذر والحيطة من طبيعة الاشهارات الأجنبية التي تبث في قنواتنا العربية، وضرورة تفحصها وقراءة مضمونها التعييني والتضميني، والتأكد من عدم "معارضتها لثقافتنا وقيمنا، التي تعتبر "صورة للمجتمع"[16]، وخلوها من دلالات قد تحدث هزات عنيفة ذات مدى بعيد على منظومة قيمنا وعلى ثقافتنا المحلية، وعلاقاتنا الاجتماعية.

وعلى حد تعبير الكاتب عبد الرحمان عزي فإن الصورة تتحول إلى نماذج اقتداء، بحكم جاذبية الصورة المزخرفة المزينة بصفة الاصطناع، والحاصل أنه وفي غياب القيمة، ينبهر المشاهد بهذه القوالب، ويأتيه الظن أن حياة هؤلاء الذين هم على الصورة أكثر أهمية من حياته في الواقع المعاش، فيحى من خلال تجاربهم ويتقمص شخصيات وأدوارا،

فيصبح مستهلكا لتجارب الآخرين الوهمية، بعيدا عن تجربته الواعية فى عالم الحياة، إذا فإن التلفزيون يبيع صورا مادية مصنعة من جسم الإنسان وأزيائه وممتلكاته، وهذه الأخيرة تتحول إلى مؤثرات يتبناها المشاهد إذا غابت القيمة[17]، لأن قيم الإنسان هى التى تحدد ما يتبناه الفرد وما يستحسنه وما لا يستحسنه، فإذا ما اندثرت هذه القيم يصبح تائها بين قيم غيره وقيمه الخاصة بمجتمعه، ويحتار أيها يتبع، مثلما هو عليه حال الكثير من الشباب فى مجتمعاتنا الحالية.

وكما يقول جون بيار واريني: فإن القيم الثقافية هي "وصلة المجتمع التى بدونها لا يمكن للأفراد معرفة لا من أين جاءوا، ولا كيف عليهم أن يتصرفوا"[18].

ولذلك ينبغى كما قلنا من قبل الاحتياط من المضامين الثقافية التى تسوقها الومضات الإشهارية، وخاصة فى عصرنا هذا الذى يتميز "بارتباط الإشهار بالنظام الرأسمالى وحركيته وارتباطه بالإنتاجية والاستهلاك، فكل ممارسة اقتصادية، اجتماعية ثقافية، لا تعتبر مقبولة إلا إذا تحولت إلى سلع للبيع، توفر أكبر قدر من الربح لصاحبها، هذا الاتجاه البرغماتى الاقتصادى أدى تدريجيا إلى تسليع كل أوجه المجتمع"[19]، بما فيه قيمه وثقافته التى تميزه عن غيره، ومحاولة تصدير أنماط ثقافية لا تمت لمجتمعنا بأدنى صلة، من خلال سيل جارف من الأفلام والإشهارات التلفزيونية.

وفى الختام نستخلص أن الصورة الاشهارية لا تستعمل كما يضن كثير من الناس للترويج فقط للمنتوجات والسلع، وزيادة إقبال الناس عليها، وإنما تهدف كذلك وبصورة أساسية فى الغالب إلى التسويق لثقافة ومبادئ معينة، خاصة إما بمنتج السلعة أو المعلن عنها، كما تهدف كذلك إلى غرس بعض الأفكار فى فئات محددة، لاسيما فئات الشباب والمراهقين، ولذلك فهى مصممة بشكل مدروس جيدا، لكى تؤدى دور مزدوج، وظيفة ترويجية تجارية، ووظيفة تسويقية ثقافية تعمل على غزو عقول المشاهدين واختراقها فكريا، وتحاول ترسيخ سلوكات معينة، فالصورة الاشهارية التلفزيونية تعتبر "نظاما ناقلا للمعنى والاتصال فى آن واحد"[20]، وهذا ما يجعل الصورة الاشهارية أخطر من الأفلام بدرجة كبيرة، لأنها تبث بشكل متكرر ومكثف فى غالب الأحيان، مما يجعل تأثيرها يتعاظم ويتزايد

كلما استمر البث. وعليه فإنه من الأهمية بمكان التفطن لطبيعة الخطاب الاشهارى الذى يوجهه المنتجون المتعولمون إلى المشاهد العربى، والذى يحمل فى طياته عددا كبيرا من الرموز والمعانى، الهادفة إلى تعديل السلوكات وتغيير أنماط الحياة، وتبنى النماذج ثقافية المستوردة والجاهزة.

قائمة المصادر والمراجع:

(1) عمر الفاتحي: دلالات الصورة، 10/03/2009 ،www.jehaat.com

(2) سليمان العسكري: "عصر ثقافة الصورة"، مجلة العربي، عدد 587، 01/ 10/ 2007م.

(3) محمد جاسم ولي: الصورة وتأثيراتها النفسية، والتربوية، والاجتماعية، والسياسية- مؤتمر فيلادلفيا الدولي الثاني عشر(ثقافة الصورة)1 / 4 / 2007 لغاية6/ 4/ 2007.

(4) نفس المرجع.

(5) نفس المرجع.

(6) سعيد بنكراد: الصورة : بين وهم الاستنساخ واستيهامات النظرة،

www.saidbengrad.com.index/html.، 20/40/2009

(7) محمد جاسم ولي:مرجع سابق.

(8) -صالح خليل أبو أصبع، الاتصال والإعلام في المجتمعات المعاصرة،(ط4:عمان،دار مجدلاوي للنشر والتوزيع،2004) ص251.

(9) نفس المرجع، ص252 .

(10)عبد العاطي نجم، الاتصال الجماهيري في المجتمع الحديث، الموضوع والقضايا، (مصر: دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،2005.)ص227.

(11) سعيد بن كراد: الصورة الإشهارية وتمثلات "الساخن" و"البارد"، www.saidbengrad.com.index/html.

(12) صالح أبو إصبع: مرجع سبق ذكره، ص251.

(13) عاطف عدلي العبد:مدخل إلى الاتصال والرأي العام، الأسس النظرية والإسهامات العربية ط3 القاهرة دار الفكر العربي، 1999 م، ص28.

(14) أحمد بوخاري:دلالات المكان في الومضات الإشهارية التلفزيونية دراسة تحليلية سيميولوجية مقارنة بين متعاملي الهاتف النقال نجمة وجيزي، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الجزائر، 2009م.

(15) جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، (القاهرة: دار الفكر العربية،1978.)ص368.

(16) منى كشيك القيم الغائبة في الإعلام (السودان :دار فرحة للنشر والتوزيع 1993) ص6.

(17)عبد الرحمان عزي،الإعلام والبعد الثقافي من ألقيمي إلى المرئي،م،س،ذ،ص107.

(18) Jean Pierre Warnier :,la mondialisation de la culture,(Algérie :Casbah édition Hydra,1999.), p.15.

(19) أحمد راضي: الإشهار والتمثلات الثقافية ألذكورة والأنوثة نموذجا، مجلة علامات، عدد7، (1997).،ص36.

(20) فايزة يخلف: خصوصية الإشهار التلفزيوني الجزائري في ظل الانفتاح الاقتصادي، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة الجزائر، 2005م، ص.8.



-انتشار الفتاوى الدينية عبر شبكة الإنترنت، المخاطر والحلول المقترحة-

ملخص:

يحاول الباحث من خلال هذه المداخلة أن يبرز أشكال الفتاوى التى تقدم عبر الإنترنت، من خلال خدماتها المختلفة (منتديات المحادثة إلكترونية، مواقع دينية، مدونات، بوابات للإفتاء...إلخ)، والمخاطر المترتبة عن انتشار الاعتماد على هذه الأشكال، وانعكاستها المختلفة على الأفراد، وعلى وعيهم الدينى والثقافى، وعلى مجال الإفتاء بصفة عامة. حيث إن مجال الإفتاء فى عصرنا الراهن يشهد حالة من الفوضى، بفعل عدة أسباب تختلف من بلد لآخر، وأبرز عامل أدى بالفتوى إلى هذه الحالة من الفوضى فى دول العالم الإسلامى، هو شيوع استعمال تكنولوجيات الاتصال الحديثة وعلى رأسها شبكة الإنترنت وتطبيقاتها المتعددة، من طرف الأفراد للبحث عن فتاوى وأحكام لمختلف ممارساتهم وأنشطة حياتهم اليومية، مع ما يعترى ذلك من مخاطر ومخاوف حول طبيعة هذه الفتاوى التى يتحصلون عليها ومصدرها، لأن التعرف على هويات المُفتين وحتى المستفتين الافتراضيين عبر الإنترنت أمرا صعبا بل ومستحيلا أحيانا، وهو ما يجعل المختصون يدقون ناقوس الخطر حول أثار هذه الممارسات، مثل تحريف مبادئ الدين وتضليل الأفراد، ولاسيما انتشار

الأفكار المتطرفة والبعيدة عن المبادئ السمحة للدين الاسلامى، وانعكاسات ذلك على واقع دول العالم الاسلامى، وعلى صورة الإسلام والمسلمين فى الدول الأخرى، والتى ساهمت كثير من الفتاوى فى تشويهها وفى تنفير غير المسلمين، وخلق صور نمطية مفادها أن الإسلام يشجع على العنف والإرهاب وانتهاك حقوق الإنسان والمرأة.

لاشك أن هذه القضايا وغيرها، لها ارتباط وثيق بحالة الفوضى التى يشهدها مجال الإفتاء، فتغيرت المفاهيم والأصول والمبادئ، فى عصر العولمة الذى اجتاح مجتمعاتنا بوسائله المتعددة، كتكنولوجيات الاتصال وشبكة الإنترنت، التى جلبت معها "فتاوى إلكترونية عابرة للقارات"، مما أدى إلى خروج الفتوى عن الضوابط والحدود التى سطرها العلماء، هذه الوسائل التى إن لم نعرف كيف نستغلها كوسيلة فعالة لخدمة الإسلام، فإنها ستستغل من أفراد افتراضيين مجهولى الهوية (identity virtual) للإساءة للإسلام، عن قصد أو عن غير قصد.

ولهذا فإننا سنحاول من خلال هذه المداخلة أن نقدم مجموعة من الحلول العملية، للخروج من حالة الفوضى التى يعرفها مجال الإفتاء عبر تقنيات الإنترنت الاتصالية، والعمل على توظيف هذه الوسائل الحديثة للتعريف بالإسلام، خاصة لدى غير المسلمين الذين ازدادت رغبتهم فى التعرف على حقيقة الإسلام، ولتقديم الفتاوى المناسبة من طرف علماء ومشايخ مشهود لهم بالعلم والمصداقية.

- الكلمات الدالة: الفتوى، شبكة الإنترنت، المخاطر، الحلول.

مقدمة:

عرف مجال الإفتاء فى السنوات الماضية حالة من الفوضى بفعل عدة عوامل، كان أبرزها على الإطلاق استخدام وسائل الاتصال المختلفة، للحصول على فتاوى أو لتقديم فتاوى للغير، فبرز ما يسمى بالفتاوى الافتراضية العابرة للقارات، والتى يتم تناقلها من طرف الأفراد مهما كانت المناطق الجغرافية التى يتواجدون بها. فقد تطاول عدة أفراد على هذا المجال واعتلوا منابر شبكة الإنترنت التفاعلية لتقديم دروس وتوجيهات وفتاوى تحت الطلب، خاصة فى ظل غياب أهل الاختصاص وأصحاب المعرفة والعلم بالدين الإسلامى وبأصوله ومبادئه، من هذه المواقع والتطبيقات الافتراضية، وهو ما جعل الأفراد المستفتون

يقعون كفرائس فى أيدى المتطفلين على مجال الإفتاء، فانتشر التطرف والغلو وازدادت الجماعات والتيارات والفرق المنحرفة والضالة.

ومن الأكيد أن هذه التكنولوجيات الاتصالية الجديدة تعتبر كروافد للعولمة الإعلامية والثقافية، التى جسدت ما يعرف بالاختراق الثقافى، ومهدت بدورها لاستيراد أفكار من مجتمعات أخرى، واستيراد مناهج ومرجعيات لجماعات أجنبية، كما تم استيراد فتاوى أصدرت فى مجتمعات أخرى ذات واقع اجتماعى وثقافى مختلف تماما عن واقعنا، مما أحدث انعكاسات كثيرة وأثار سلبية انتهت بفتن وأزمات لا نزال نعيش آلامها.

وفيما يلى سيتم تناول بعض النقاط والعناصر المرتبطة بهذا الموضوع وهى:

- شبكة الإنترنت والعولمة الإعلامية والثقافية.
- أشكال الفتاوى عبر شبكة الإنترنت.
- انتشار الفتاوى الافتراضية وحلول الفوضى.
- غموض الهوية الافتراضية للمفتى والمستفتي.
- الآثار والانعكاسات على وعى الأفراد وعلى المجتمع.
- الآثار على الدين الإسلامى والمسلمين.
- الحلول المقترحة للخروج من حالة الفوضى التى تشهدها الفتوى عبر الإنترنت.

شبكة الإنترنت والعولمة الإعلامية والثقافية:

كما قلنا سابقا فإن العولمة قد عرفت عدة أشكال، وتجسدت عبر عدة مظاهر، أبرز هذه المظاهر وأكثرها حضورا فى حياتنا، تكنولوجيات الاتصال الجديدة بصفة عامة وتطبيقات شبكة الإنترنت بصفة خاصة، والتى عرفت انتشارا كبيرا بين الأفراد بكل أطيافهم، فشاع استعمالها بشكل غير مسبوق، وبشكل يفوق ما شهدته كل وسائل الإعلام السابقة مجتمعة. وقد قامت باختزال كل الوسائل الإعلامية والاتصالية الأخرى واحتوائها، فيمكن اليوم من خلالها الاطلاع على كل صحف وجرائد العالم، ومشاهدة كل القنوات التلفزيونية

الدولية، والاستماع لكل القنوات الإذاعية، ويمكن كذلك الاتصال مع الآخرين مهما كان مكانهم فى كل أنحاء الكرة الأرضية التى يتوفر فيها الربط بالشبكة العنكبوتية[1].

اشكال الفتاوى عبر شبكة الإنترنت:

يلاحظ فى السنوات الأخيرة زيادة اعتماد الأفراد على تطبيقات شبكة الإنترنت الجديدة، ليس فقط كوسائل للاتصال والتفاعل كمصادر للمعلومات، بل أيضا كمصادر للفتاوى المختلفة حول شؤونهم اليومية وقضاياهم، ومن أبرز التطبيقات والخدمات التى يستعملها الأفراد للاستفتاء أو للحصول على معلومات دينية وفتاوى افتراضية نذكر:

- **المدونات الإلكترونية الدينية (blogs)**: وهى عبارة عن مواقع شخصية تنشر كتابات ومقالات وحتى تسجيلات فيديو، يملكها غالبا أفراد، أو مؤسسات وهيئات إعلامية وتجارية وثقافية، وهى تنشر مضامينها وترتبها ترتيبا كرونولوجيا وفقا لتاريخ إنشائها، ويمكن للقراء التفاعل معها والتعليق والنقد. وعليه فإن التدوين: "حقيقة اجتماعيّة اتسع حجمها وتزايدت أهميّتها لكونها متحرّرة من الضبط والمراقبة إلى حدّ كبير"[2]. وفى سنة 2009م بلغت حوالى 112.8 مليون مدونة"[3]. وقد برزت بالخصوص المدونات التى تهتم بالشأن الدينى وبالقضايا الإسلامية، كما أصبحت تستعمل كمنابر للإفتاء والتفسير، وبالطبع فإن هذه المهمة لا يقوم بها فقط العلماء والمشايخ، بل يقوم بها كذلك عدة أفراد مجهولى الهوية يدعون المعرفة والإلمام بالدين الإسلامى.

- **مواقع بث تسجيلات الفيديو**: أو مواقع تقاسم تسجيلات الفيديو، وهى تعتبر بمثابة خزان يحتوى على أعداد كبيرة من التسجيلات، التى ينجزها المستعملون ويبثونها. ومن أبرز هذه المواقع، موقع يوتوب (youtube) الذى أنشأ سنة 2005م، وموقع "مايفيديو"(myvideo)، وتشير بعض المصادر أن"هناك 100 مليون فيديو تتم مشاهدتها يوميا عبر يوتوب"[4]، كما يتم منه إنزال 13 ساعة من التسجيلات كل دقيقة[5]، وفى سنة 2010م فاق عدد التسجيلات المشاهدة 02 بليون، ويتم بث 24 ساعة تسجيل كل دقيقة؛ كما أن ما نشر من تسجيلات عبر الموقع فى 60 يوما، يفوق ما تنتجه أكبر ثلاث شبكات أمريكية فى 60 سنة"[6]. وإذا كانت هذه أرقام متعلقة

بالتسجيلات وأفلام الفيديو المشاهدة بصفة عامة، فمن دون شك أن نسبة منها تتعلق بالجانب الديني، فهناك تسجيلا عديدة يعدها سواء أئمة أو علماء، أو أفراد عاديين، وقد يكون مضمونها دعويا أو يتناول شعائر أو معلومات عن عبادات معينة، كما قد يتناول فتاوى حول مختلف القضايا، وهذا ما قد يشكل خطرا على الأفراد المستعملين لهذه المواقع، فقد يستهلكون مضامين أو تسجيلات أعدها أفراد لا باع لهم في العلوم الإسلامية، وهنا تجدر الإشارة إلى تزايد التسجيلات التي يعدها أفراد متطرفون ينتمون لجماعات مختلفة، مما قد يسبب لهم انحرافا في عقائدهم ومبادئهم الإسلامية.

- مواقع الشبكة الاجتماعية أو مواقع التشبيك الاجتماعي(social Networking sites): وهي مواقع للتواصل الاجتماعي بين المستعملين، ولإقامة العلاقات الاجتماعية، ولإنتاج مضامين قد تكون نصوص مكتوبة، أو تسجيلات مصورة أو مسموعة. ومن أشهرها "فايسبوك(facebook)، ماي سبايس (myspace)، تويتر(twitter)...الخ. وقد أقبل الأفراد بشكل غير مسبوق على هذه الصفحات، لاستقاء المعلومات المختلفة بما فيها تلك المتعلقة بالجانب الديني، فهم يزورون صفحات المشايخ والعلماء عبر هذه المواقع، ويستفتونهم بشكل مباشر وتزامني. وهذه المواقع كذلك قد تشكل خطرا على الأفراد الذين يبحثون عن فتاوى عبر هذه الصفحات التي لا يوجد ما يثبت أنها لهؤلاء المشايخ، وما يثبت أنها تابعة لهؤلاء العلماء. كما أننا قد نجد بعض الأفراد الذين يدعون العلم ومعرفة الدين الإسلامي، يستغلون الأفراد الذين يبحثون عن فتاوى، فيتقمصون شخصيات ويتكلمون باسم الدين، ويصدرون فتاوى دون ضوابط.

- منتديات المحادثة الإلكترونية: وهي عبارة عن تطبيقات وبرمجيات اتصالية تفاعلية تسمح للمستعمل بالتواصل مع الآخرين في الوقت الحقيقي المتزامن (synchronique) مثل: مجموعات الأخبار، وغرف الدردشة، والتراسل الفوري، وبرمجيات السكايب (skype) وفي الوقت اللاتزامني (asynchronique) مثل منتديات النقاش والبريد الالكتروني. فتشمل تقنيات لاتزامنية مثل (القوائم البريدية (Mailing lists) ومجموعات الأخبار (newsgroups) ولوحات الإعلانات (bulletin boards)،

وتقنيات تزامنية مثل غرف الدردشة (Chat rooms) ومنتديات المحادثة (Forum discussions)[7]. وعبر هذه الفضاءات يلتقي عدد من المتحدثين ينتمون إلى مجتمعات مختلفة، من حيث الديانة والثقافة، وفيها يتجاذبون أطراف الحديث حول مختلف الموضوعات والمجالات"[8]. وتعتبر منتديات المحادثة الإلكترونية كمكان لتلاقي عدة أشخاص افتراضيا من كل أنحاء العالم، للتعارف وتبادل الأفكار والآراء، ويتم إجراء مناقشات في الوقت المباشر"[9]، أي الحوار بشكل متزامن وكأنهم في مكان واحد جنبا لجنب، دون أن تفصل بينهم حواجز جغرافية أو زمنية. وكثيرا ما يعمد الأفراد إلى استصدار فتاوى من أشخاص (علماء، مشايخ...) بشكل مباشر عبر طرح الأسئلة وتلقي الأجوبة مباشرة، أو عبر كتابة السؤال وتلقي الفتوى مكتوبة. فهناك منتديات متخصصة في المجال الديني، وتقدم فتاوى للمستعملين، وهذا ما يشكل كذلك مخاوف لدى كثيرين، فهوية الأفراد المالكين والمنشطين لهذه المنتديات غير معروفة، فهي افتراضية حتى وإن قدم الشخص نفسه، فلا توجد معايير موثوقة للتحقق من هويات الأفراد الذين يقدمون فتاوى، اللهم إلا إذا كان النقاش مباشرا وتزامنيا مع عالم أو شيخ معروف وذائع الصيت.

- مواقع التزويد بالمضامين، الأخبار والمعلومات(RSS): أو نظام تلخيص المضامين أو التزويد المبسط للمعلومات[10]، وهي اختصار (Really Simple Syndication)، وتتمثل في تجميع الأخبار والمقالات والتسجيلات، وعناوين (الصحف والمواقع...) بشكل منظم وإرسالها للأفراد[11]، ويتم الاعتماد على عدة مصادر الكترونية لتجميع مضامين عبر الإنترنت ونشرها، عبر وضع عناوين الكترونية وروابط لمواقع، وبعد النقر عليها تقوم البرمجية بالعودة إلى المصدر الأصلي أليا والبحث عن معلومات جديدة وتحديثها"[12]. ويقوم الأفراد بالتسجيل مع هذه المواقع، وتصله المضامين والتحديثات[13]بشكل دوري"[14] على شكل قائمة من الروابط والملخصات والعناوين، وبمجرد النقر عليها تنقلنا مباشرة للنص أو المصدر الأصلي[15]. ونجد بعض هذه المواقع متخصصة في جمع المعلومات والمضامين الدينية، بما فيها الفتاوى المختلفة، فيقوم الأفراد بالتسجيل عبرها ليتم تزويدهم بأخر الفتاوى حول مختلف القضايا، وقد تكون هذه الفتاوى مكتوبة أو تسجيلات.

- مواقع الويكى (wiki): وهى مواقع للتحرير الجماعى التشاركي (collaborative authoring)، تمكن كل فرد من الكتابة والنشر، "وتعديل مضامينها ومقالاتها، عبر إضافة أشياء أخرى"[٦٥]، وتتميز بنصوصها المتشعبة "hypertext"[٦٦]، ومن أشهر مواقع الويكى، موقع ويكيبيديا (wikipedia)، التى "أسست فى عام 2000م، وتحتوى على 9000000 مقال بحوالى 250 لغة. ويمكن عبر هذه المواقع أن نجد مضامين دينية متعلقة بجوانب الدين الإسلامى، وقد نجد فيها فتاوى، وبالطبع فإنها فتاوى قد يحررها أى فرد سواء كان مشهودا له بالعلم أو غير مشهود له، فميزة هذه المواقع كما قلنا أنها تمكن أى فرد من التعديل وكتابة أى مقال أو نص ونشره، وبالتالى فقد أصبح بإمكان أى فرد أن يكتب ويحرر مواضيع وفتاوى دينية، وهو ما يشكل خطرا كبيرا على المستعملين والقراء، خاصة غير المسلمين منهم، الذين يبحثون عن معلومات عن الإسلام.

- بوابات الأخبار والفتاوى الدينية (portals): وهى مواقع شاملة لكل المضامين الدينية بمختلف أشكالها، فقد تكون على شكل نصوص أو تسجيلات سمعية بصرية، وهى تقدم معلومات كثيرة عن العبادات والسيرة والتفسير والفقه والفتاوى.

- المواقع المتخصصة فى تقديم الفتاوى: وهى مواقع تقدم فتاوى إما لقضايا كانت فى الماضى، أو قضايا معاصرة، وقد تقدم فتاوى لمشايخ وعلماء سابقين أو معاصرين. وقد أصبح الأفراد يقبلون على هذه المواقع للبحث عن فتاوى بشكل سهل ومباشر، فهى تقدم محركات بحث، فيتم البحث إما بالموضوع أو باسم الشيخ والعالم، ليتم الحصول مباشرة على كل الفتاوى حول تلك القضية. ولكن الخطر فى هذه المواقع أنها غير معروفة المصدر أو الجهة الراعية والمالكة لها، فقد تكون جهات غير موثوقة، بل قد تكون أطراف تعمل على تشويه الدين الإسلامى قصدا عبر تقديم فتاوى غير صحيحة.

انتشار الفتاوى الافتراضية وحلول الفوضى:

يبدو من خلال ما تم تقديمه من أشكال التطبيقات والمواقع التى تستعمل لتقديم فتاوى ومضامين (مكتوبة، تسجيلات...) حول مختلف جوانب الدين الإسلامى، أن

الفتوى قد أصبحت افتراضية وعابرة للقارات، فيمكن لأى فرد مهما كان مكانه وفى أى زمان أن يتحصل على كم هائل من الفتاوى، بشكل مباشر ومتزامن عبر النقاش الحى، أو بشكل غير مباشر عبر البريد الإلكترونى أو مواقع الفتيا ومواقع بث التسجيلات.

وبدون شك فإن هذا الشكل من الفتاوى قد تكون له مخاطر وآثار سلبية كثيرة على الأفراد، فقد يكون صاحب الموقع غير معروف، أو بالأحرى غير مشهود له بالكفاءة والأهلية لتقديم الفتاوى، ولتفسير قضايا الواقع بمنظور الدين الإسلامى، فكثيرا ما انحرف الشباب عن جادة الصواب بفعل الاستماع لتسجيل صوتى أو قراءة فتوى عبر مختلف هذه المواقع المذكورة، وكثيرا ما التحق الأفراد بجماعات متطرفة خارجة عن الطريق المستقيم، وعن الدين الإسلامى الوسطى السمح.

ولهذا، فإن الفتوى قد عرفت فى السنوات الأخيرة حالة من الفوضى، لدرجة أن أصبح أفراد يتطاولون على الدين الإسلامى ويشوهون صورته دون أن يعلموا، عبر هذه الفضاءات الاتصالية فى الشبكة، فكثير منهم يعتلى منابر الفتوى فيقدم لغيره من الأفراد المرتادين لشبكة الإنترنت، فتاوى وفقا لفهمه ومعلوماته ولفكره الذى قد يكون قاصرا، كما نجد منهم من يتواصل مع غير المسلمين فيقدم لهم فتاوى ربما لا تستند إلى مرجعية موثوقة ومشهود لها.

غموض الهوية الافتراضية للمفتى والمستفتى:

من المعروف أن شبكة الإنترنت تسمح بتشكيل ما يعرف بالمجتمعات الافتراضية (virtual societies)، التى تتكون من هويات لأفراد حقيقيين أو غير حقيقيين، يتواصلون فيما بينهم لأغراض ودوافع مختلفة. ويعرف(محمد منير حجاب) المجتمع الافتراضى بأنه "مجتمع يتكون من أشخاص متباعدين جغرافيا، ولكن الاتصال والتواصل بينهم يتم عبر الشبكات الإلكترونية، وينتج بينهم نتيجة لذلك نوع من الإحساس والولاء والمشاركة"[18]، ويعرفه (Serge Broulx) "بأنه العلاقة التى تنشأ بين مجموعة من مستخدمى منتديات النقاش والدردشة الإلكترونية، وهؤلاء المستعملون يتقاسمون الأذواق، القيم، الاهتمامات والأهداف المشتركة"[19]. " أما (schramm) فهو يرى أن المجتمع الافتراضى هو عملية

تقاسم فضاء للاتصال، مع أفراد لا نعرفهم، وغالبا ما يتم هذا فى الوقت الحقيقى، وهو عبارة عن انعكاس للمجتمع الواقعى، لكن لا يوجد فيه أناس فعليون واتصالات حقيقية كما فى الواقع(أى أنها افتراضية)، وهو عبارة عن جمهور من كل أنحاء العالم، جالسون أمام شاشة الكمبيوتر للتواصل مع بعضهم البعض"[20]. ويطلق على هؤلاء الأفراد تسمية الأفراد الافتراضيين"virtual individual's" أو الأفراد الإنترنيتيون (netizen).

وكما قلنا سابقا فإن كثير من الفتاوى التى يتحصل عليها الأفراد تكون مجهولة المصدر وحتى المستفتى فإنه مجهول كذلك، خاصة فى هذا العالم الافتراضى، أى أن كل من المفتى والمستفتى يعتبران شخصيتان افتراضيتان، فلا يمكن معرفة الهوية الحقيقية لكليهما، ولهذا فإن الحصول على فتاوى من أشخاص بهذه الميزة، يشكل خطرا كبيرا ويسبب حالة من الفوضى فى مجال الإفتاء. خاصة فى هذا العصر الذى يشهد فيه الدين الإسلامى حملات شعواء وكثيفة للتشويه وتزييف الحقائق حوله ولاسيما عبر شبكة الإنترنت. "مثل ما حدث فى صيف 1998 م، حينما قامت إحدى المنظمات المشبوهة من خلال شبكة الإنترنت بمحاولة تشويه القرآن الكريم، حيث طالبت المنظمة من زوار موقعها على الإنترنت بتأليف سور تحاكى السور القرآنية، فى محاولة منها لإقناع جمهور الشبكة العالمية بأن القرآن ليس معجزة إلهية من عند الله، بل هو من صنع البشر(...) وفى أواخر 1998 م عادت محاولات تحريف القرآن الكريم على شبكة الإنترنت، ولكن فى موقع جديد يبث نصوصا تتشبه بسور القرآن الكريم، من حيث الشكل والمحاكاة اللغوية، من خلال أربع سور مزعومة أطلقت عليها أسماء "المسلمون، الإيمان والوصايا>والتجسيد> وتتهم هذه النصوص المحرفة المسلمين بأنهم فى ضلال مبين، وتلفق. على لسان الرسول صل الله عليه وسلم أقوالا مكذوبة"[21].

وهناك أمثلة عديدة لمحاولات تشويه مبادئ الإسلام وأركانه، وتحريف صورته خاصة لدى غير المسلمين، عبر تقديم آيات محرفة أو فتاوى خاطئة بهدف خلق حالة من الشك لدى الآخرين، حول صحة هذا الدين ومصداقيته. ولذلك فإن عدم القدرة أو صعوبة التحقق من هوية المستفتين والمفتين يجعل كثير من العلماء يحذرون من مثل هذا النوع من الفتاوى، التى قد تكون مغرضة وتستهدف التشويه وتضليل الأفراد أكثر من إرشادهم للحق.

الآثار على وعى الأفراد وعلى المجتمع :

إن هذه الفوضى التى تشهدها الفتوى بفعل التوظيف الخاطئ لتقنيات الاتصال الحديثة ولتطبيقات شبكة الإنترنت، من طرف أفراد متعددين، لها انعكاسات كثيرة على المستعملين لمثل هذه الفتاوى، ولها نتائج وخيمة إما على الفرد أو المجتمع ككل. من أخطر الانعكاسات تلك المتعلقة بالجانبين الدينى والأخلاقى، حيث إن مناقشة مواضيع دينية مع أفراد مجهولين، قد تؤدى إلى "تدهور منظومة القيم وانحطاط أخلاقى لدى الأفراد، خاصة بالنسبة للأطفال والمراهقين، لأنهم دائما ينساقون وراء ما هو غامض ومجهول نظرا لفضولهم الكبير، ومحاولة اكتشاف كل شيء، ولهذا فإنهم قد يتعرضون لنقاشات مع متطرفين أو أشخاص يجهلون القواعد الأساسية للإسلام، وقد يزودونهم بفتاوى تؤدى إلى انحراف سلوكاتهم بشكل كبير.

وقد أجرى الدكتور "فايز بن عبد الله الشهري" بحثا حول الخطاب المتطرف عبر شبكة الإنترنت[22]، وبين كيفية تأثر الأفراد بهذه الخطابات، التى يتعرضون لها عبر مواقع الدردشة والمحادثة الإلكترونية، ومواقع التشبيك الاجتماعى ومواقع بث الفيديو. كما بين أن الجماعات الإرهابية تستغل سذاجة الأفراد ونقص اطلاعهم على الدين الإسلامى، لتجنيدهم وحشو عقولهم بأفكار خاطئة وبمعلومات مزيفة، وبفتاوى يتم إصدارها وفقا لأهدافهم وأفكارهم.

وبالتالى، فإن هذه الفتاوى الافتراضية التىّ تروج لأفكار هدامة وخاطئة، والتى تنشر الخطاب المتطرف، قد تكون لها جوانب سلبية عديدة على وعى الأفراد الدينى وحتى السياسى، مما يجعلهم ينقادون وراء تيارات فكرية، قد تهدد تماسك المجتمع وتزعزع استقراره، وتخلق مشاكل ونزاعات لأسباب تافهة، قد تكون فى الغالب بفعل الفهم الخاطئ لفتوى معينة، أو بسبب التأويل والتفسير الذى يقدمه من ليس من أهل الاختصاص، المشهود لهم بالقدرة على الإفتاء.

الآثار على الدين الإسلامي والمسلمين:

تساهم "حالة الفوضى" التي يسببها الأفراد المتطاولون والمتصدرون للفتيا، بشكل كبير في تشويه صورة الإسلام، فتقديم الفتاوى الخاطئة وغير الصحيحة عبر تطبيقات شبكة الإنترنت، التي تتميز بالعالمية أي أن كل فرد بإمكانه الاطلاع على مضامينها، خاصة في هذا العصر الذي يزداد فيه إقبال غير المسلمين على تطبيقات شبكة الإنترنت للتعرف على الإسلام ولجمع معلومات عن المسلمين، ولاسيما بعد بعض الأحداث (كتفجيرات 11 سبتمبر، الرسومات الكاريكاتورية...)، فهؤلاء الأفراد يعتمدون بشكل كبير على الإنترنت للبحث عن معلومات متعلقة بالإسلام، وهو ما يجعلهم أحيانا يتحصلون على مضامين مشوهة وخاطئة، سواء كانت فتاوى أو معلومات عامة عن الدين، خاصة في ظل نقص المواقع التي يديرها علماء أو هيئات دينية ومرجعيات معروفة، ولها صيت في هذا المجال، فهم يعتمدون في الغالب على محركات البحث التي قد تقدم لهم مضامين جيدة أو مضامين خاطئة ومزيفة. ولعل هذا من بين الأسباب الرئيسية التي ساهمت في حالة الفوضى التي يعرفها مجال الفتوى، فانعدام مواقع كثيرة لمؤسسات دينية معروفة، فتح المجال للمتطفلين والانتهازيين الذين استغلوا هذا الفراغ، لتصدروا منابر الإنترنت الافتراضية لتقديم فتاويهم وتصوراتهم للواقع وفقا لأهوائهم.

وأمام هذا الواقع فإن كثير من غير المسلمين لديهم صورا نمطية مفادها أن الإسلام دين متشدد ومتطرف، يدعو للعنف وينتهك حقوق المرأة والإنسان، إلى غير ذلك من الأفكار الخاطئة التي يصعب حاليا إقناعهم بعدم صحتها، خاصة في ظل عدم وجود وسائل إعلامية إسلامية ذات تغطية عالمية وذات برامج هادفة قادرة لتغيير هذه الأفكار والصور النمطية، التي أدت نفورهم بشكل كبير عن هذا الدين، بل ومعاداته ومحاربته، كما أدت كذلك إلى أحداث عنف عديدة واعتداءات على المسلمين المهاجرين في الدول الغربية، وعلى مساجدهم وأماكن عبادتهم.

الحلول المقترحة للخروج من حالة الفوضى التي تشهدها الفتوى عبر الإنترنت:

1. تأسيس مواقع للإفتاء من طرف مرجعيات وهيئات دينية معروفة: فمن المهم أن تكون الهيئات الدينية الوطنية تتماشى مع التطورات الاتصالية الحديثة عبر شبكة الإنترنت،

بتأسيس مواقع الكترونية متخصصة فى تقديم الفتاوى للأفراد حول مختلف القضايا والمسائل، وينبغى أن يتم التشهير بهذه المواقع والقيام باعلانات لكى يتعرف عليها الأفراد، ليتوجهوا إليها عند الحاجة؛ لأن السبب الرئيسى الذى جعل عدة أطراف تتطاول على الدين وتفتى بدون علم عبر الإنترنت، هو غياب أهل العلم والفتوى المشهود لهم عن الساحة. فلو أراد أى شخص أن يستفتى حول قضية معينة لواجهته عدة صعوبات من حيث انعدام عناوين لهيئات أو علماء للاتصال بهم، وحتى وإن وجدت فإنها غير معروفة وليست منتشرة بين الأفراد.ولذلك فإنه يتوجب على الهيئات والمراكز الإسلامية أن تصمم مواقع الكترونية تختص فى تقديم الفتاوى، كما ينبغى عليها أن تصمم صفحات عبر مواقع التشبيك الاجتماعى ومواقع بث الفيديو، لكى تكون بجانب المستعملين وقريبة منهم عبر وسائل اتصالهم وتفاعلهم.

2. تشجيع نشر المضامين الدينية عبر الإنترنت من طرف العلماء والمشايخ: أى تشجيع العلماء والأئمة على نشر فتاويهم ومقالاتهم ودروسهم عبر مختلف تطبيقات ومواقع شبكات الإنترنت، بهدف تعزيز المحتوى الإسلامى الرقمى. فمن المعروف أن المحتوى الإسلامى لازال حجمه قليلا جدا خاصة إذا ما قارناه بالمحتوى الرقمى حول النصرانية واليهودية، فهناك الآلاف من المواقع التى تقدم معلومات وكتب ومقالات وتسجيلات عن هذه الديانات.وحتى أننا نجد نسبة من المحتوى الرقمى الذى نعتبره إسلاميا، يقوم بإنجازه من هم ليسوا بمسلمين، بهدف التشويه والتزييف للحقائق.ولهذا فإنه من الضرورى جدا أن يقوم أهل الاختصاص وأهل المعرفة بالدين الإسلامى، بنشر مضامين دينية ليست فقط فتاوى، ولكن أيضا دروس ومواعظ وغيرها من أشكال المضامين، فإن لم يقم هؤلاء بهذا فإن المجال سيبقى مفتوحا لغير أهل الاختصاص.

3. تصميم مواقع خاصة للرد على الحملات التشويهية للإسلام: من الهام كذلك تصميم مواقع الكترونية من طرف الهيئات الإدارية الدينية (وزارة الشؤون الدينية، جامعات العلوم الإسلامية، المراكز الإسلامية...)، والتى تختص بالرد على الحملات التشويهية للإسلام، وتتخصص فى كشف المواقع المزيفة وغير الموثوقة، وفى الرد على

الفتاوى المتطرفة وغير الصحيحة، فكما قلنا هناك ألاف المواقع على شبكة الإنترنت تهدف لتشويه الإسلام عبر تقديم معلومات وفتاوى خاطئة؛ والتى يمكن أن يقع فى شراكها عدة أفراد ممن لا يملكون ثقافة دينية ومعلومات كافية لتحصينهم من مختلف الانزلاقات.وفى هذا الوضع تبدوا أهمية تصميم مواقع متخصصة لدحض الأكاذيب ولكشف أصحابها والأطراف التى ترعاها (مواقع، مؤسسات، جمعيات...).

4. تصميم مواقع لتحذير الأفراد من المواقع غير الموثوقة: والتشهير بها ليعرفها كل الناس، فالمواقع التى تقدم معلومات خاطئة وفتاوى غير صحيحة تزداد كالفطر، وهناك عدة مواقع الكترونية تدعى الإسلام تقوم أطراف مشبوهة بتمويلها، ودعمها بهدف نشر معلومات محرفة عن الإسلام، إما بطريقة مباشرة أو بطريقة غير مباشرة، فالزائر لهذه المواقع يصعب عليه أحيانا تحديد مدى مصداقية ما تقدمه من مضامين وفتاوى، ومن كتب ودروس، خاصة مع تنامى عدد الفرق الضالة وتزايد التيارات الفكرية المنحرفة عن جادة الصواب، مما يجعل مستعملى شبكة الإنترنت عرضة لاستهلاك سموم هذه المواقع.وهنا تبرز أهمية المواقع الإلكترونية الموثوقة، والتى تعمل على تحذير الأفراد من المواقع الدينية المزيفة.

5. تكوين الأئمة والمشايخ والعلماء فى كيفية استخدام التقنيات الاتصالية الجديدة: سواء لتقديم محاضرات أو لتقديم فتاوى خاصة عبر الفضاءات الجديدة لشبكة الإنترنت، كأن يتم تكوينهم فى كيفية نشر مقالات ومضامين دينية عبر المدونات الإلكترونية، أو انجاز تسجيلات مصورة تبث عبر مواقع بث الفيديو، أو مواقع التشبيك الاجتماعى، فمن الملاحظ أن نسبة هامة من الأئمة لا يستعملون هذه التقنيات ليس لأنها سلبية ولكن لأنهم لا يتحكمون فيها، كما يقول على ابن طالب رضى الله عنه: "الناس أعداء ما جهلوا".وبالتالى فالأئمة والمشايخ لابد وأن يخوضوا فى مثل هذه الفضاءات، من أجل إثبات وجودهم ومسايرتهم لكل جوانب الحضارة الإنسانية.ومن أجل توفير مادة دينية رقمية تلبى حاجة المستعملين والراغبين فى الحصول على معلومات أو فتاوى.

6. تصميم مواقع تقدم مضامين باللغات الأجنبية: فإذا كان المحتوى الإسلامي الرقمي بالعربية يشهد نقصا فادحا، فإن المحتوى الإسلامي باللغات الأجنبية يشهد نقصا أكثر حدة، ولا يمكن لأحد أن ينكر دور هذه المواقع ليس فقط في جلب الأفراد لاعتناق الإسلام، ولكن أيضا في تزويدهم بالفتاوى اللازمة وتقديم التعليمات وإرشادهم حول كيفية التعامل مع ما يحيط بهم من قضايا، ولها دور كذلك في تقديم الصورة الصحيحة لتعاليم الدين الإسلامي، وإيصال الرسالة السمحة كما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، عبر تقديم الفتاوى، الدروس، مواعظ ومقالات وكتب مترجمة.

7. تشجيع الأئمة والعلماء والأساتذة على تأسيس مواقع شخصية: يقومون عبرها ببث ونشر دروسهم وخطبهم ومقالاتهم، وينشرون عناوينهم الإلكترونية وهواتفهم لتسهيل اتصال الأفراد الراغبين في الاستفتاء.فاليوم أصبح من الصعب الاتصال بالعلماء والمشايخ خاصة في الجزائر، لأن الأفراد لا يعرفون أصلا عناوينهم الإلكترونية إن وجدت، فنجد المشايخ الذين يملكون موقعا خاصا أو صفحة عبر مواقع التشبيك الاجتماعي (فايسبوك...) يعدون على الأصابع، فليس من المعقول أن يجد الأفراد صعوبة للاتصال بهم في عصر الاتصالات السريعة والسماوات المفتوحة والوسائل الجديدة المتعددة.

خاتمة:

بناء على كل ما سبق تقديمه، يمكن القول أن السبب الرئيسي لشيوع الفتاوى الافتراضية العابرة للقارات، ولانتشار الفتاوى غير المضبوطة، والتي لا تخضع للشروط العلمية الصارمة والمعتدلة التي وضعها أهل الاختصاص وأهل العلم المشهود لهم، هو الغياب الشبه الكلي للعلماء والمشايخ والمرجعيات الدينية المعروفة عبر الفضاءات والتطبيقات الافتراضية لشبكة الإنترنت، حيث إن عدد العلماء والأئمة الذين يملكون مواقع إلكترونية، أو صفحات عبر مواقع التشبيك الاجتماعي محدود جدا، كما أن المحتوى الرقمي الذي يتجه هؤلاء تقريبا منعدم، وما وجد منه لا يكاد يبدو مع الكم الهائل للمضامين الأخرى التي تهدف إلى تشويه الإسلام. وبالتالي فإن العلماء المعتدلون والمشايخ

المعترف لهم بالعلم، انسحبوا من هذه الفضاءات (باستثناء البعض منهم) وتركوا فراغا؛ وهو ما استغله المتطفلون على الفتوى، والمتطاولون على الدين الإسلامي، فخلقوا حالة الفوضى التى نشهدها حاليا فأصبح كل من هب ودب يقدم فتاوى، ويتكلم باسم الدين، فانتشر التطرف وراجت الأفكار الهدامة وازدادت التيارات المنحرفة، وكثرت المضامين المزيفة من نصوص وتسجيلات...الخ. ولهذا فإن الحل الذى يمكن أن يعالج جزءا من هذه الفوضى عبر الشبكة، هو تغطية هذا الفراغ الذى تركه أهل الاختصاص، والعمل على تعزيز المحتوى الإسلامى الرقمى، من خلال تشجيع هؤلاء على الإقبال على هذه الفضاءات، والتخلى عن أفكارهم المسبقة وتصوراتهم السلبية لهذه الشبكة، فمن الخطأ منع هذه الفضاءات ومعاداتها من طرف الأئمة والمشايخ، خاصة وأن رجال الدين المسيحيين واليهود يستعملون بكثافة هذه الفضاءات لنشر مضامين مختلفة عن دينهم ومبادئه لجلب الأفراد لاعتناقه، فلماذا يغيب علماؤنا ومشايخنا فى فضاءات أصبحت وسائل العصر البارزة فى الاتصال والدراسة والعمل...إلخ. فمن الأكيد أنها ليست كلها سلبيات، فهناك الكثير من الجوانب الإيجابية التى يمكن استغلالها والاستفادة منها.

قائمة المصادر والمراجع:

1) إبراهيم بعزيز: "الاستخدام المفرط لوسائل الاتصال الحديثة من طرف الأفراد: الآثار والانعكاسات"، الملتقى الوطني الأول:تأثيرات وسائل الإعلام الجديدة على الأفراد والمجتمعات"، جامعة فرحات عباس- سطيف، قسم الإعلام، 2010م، ص1.

2) عبدالله الزين الحيدري: "الإعلام الجديد، النظام والفوضى" "المؤتمر الدولي": الإعلام الجديد : تكنولوجيا جديدة .. لعالم جديد"، جامعة البحرين 7-9 ابريل 2009م.

3) ROB BROWN : PUBLIC RELATIONS AND THE SOCIAL WEB, How to use social media and web 2.0 in communications, London : Kogan Page, 2009, p27.

4) Antony Mayfield : what is social media ?, California: icrossing, 2008, p4.

5) Paul Norris, Brian Pauling : THE DIGITAL FUTURE AND PUBLIC BROADCASTING, A research report, new zealand broadcasting school, November 2008, p7.

6) www.viralblog.com/research/youtube-statistics/"(7 fevrier2011).

7) Shayne Bowman , Chris Willis :We media, How audiences are shaping the future of news and information, USA :The Media Center at The American Press Institute, 2003.

8) سليمان بن عبد الله الميان وآخرون:تبسيط الإنترنت والوورد وايد واب،الرياض: دار الميان،د.ت،ص 107.

9) Sahin K. " virtual construction of social reality through new-medium internet" Turkish online journal of distance education, n.01, vol.03, January 2002.

10) رضا النجار، جمال الدين ناجى: تكنولوجيا المعلومات والاتصال، الفرص الجديدة المتاحة لوسائل الاعلام بالمغرب العربي"، تونس: قمة مجتمع المعلومات، نوفمبر 2005م، 118.

11) Max Walter: Content Collaboration – Interaction Concepts for Collaboration in Web Content Management Systems, Master's Thesis in Human Computer Interaction, School of Computer Science and Communication, Stockholm, 2009,p8.

12) ROB BROWN : PUBLIC RELATIONS AND THE SOCIAL WEB, How to use social media and web 2.0 in communications, London : Kogan Page, 2009,p42.

13) Akshay Java : MINING SOCIAL MEDIA COMMUNITIES AND CONTENT, unpublished doctorate Dissertation, University of Maryland(USA), 2008, pp9-11.

14) Shayne Bowman , Chris Willis :We media, How audiences are shaping the future of news and information, USA :The Media Center at The American Press Institute, 2003,p21-31.

15) Sawsan Alshattnawi : Concurrence et Conscience de Groupe dans l'Edition Collaborative sur Reseaux Pair-a-Pair, these de doctorat, l'universite Henri Poincare (Nancy 1), 2008, p12.

16) Peter leyden et al.: me the media, Rise of the Conversation Society, netherland : Research Institute of Sogeti, 2009,p236.

17) محمد منير حجاب: المعجم الإعلامى، القاهرة: دار الفجر، 2004، ص 470.

18) Serge Broulx : les communauté virtuelle construisent-elle du lien social ? " Colloque international sur : l'organisation medias, dispositifs médiatiques, miotique et des médiations de l'organisation, LYON, Université jean moulin19-20/11/2004.

19) Sahin Karasar: op.cit. p .03.

20) درويش اللبان، شريف: تكنولوجيا الاتصال، المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2000 م.127.

21) نفس المرجع السابق.

22) فايز بن عبد الله الشهري: الخطاب الفكرى على شبكة الإنترنت، رؤية تحليلية لخصائص وسمات التطرف الإلكتروني،الرياض: جامعة الملك سعود، 1429 هـ.



دور وسائل الإعلام الجديدة فى تحول المتلقى إلى مرسل وظهور صحافة المواطن

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى إبراز دور وسائل الإعلام الجديدة وتطبيقات الإنترنت التفاعلية، فى تحول المواطن من متلقى سلبى للرسالة الإعلامية إلى منتج نشط للمضامين الإعلامية، ودور ذلك فى بروز شكل صحفى جديد يسمى "بصحافة المواطن"؛ ويهدف كذلك إلى إبراز أهم الظواهر الإعلامية التى ترتبط بصحافة المواطن، كالتدوين الإلكترونى، والتواصل الاجتماعى (عبر مواقع الشبكة الاجتماعية والمدونات الإلكترونية...) والتى جعلته يتبلور على هذا الشكل، بالإضافة إلى انعكاساته المختلفة على المجال الإعلامى، وتأثيراته على الممارسة الصحفية، وعلى وسائل الإعلام التقليدية.

الكلمات الدالة: وسائل الإعلام الجديدة، صحافة المواطن، التفاعلية، الإنترنت

Abstract :

The purpose of this article is to demonstrate the role of new media and interactive applications of internet, in the transformation of citizen as passive receiver of media messages, to active producer of media content,

and the role of these changes in the rise of new form of journalism, called "citizen journalism". We try also by this article, to show the media phenomena relating to "citizen journalism", such as blogging, social communication (through social network sites, discussion forums...), which crystalized it in this form, and its implications in the information field, in journalism practices and traditional media.

Key words: new media, citizen journalism, interactivity, internet

مقدمة:

عرفت البشرية فى السنوات الأخيرة تغيرات وتطورات كثيرة فى مختلف الميادين، بفعل الثورة المعلوماتية والاتصالية الحديثة، لدرجة أن أصبح أى حديث عن التطور والتقدم فى أى ميدان لا يخلو من التطرق إلى دور تكنولوجيات الاتصال الحديثة وتأثيرها على هذا المجال أو ذاك، فلا يمكن التغافل عن انعكاساتها الكثيرة التى أدت إلى تغيير عدة مفاهيم، واستحداث عدة نشاطات وتطبيقات جديدة، وإلغاء العديد من الأشياء التقليدية وإحلال مقابل جديد لها، كما أقصت الكثير من المهن والنشاطات بعد أن أتت بوظائف حديثة تعتمد على التحكم فى التقنيات والتكنولوجيات العصرية.

إنه فعلا عصر التغيرات والتحولات اللامتناهية، والتى لا يمكن توقع آثارها وانعكاساتها المستقبلية، والتى لم تترك أى مجال دون أن تخترقه وتحدث فيه تطبيقات حديثة، واستخدامات جديدة، ملغية بذلك نظيراتها التقليدية أو على الأقل تقليص أهميتها ومعدل استعمالها. ومن بين هذه المجالات التى عرفت قدرا وافرا من التغيير والتأثر بهذه الثورة المعلوماتية، ميدان الإعلام والاتصال الذى لحقه تغييرا كبيرا فى مختلف نواحيه، سواء من حيث كيفية أداء المهنة، أو فى الطرق والوسائل الحديثة المستعملة، أو فى الأنواع الصحفية المستحدثة، أو فى المفاهيم المتعارفة والمصطلحات المتداولة.

لقد ظهرت العديد من التقنيات والتطبيقات الإتصالية على شبكة الإنترنت بالخصوص، بدءا بتقنيات المحادثة الإلكترونية، والبريد الإلكترونى وغرف الحوار

والتراسل النصي، وبرمجيات التواصل المباشر، والقوائم البريدية، وصولا إلى الأشكال العديدة للصحافة الإلكترونية، كالمواقع التكميلية لوسائل إعلامية، المواقع الفردية الشخصية، المدونات الإلكترونية (les blogs)، والمواقع التساهمية... إلى غير ذلك من التطبيقات التى تجسد ما يسمى بصحافة المواطن فماذا يقصد بهذه التسمية؟

مفهوم صحافة المواطن (le journalisme citoyen) أو الصحافة البديلة:

هو مصطلح يشير إلى ذلك النشاط الذى يقوم من خلاله المستعمل (أو المواطن العادي) كفرد من أفراد جمهور وسائل الإعلام، بإنتاج مضمون إعلامى ومعالجته ونشره عبر تقنيات اتصالية متعددة، ويمكن لهذا المضمون أن يكون نصيا أو مسموعا أو سمعيا-بصريا، أو يكون متعدد الوسائط، وفى الغالب ينشر عبر تطبيقات الإنترنت الاتصالية، كالمدونات، مواقع بث الفيديو، المواقع الاجتماعية، منتديات المحادثة الإلكترونية، كالموسوعات التشاركية...، ويمكن كذلك أن ينشر عبر وسائل الإعلام التقليدية، كالقنوات التلفزيونية أو الإذاعية، وعبر المواقع الإلكترونية التابعة لوسائل الإعلام بصفة عامة. و عموما نجد أن رواد صحافة المواطن من الأفراد الهواة، والمستعملين العاديين أى غير المتهنين للصحافة، وهم يقابلون الصحفيون المحترفون الذين يمتهنون الصحافة، فى مؤسسات إعلامية كالتلفزيون والراديو والصحف.

وصحافة المواطن تختلف عن الصحافة التقليدية فى كونها "تشاركية" أى يشارك فى مضمونها مواطنون متطوعون من عدة أماكن، لأهداف غير ربحية وغير تجارية فى الغالب، ولا يتقاضون أجورا باعتبارهم صحفيين يمتهنون الصحافة(*)، كما هو الحال فى الصحافة التقليدية. ولذلك يستخدم مصطلح "صحافة المواطن" كمقابل للصحافة المهنية التقليدية السائدة.

وهناك تسميات ومصطلحات عديدة تستعمل كمرادفات لصحافة المواطن والصحافة البديلة، مثل الصحافة التشاركية (le journalisme participatif)، الصحافة البديلة (alternative journalism) أو الاعلام البديل، صحافة الهواة، ...

(*) هناك عدة حالات لتحول تقنيات وتطبيقات صحافة المواطن كنشاطات تجارية، بعد حصولها على شهرة كبيرة، جلبت اليها أنظار القراء والمعلنين، والشركات التى تقدم عروضا مغرية، تجعل القائمين على هذه المواقع يحولونها الى مصادر لتحصيل الأرباح المادية. وهناك بعض المواقع التى أصبحت تقدم مقابلا لأهم المقالات وللكتاب الصحفيين الناشطين بشكل جيد.

ابرز اشكال صحافة المواطن:

هناك العديد من أنماط وأشكال صحافة المواطن الموجودة حاليا، والتى تتبلور وتتطور بشكل كبير، جعلها تنافس الأشكال التى سبقتها إلى الظهور، بل وتنافس حتى وسائل الإعلام التقليدية، سواء فى عدد جمهورها أو فى نسبة الإعلانات التى تستقطبها، وفيما يلى سنعرض أهم هذه الأشكال:

1 - المدونات الإلكترونية (les blogs): هى مواقع الكترونية يمتلكها أفراد (غالبا) ومؤسسات وجماعات، يتم الكتابة فيها بأساليب مختلفة، يقترب معظمها للأسلوب الصحفى، فهى تحاول دائما إيجاد سبق صحفى، والكتابة فى المواضيع والقضايا المثيرة للجدل، وهذا بفضل الحرية المطلقة وانعدام الرقابة، وهذا ما جعل البعض يسميها بالسلطة الخامسة. ويتم فيها نشر المقالات والتسجيلات بشكل ترتيبى كرونولوجى، ويمكن للقراء والمستعملين التعليق عليها.

2 - وسائل الإعلام الاجتماعية (social media): وتسمى كذلك الشبكات الاجتماعية ومواقع التشبيك الاجتماعى (social networking sites) ، وهى عبارة عن مواقع تستعمل من طرف الأفراد، من أجل التواصل الاجتماعى وإقامة العلاقات، والتعارف وبناء جماعات افتراضية ذات اهتمامات مختلفة، ويمكن للمستعمل عبرها أن ينشئ صفحته الخاصة، وينشر فيها سيرته وصوره ومعلوماته الخاصة، ويكتب مقالات ونصوص، وينشر تسجيلات فيديو، ومن أشهر هذه المواقع : myspace, facebook, twitter.

3 - مواقع بث الفيديو: وهى مواقع تتيح إمكانية بث مقاطع فيديو مسموعة (podcasting)، أو مرئية، ويمكن حتى تحميلها ومشاهدتها، وهناك عدة مواقع مشهورة جدا، لدرجة أنها أصبحت تبيع مقاطع من مضامينها لوسائل الإعلام، بل وحتى هذه الأخيرة تقوم ببث براجها عبر هذه المواقع، ونذكر منها "يوتيوب youtube، ماى فيديو myvideo".

4 - المواقع الإخبارية التساهمية: وهى مواقع شبيهة جدا بالصحف الإخبارية، لكن يشارك فى محتواها ويحرر مضمونها مواطنون عاديون، من مختلف الأماكن، وهم فى الغالب متطوعون وناشطون حقوقيون وهواة لمهنة الصحافة، ومن أشهرها موقع ohmynews الكورى.

5 - مواقع التحرير الجماعى (participatory sites): وهى مواقع تعتمد على برمجيات wiki التى تسمح بتحرير مضمونها بشكل جماعى، يتيح إمكانية التعديل والتنقيح، وأشهرها موسوعة "ويكيبيديا wikipedia".

و هناك العديد من الأشكال الأخرى الجديدة التى تظهر، ولكن هذه أهمها وأبرزها على الساحة الإعلامية.

بروز صحافة المواطن فى الساحة الإعلامية:

كما قلنا فى السابق، فإن البيئة الإعلامية الجديدة التى تتسم بالديناميكية والتطور الكبير والمتسارع، أفرزت عدة أشكال إعلامية حديثة، على غرار الصحافة الإلكترونية، التى تبلورت بدورها فى عدة أنواع وأنماط صحفية، كالمواقع المملوكة من طرف وسائل الإعلام، والبوابات الإعلامية والصحف الإلكترونية المستقلة، والمدونات ومنتديات النقاش الإلكترونى...إلخ.

وقد جاءت الصحافة الإلكترونية كنتيجة للتطورات الحاصلة فى تقنيات النشر الإلكترونى على شبكة الإنترنت، بمختلف الأشكال والتطبيقات والمواقع، وتقنيات البث الإذاعى أو التلفزيونى على الشبكة؛ وإذا كانت هذه الأشكال من النشر والبث - فى البدايات الأولى لشبكة الإنترنت- ترتبط بالمؤسسات والهيئات، سواء كانت إعلامية، أو ثقافية أو علمية الخ، فإن الجيل الثانى للإنترنت (web 2.0) يتيح إمكانية القيام بعملية النشر الإلكترونى والبث بشكل مستقل عن المؤسسات، أى أن الأفراد المستعملون العاديون بإمكانهم القيام بالكتابة والنشر الإلكترونى (عبر تقنيات عديدة كالمدونات الإلكترونية، الصفحات الشخصية، المواقع التساهمية les sites participatifs، مواقع

الويكى Wiki،...) وكذلك القيام ببث تسجيلات فيديو سمعية بصرية (عبر مواقع بث الفيديو، تقنية البودكاست، المدونات الإلكترونية السمعبصرية، ...)؛ فالمستعمل أصبحت لديه إمكانية ليس فقط للمشاركة الجماعية فى تقنيات لخلق المحتوى، ولكن حتى الإنتاج الفردى لهذه المضامين والتحكم فيها وفى بثها بصفة فردية.

وهذه الظواهر قد تم التعبير عنها فى الأوساط الأكاديمية والإعلامية بعدة مصطلحات، مثل النشر الإلكترونى الفردى أو الشخصى (personal publishing)، المحتوى الذى ينتجه المستعملون (UGC :user generated content)، الصحافة التشاركية (le journalisme participative)، الصحافة البديلة (alternative journalism)، صحافة المواطن (citizen journalism)، وغيرها من التسميات التى تتعدد فى مصطلحاتها، وتتفق فى مفاهيمها لتشير إلى تلك التقنيات التى تتيح للمستعمل القدرة على المشاركة أو صناعة المضامين (الإعلامية) بمختلف أشكالها، ونشرها عبر مختلف الوسائل الإعلامية.

وبذلك ساهمت هذه التطورات فى نشوء ما يسمى بالصحافة التفاعلية، التى تعطى فرصة للقارئ أو جمهور الوسيلة الإعلامية على العموم، لإبداء رأيه واقتراحاته وملاحظاته، المتعلقة بمحتوى الوسيلة وبمختلف الأحداث، فمن خلال شبكة الإنترنت يمكن للقارئ أن يتواصل مباشرة مع الصحيفة ويناقش القائمين عليها، من محررين وصحفيين، فأصبح رجع الصدى يمكن الصحف من التعرف على آراء وتوجهات القراء بصفة آنية عكس ما كان عليه الحال فى الصحافة التقليدية الورقية؛ وقد شكل هذا بداية مرحلة "تدخل جمهور الوسيلة الإعلامية فى مضمونها"، ومساهمته فى محتواها بشكل غير مباشر، أى من خلال الإيحاء والاقتراح وإبداء الملاحظات والتعليقات لمسيرى الصحيفة، والذين يقومون بدورهم بإحداث التغييرات التى تلبى احتياجات ورغبات القراء والجمهور.

وفى الحقيقة فإن الطابع التفاعلى لم تعد تتسم به فقط مضامين شبكة الإنترنت، فحتى القنوات التلفزيونية والإذاعية أصبحت تفاعلية إلى حد كبير، متبعة فى ذلك خطى شبكة الإنترنت، التى حققت نسبا عالية من المستعملين والمتعرضين لمضامينها، والتى أدركت أن العصر الحالى هو العصر الذى ينبغى فيه رد الاعتبار للمستعمل، الذى بقى منذ ظهور

وسائل الإعلام الأولى يتلقى المضامين بشكل سلبى (passif)، وينبغى تخصيص هامش أكبر لمساهمته الفعالة فى إعداد المضامين، سواء بشكل جزئى أو بشكل كلى؛ ففى كثير من الأحيان يقوم أشخاص مثلا بتصوير بعض الأحداث باستعمال تقنيات مختلفة (كاميرا رقمية، هاتف محمول...) وإرسالها إلى قنوات تلفزيونية لتقوم بنشرها، ويحدث هذا بالخصوص مع القنوات المعارضة التى منعت من فتح مكاتب فى بعض البلدان، والتى تضيق على المراسلين والصحفيين، مما يجعل "الصحفيين المواطنين" من أنجع السبل للحصول على المعلومة والخبر الصحفى؛ وما يحدث فى إيران والصين أكبر دليل على ذلك، حيث إن تضييق السلطات على الصحفيين المحترفين واضطهادهم، أدى إلى اللجوء لتقنيات "صحافة المواطن" كإعلام "بديل"؛ وحتى وسائل الإعلام الأجنبية أصبحت تعتمد بشكل ملحوظ على ما يرسله لها المواطنون من مواد إعلامية (تسجيلات فيديو، صور...)، باعتبارهم المعنيين بهذه الأحداث أو الأقرب إليها؛ على سبيل المثال أثناء "حرب العراق أدركت قناة "BBC" أنها لن تقدر على نشر صحفييها فى جميع مواقع الأحداث لتغطيتها، وهو ما جعلها تطلب من القراء والمشاهدين أن يرسلوا صورهم التى يلتقطونها لتنشر على موقعها"[1].

ونجد كذلك بعض الحصص الإذاعية التى تفتح المجال لمشاركات الجمهور فى محتواها، مثلما هو عليه الحال فى إذاعة فرنسا الدولية(RFI)، التى تبث حصة l'atelier des medias، وهى عبارة عن حصة تشاركية تبث على الواب (web-emission participative)، يساهم فى محتواها أفراد عاديون ليسوا صحفيين محترفين؛ أما قناة BBC news فقد أطلقت مبادرة للقراء المناهضين للحروب لبعث صورهم التى التقطوها ونشرها[2]، كما قامت قناة "France 24" بتقديم برنامج "مراسلون" وآخر بعنوان "مراقبون"، تبث عبره تقارير وتحقيقات وروبورتاجات أعدها المشاهدون؛ كما أن مواقع مشهورة لبث الفيديو أصبحت تبيع مواد ووثائقيات (أعدها مستعملون هواة) لقنوات تلفزيونية، مثل موقع يوتوب.

وهذه الأمثلة- وغيرها كثير- تبين كلها أن عصر التلقى السلبى لمحتويات وسائل الإعلام قد ولى، وبأن المستعمل أو المتلقى أصبح يرفض أن يكون كالاسفنجة التى تمتص

فقط؛ وهو ما دفعه إلى العمل على إيجاد طرق وتقنيات جديدة لخلق المحتوى وإيصاله للآخرين، وهذا ليس فقط عبر تطبيقات شبكة الإنترنت، كما كان الأمر في البداية، ولكن حتى عبر وسائل الإعلام التقليدية كما قلنا سابقا.

فظهرت العديد من الفضاءات والتقنيات الحديثة التي تتيح إمكانية نشر وبث هذه المضامين دون أي رقابة أو ضغط، على غرار المواقع التفاعلية، مواقع الفيديو (مثل youtube)، النشر الجماعي التشاركي(collaborative publishing) مثل الموسوعات الإلكترونية الجم اعية(مثل،agoravox،wikipedia)، المدونات الإلكترونية(blog) ومنتديات المحادثة الإلكترونية، نشر تسجيلات مسموعة (podcasting)، مواقع الشبكة الاجتماعية (مثل موقع facebook الذي بلغ عدد مستعمليه النشطين 42 مليون سنة 2007م، وفي 2010م وصلوا ....)، ومواقع تبادل الملفات، ؛ فكل هذه الأشكال والتقنيات يقوم المستعملون بصناعة محتواها، فهم الصحفيون والمحررون والناشرون، وبذلك فهم متعاونون هواة من كل أنحاء العالم، ويشاركون في محتوى هذه الوسائل بدون مقابل في الغالب.و في كثير من الأحيان يقوم أشخاص مثلا بتصوير بعض الأحداث باستعمال تقنيات مختلفة (كاميرا رقمية، هاتف محمول...) وإرسالها إلى قنوات تلفزيونية لتقوم بنشرها (مثل ما حدث أثناء عاصفة كاتارينا بأمريكا، وما يحدث اليوم في عدة مناطق من العالم التي تشهد حروبا مثل العراق، فلسطين؛ ومن أحسن الأمثلة هي الصور التي تم التقاطها أثناء إعدام صدام حسين، والتي لم تكن لتنشر للرأي العام وللصحافة العالمية لولا ذلك الشخص الذي صورها بهاتفه النقال). ويحدث هذا كذلك مع بعض القنوات خاصة المعارضة منها، والتي منعت من فتح مكاتب في بعض البلدان، وتم التضييق على مراسليها وصحفييها، مما يجعل "الصحفيين المواطنين" من أنجع السبل للحصول على المعلومة والخبر الصحفي في تلك الأماكن. كما نجد كذلك بعض الحصص الإذاعية التي تفتح المجال لمشاركات الجمهور في محتواها، مثال ذلك مبادرة قناة الجزيرة (global village voices) التي تعطي فرصة للمواطنين بأن ينشروا مضامين إعلامية متعلقة بمختلف الأحداث العالمية والوقائع، وتقوم قنوات عديدة بنفس الشيء.

ولهذا ظهرت في السنوات الأخيرة بعض الأدبيات التي تشير إلى هذه الظاهرة، بعبارة UGC (User Generated Content) أو المحتوى الذي صنعه المستعملون، والذي يقابل المحتوى والمضمون الإعلامي الذي يصنعه الصحفيون المحترفون الذين يشتغلون في وسائل الإعلام التقليدية، وظهر ما يسمى كذلك بالنشر الفردي (personal publishing).

وقد أدت مشاركة الأفراد المستعملين لوسائل الإعلام في صناعة محتواها، إلى بروز نوع جديد من الصحافة، تتميز بكونها تتيح لأي شخص إمكانية المشاركة في بناء هذا المحتوى، ولهذا يسمى بعض الكتاب والاعلاميين هذا النمط من الصحافة الجديدة "بالصحافة التشاركية participatory journalism"، وهناك من يسمى هذه التقنيات بوسائل إعلام المواطن(media citoyen) ؛ والذين يبثون محتواها هم عبارة عن صحفيين غير مهنيين أي هواة (créateurs amateurs)، أي أن المحتوى الذي ينشئه المستعملون هو محتوى خارج عن نطاق المهام والأنشطة المهنية .

لقد تشكل إذن نوع ونمط جديد من أنواع الصحافة، يطلق عليه الكتاب بالإضافة إلى التسميات السابقة، تسمية" صحافة المواطن، أو إعلام الجمهور"le journalisme) (citoyen وبالإنجليزية (citizen journalism)، و هو ذلك النشاط الذي يقوم بموجبه أفراد عاديون بتوظيف التقنيات والتطبيقات الاتصالية الحديثة لإنتاج مضامين إعلامية (سواء نصية أو مسموعة، أو سمعبصرية، أو متعددة الوسائط) وبثه ونشره سواء عبر تقنيات شبكة الإنترنت بشكل فردي أو جماعي، أو عبر قنوات إعلامية تقليدية Dan Gill) .moor, J.D.lasica , Shayne Bowman, Chris Willis)

ولذلك فقد جاء هذا النوع من الصحافة ليعمل على دمقرطة وسائل الإعلام "la démocratisation des medias"، أي إتاحة الاستعمال الديمقراطي والتداولي لوسائل الإعلام دون رقابة وضغط الناشر والمديرين والمسيرين لوسائل الإعلام، وإتاحة الفرصة للمستعمل بإيصال صوته، والتعبير عن أرائه، والتغطية الإعلامية لقضاياه وشؤونه، وفقا لوجه نظره الخاصة وبعيدا عن الخط السياسي والانتماءات التي يمكن أن تؤثر على الوسيلة الإعلامية (التقليدية).

لقد ساهم المواطن إذن، وبشكل كبير فى نقل العديد من الأحداث والوقائع -التى غيبتها وسائل الإعلام التقليدية- إلى العالم، عن قصد أو عن غير قصد، خاصة ما تعلق منها بالأحداث المحلية، والتى لا تحضى فى الغالب بالتغطية، إما بشكل عمدى من طرف القائم بالاتصال بفعل ضغوط السلطة، أو بشكل غير عمدى نظرا لعدم امتلاك الوسيلة الإعلامية لمراسلين محليين فى تلك المنطقة؛ ولهذا يعتقد الكثير من المختصين أن استخدام المواطنين لتقنيات الاتصال المحمولة (هواتف وكاميرات محمولة...) لنقل الصور وأفلام حول مختلف الأحداث، يمكن وسائل الإعلام أن تتواجد فى كل مكان محققة بذلك خاصية التواجد الكلى الافتراضي(ubiquitous)؛ ولعل هذا ما جعل العديد من وسائل الإعلام التقليدية تعقد اتفاقيات لتبادل المعلومات والأخبار مع مواقع ومدونات شخصية للمستعملين (مثل ما حدث مع الصحيفة الأمريكية الدولية "international herald tribune" التى أمضت عقدا فى ماى 2006م مع موقع لصحافة المواطن (ohmynews)، وذلك لتزويدها بالمعلومات والأخبار الإعلامية[3]، وهذا نظرا لامتلاك الموقع لآلاف المساهمين من عدة أماكن، حيث يستقطب هذا الموقع الإخبارى 02 مليون زائر يوميا، ويشارك فيه حوالى 26 ألف صحفى مواطن من كل أنحاء العالم[4].

ورغم كون صحافة المواطن غير نفعية أى أن الصحفيين لا يتقاضون أجرا، إلا أن التطور الكبير لهذه المواقع والمدونات، قد جعلها مع مرور الوقت تدر أرباحا على أصحابها من خلال الاشهارات، فأصبحت بعض المواقع (مثل ohmynews، وagoravox) تقدم مقابلا ماديا لأحسن المقالات والمضامين؛ وكذلك تقوم بعض مواقع الفيديو (مثل you tube، وmyvideo) ببيع صور وأفلام فيديو لبعض المؤسسات الإعلامية وغير الإعلامية؛ بالإضافة إلى مواقع الشبكة الاجتماعية (social network media) التى تبين العديد من الأرقام أنها أصبحت تشكل مجالا استثماريا خصبا للمؤسسات الإعلامية والتجارية.على سبيل المثال فى 2005 م قامت مؤسسة روبرت ميردوخ (News Corporation) بشراء موقع " MySpace " ب 580 مليون دولار[5]، كما تم بيع موقع يوتوب (youtube) بعد عام من تأسيسه ب 1.6 مليار دولار [6] لمؤسسة google.

هذا بالإضافة إلى حجم الإنفاق على الإعلانات التى تنشر عبر هذه المواقع والتطبيقات الإلكترونية، فتشير الإحصائيات إلى أن المعلنين أنفقوا 2 مليار دولار سنة 2009م على اشهارات عبر مواقع الشبكة الاجتماعية[7]، ودفعت مؤسسة غوغل 900 مليون دولار لمؤسسة((News Corporation))" من أجل بث إعلانات لها فى موقع " myspace[8] "، وإن دلت هذه الأرقام على شيء فإنها تدل على تعاظم أهمية هذه المواقع والتطبيقات الاتصالية الجديدة فى الساحة الإعلامية والاقتصادية.

ومما يزيد من أهمية هذه المواقع، الازدياد المفرط فى عدد مستعمليها، وهو من دون شك ما يشكل سبب النجاح الفعلى لأى مؤسسة إعلامية، فازدياد عدد المتلقين والمستعملين يؤدى لزيادة الإعلانات وزيادة الشهرة، سواء فى الأوساط التجارية أو الإعلامية؛ فمثلا فى فيفرى 2008م وصل عدد مستخدمى موقع " myspace " 300 مليون، وينضم إليه يوميا 230000 فرد، وفى جانفى 2009م كان عدد أعضاء موقع facebook حوالى 150 مليون فرد[9]، وفى سنة 2010م كان عدد مستعملى فايسبوك حوالى 200 مليون مستعمل[10]، كما أن هناك أعدادا هائلة من مستعملى المدونات الإلكترونية ومواقع بث الفيديو والبودكاست ومنتديات المحادثة الإلكترونية، ولعل هذا ما جعل ظاهرة "الواب 2" وما جاءت به من خدمات تشكل ظاهرة اقتصادية وإعلامية فى نفس الوقت.

إن هذه القضايا التى أفرزتها التطورات الحاصلة فى مجال تكنولوجيات الاتصال الحديثة عموما وفى شبكة الإنترنت خصوصا، تجعلها جديرة بالدراسة والتنقيب للكشف عن أسبابها وانعكاساتها، وارتباطاتها بالظواهر الأخرى، والكشف عن تأثيراتها المختلفة ولاسيما فى مجال الصناعة الإعلامية، التى لا تكاد تمر عليها فترة زمنية إلا وتغيرت جذريا قواعدها وأسسها، واستحدثت مفاهيمها ومصطلحاتها، وتغيرت معانيها ومدلولاتها. ويبدو أن هذه المرحلة التى تشهد ميلاد هذا الشكل الصحفى الجديد (صحافة المواطن)، ما هى إلا بداية لتحولات لم يسبق لها مثيل فى المجال الإعلامى. كما أن التطبيقات التى تشكل ما يعرف بصحافة المواطن قد كانت محورا لعدد كبير من البحوث الإعلامية والاجتماعية الحديثة، الشيء الذى يبرز أهمية هذه المواضيع واستحقاقها للدراسة.

المرسل والمستقبل، نحو تبادل الأدوار:

كما قلنا سابقا، من بين الجوانب الهامة المترتبة عن التطورات الحديثة فى تكنولوجيات الاتصال، هو التحول الحاصل فى أهم عنصرين من عناصر العملية الاتصالية ألا وهما المرسل أو ما يسمى بالقائم بالاتصال، والمستقبل، فقد حدث تغير جذرى فى مهام كل واحد منهما، وأصبح الجمهور الذى كان يستقبل الرسائل والمضامين الإعلامية يشارك بشكل أساسى وفعال فى صناعتها وبثها، فلم يعد فقط يستعمل وسائل الإعلام لاستهلاك مضامينها ورسائلها، بل تعدى الأمر إلى المشاركة الفعلية فى بناء هذا المضمون وبكل حرية، ولذلك فان ما يميز هذا الجمهور أنه يستعمل وسائل الإعلام ويتعرض لها فى نفس الوقت الذى يساهم فى محتواها، كما أنه يملك هامش من الحرية أكبر بكثير من الصحفيين التقليديين، فكم من الأفراد (سياسيين، مثقفين، معارضين،...) قاموا بنشر مقالات ومذكرات وكتب وأفلام، روبورتاجات وصور على شبكة الإنترنت كانت ممنوعة من النشر فى الوسائل الأخرى، وحتى الصحفيون أنفسهم أصبح معظمهم يملك منتدى أو مدونة إلكترونية، وإن لم يكن يملك فإنه يكتب ويساهم فى المدونات الأخرى، نظرا لما توفره من حرية تعبير قد لا يجدونها فى وسائل الإعلام الأخرى.

وقد أدى الانتشار الواسع لوسائل وتقنيات الاتصال الحديثة لدى شرائح واسعة من المجتمع وسهولة استعمالها من طرف الأشخاص، (على غرار الهواتف المحمولة والكامرات...) إلى قيام المواطنين وأفراد الجمهور بصناعة مواد ومضامين إعلامية بسهولة تامة، ودون أن يكونوا متخصصين، كانت فى الكثيرٌ من الأحيان تنافس وتضاهى مضامين الوسائل الإعلامية التقليدية، فرغم أن هؤلاء الهواة لا يملكون شهادات فى الميدان الصحفى، إلا أنهم يملكون مهارات وقدرات اكتسبوها سواء بالممارسة أو التعلم الذاتى، تسمح لهم بمنافسة صحفيين محترفين.

وعليه، فقد "انتهى دور الكاتب مرسلا، كما انتهى دور الإخبار، وتحول المتلقى إلى قارئ منتج للنص فى الوقت نفسه"(١١)، ولم يعد الجمهور يستقبل الرسائل والمضامين الإعلامية بشكل سلبى، دون أن يضفى مساهمته وتعليقه وانطباعه.

يقول الكاتب "نسيم الخوري": "يتلاقى الكاتب والقارئ فى فضاء من الصناعة الكتابية من دون حدود.و يعتبر انقلاب السلطات أو تبادلها بينهما من أرقى الأدوار التى تلعبها الصحافة الإلكترونية، إذ يغدو المتلقى "ساكنا" حيا يتعامل مع الطبعة الإعلامية وكأنها وسيلته الإعلامية الخاصة (هذا إن لم يكن له وسيلته الخاصة بعد) تمنحه سلطات جديدة يستطيع أن يمارسها عن طريق اشتراكه بالتحرير أو بالانتقاد، أو بإضافة الأفكار، أى يصبح "فاعلا ومنفعلا ومرسلا جديدا يقلق المرسل الأساسى، ويكمله أو يدحضه"[12].

وهذا ما يحدث بالفعل مع وسائل الإعلام الجديدة، ومع تطبيقات الإنترنت التفاعلية، التى تمكن الفرد ليس فقط من التفاعل مع مضامين ووسائل الإعلام السائدة، بل حتى امتلاك "وسيلته الخاصة" ممثلة فى مدونة أو صفحة شخصية، أو صحيفة الكترونية خاصة؛ فانقلبت بذلك القاعدة، فأصبح المتلقى مرسلا، والقارئ كاتبا، والجمهور قائما بالاتصال، ويضيف فى هذا المضمار "نسيم الخوري" قائلا:"نكاد نخرج من هذه المفاهيم التقليدية للسلطات الاتصالية وتفاعلية عناصرها، وذلك بفضل تقنيات الاتصال المعاصرة حيث انقلبت الآية، وبات العالم أسير علاقات جديدة بين الإرسال والتلقى وتجليات السلطة المعرفية واللغوية.و نلحظ من ناحية نموا ملحوظا للتفاعل بين المرسل والمتلقى إلى حدود قد تسمح لنا بالتعديل من مصطلح المتلقى وتسميته بالمرسل الثانى...إنه المرسل والمتلقى فى أن واحد"[13]؛ إنه الصحفى والقارئ والناشر والموزع والمعلن، وحتى حارس البوابة الجديد.

يقول الكاتب "Colleen Mihal":"لقد تغيرت العلاقات الاجتماعية فى ظل ممارسة صحافة المواطن، عبر إسقاط المفاهيم التقليدية المتعلقة بمن هو مستهلك مضمون الإعلام ومن هو منتجه، كما عززت قدرة الفرد فى القيام بأدوار جديدة، ومكنت من لم يكونوا جزءا من عملية الإنتاج الإعلامى من المشاركة بآرائهم وتعبيرهم الخلاق[14].

وعليه تتحول طبيعة الجمهور الحالى من التلقى السلبى (passive) إلى طابع التشاركية (participatory)، حيث يستفيد الأفراد من تطبيقات الإنترنت 2 لخلق محتوى، وبالتالى تطور "المضمون المنتج من طرف الجمهور" كما قامت المؤسسات الإعلامية بتوفير

مواقع وتطبيقات للجمهور ليساهم فيها[15]، وهذا بهدف تبني هذه الأنماط الصحفية الجديدة، والتعايش معها بشكل يحفظ لها ولو قليلا من سلطتها التي فقدتها لصالح جمهورها النشط.

وأدى تطور تقنيات الاتصال هذه إلى قيام الجمهور بدور "الناشر والمذيع (retsacdaorb) والمحرر (rotide) ومنتج المحتوى (rotaerc tnetnoc) ككاتب ومصور ومنتج فيديو ورسومات، ومعلق (rotatnemmoc)، وموثق (nairatnemucod) ومسير للمعرفة أو مكتبي (nairarbil) reganam egdelwonk))، كاتب يوميات (relanruoj) ومعلن (resitrevda)"[16] ، فوسائل الاعلام الجديدة ولاسيما شبكة الإنترنت، جعلت من السهل القيام بكل هذه الوظائف بسهولة كبيرة وبتكاليف قليلة؛ خاصة وظيفة الصحفي الإلكتروني، التي يمكن ممارستها عبر عدة تطبيقات على الشبكة، كالمدونات والمواقع الشخصية، ومواقع وسائل الإعلام التفاعلية، ومواقع الشبكة الاجتماعية (social media)، إلى غير ذلك من الخدمات الإلكترونية التي جعلت الفرد المتلقي يتبنى عدة مهام ووظائف في نفس الوقت.

صحافة المواطن والفضاء العمومي الإلكتروني(electronic public sphere):

إذا كان الفضاء العمومي كما تحدث عنه "هابرماس" يعني ذلك المجال الذي يتم فيه التحاور والمناقشة وتبادل الآراء، حول قضايا الشأن العام، ومسائل المواطنين السياسية والاجتماعية، والفضاء الذي يتيح للمواطن والسياسي إمكانية التواصل والتفاعل، لمناقشة قضايا مجتمعهم المختلفة، فإن فضاءات الإنترنت الاتصالية تعد تجسيدا فعليا لما تحدث عنه "هابرماس"، وبالخصوص فضاء التدوين (la blogosphere)، الذي ينتعش بالحوارات والنقاشات العديدة، بين عدة أطياف وشرائح من المجتمع، بدءا من المواطن العادي، والصحفي ووصولا إلى السياسي، وهو ما يجعله وفقا لبعض الباحثين [17] يعتبر الفضاء الأمثل الذي يجسد الفضاء العمومي، خاصة مع الازدياد المفرط والمذهل لأعدادها مؤخرا، فتشير بعض المصادر مثل موقع "Technorati" المتخصص في هذا الشأن، أن عدد المدونات كان 112 مليون مدونة في 2008م، ويزداد عددها بمعدل 175000 مدونة يوميا[18].

وبالتالى يحصل إثراء كبير لمحتوى الإنترنت بفعل نشاط المواطنين active) citizenship) عبر وسائل الإعلام الجديدة، وبفعل تنشيطهم للفضاء العمومى effective) public sphere)[19]، عبر كتاباتهم ونقاشاتهم وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض، وحتى مع السياسيين.

وقد جاء فى دراسة أعدتها منظمة التعاون والتنمية الاقتصادية (OCDE) أن "الفضاءات الافتراضية والمدونات الإلكترونية ومواقع التشبيك الاجتماعى social) networking sites)، يمكن أن تستعمل للتواصل مع الناخبين، ولتبادل وجهات النظر، ولإثارة نقاشات (provoking debate)، ولتقاسم المعلومات، حول القضايا السياسية والمجتمعية"[20]؛ فالكثير من المعلومات والأخبار قد لا تقدمها وسائل الإعلام التقليدية، سواء عن قصد أو دون قصد، أو بفعل ضغط الحكومات والمؤسسات المالكة لها، وهو ما يجعل "الإعلام البديل" الوسيلة الفعالة لكشف هذه القضايا والمعلومات المتستر عنها.

ونجد حتى من الصحفيين المحترفين من يملك مدونة خاصة، أو يساهم فى مدونة لغيره، وهذا راجع بالأساس إلى حرية التعبير التى ربما لم يجدها فى مؤسسته الإعلامية التى ينتسب إليها؛ تقول فى هذا السياق الكاتبة " zciwobukaJ loraK ":"تعتبر المدونات وسيلة للتعبير الذاتى ليس فقط بالنسبة للأشخاص العاديين بل حتى المشتغلين بالإعلام (slanoisseforp aidem)"[21]، ولعل هذا ما جعل الكثير من الصحفيين يتخلى تماما عن العمل لصالح مؤسسته الأم، ويتفرغ للتدوين والكتابة لصالح صحف إلكترونية، مثل الصحفى الأمريكى "دان غيل مور"، وغيره كثير.

وتعتبر الأحداث السياسية غير العادية والكوارث الطبيعية، من بين العوامل التى ساعدت على تعزيز البيئة الإعلامية بالمدونات الجديدة وبالتطبيقات الاتصالية على الشبكة، وازدياد أعدادها، فعلى سبيل المثال "أدت تفجيرات 11 سبتمبر إلى إنعاش ظهور المدونات السياسية، التى تناولت ردود الأفعال المحلية والدولية، مما جلب اهتمام وسائل الإعلام السائدة، التى أصبحت تعتمد على المدونات كمصادر، ولاسيما بعد أن أصبح يكتب فيها أكاديميون وصحفيون ومختصون، مما أضفى عليها مصداقية أكثر[22].

بداية تراجع الرقابة وافول "حارس البوابة":

يبدو أن صحافة المواطن قد سلبت سلطة القائم بالاتصال، وقوضت أركان نظرية "حارس البوابة gate keeper"، فأصبح من غير الممكن التحكم فى مضامين وسائل الإعلام الحديثة، ومن غير الممكن ،أو من الصعب جدا، ممارسة الرقابة على الرسائل الإعلامية. ولذلك فإن الحرية التى لم يتمتع بها القائم بالاتصال والصحفى فى وسائل الإعلام التقليدية، قد توفرت وأتيحت بشكل كبير للجماهير المستعملة والمنتجة فى نفس الوقت لمضامين وسائل الإعلام الجديدة، ولهذا فإن عملية النشر فى نمط صحافة المواطن تقوم على نموذج "النشر ثم الغربلة والتنقيح (publish then filter.)، عكس ما كان من قبل مع الصحافة التقليدية القائمة على نموذج "الغربلة والتقييم ثم النشرfilter, then publish"[23]؛ وبالتالى فصحافة المواطن لا تملك عقبات النشر والعرقلة التى كانت مع الإعلام التقليدى، وهو ما جعل وسائل الإعلام الجديدة قادرة على مراوغة حراس بوابة الإعلام التقليدى (Circumventing Media Gatekeepers)[24]، أى أن الجمهور يتوجه مباشرة للخبر ويتحصل على المعلومة دون المرور على الصحفى، ويقوم بنشرها دون المرور على وسائل الإعلام التقليدية، ويقوم بنشرها وتوزيعها دون المرور على دور النشر والمطابع.

وعليه فالوساطة التى كانت بين الجمهور ووسائل الإعلام قد ألغيت، بفعل انتشار استخدام وسائل الإعلام الجديدة فى أوساط الجماهير بشكل كبير، كما يقول الكاتب: "Jim Hall": "لقد تم إزالة الوساطة (Disintermediation) التى كانت بين الصحفيين المحترفين والجمهور، فالأدوار التى كانت تقوم بها الصحافة الاحترافية كحارس البوابة "gatekeeper" ومحدد الأولويات (agenda-setter) وكمغربل للأخبار (news filter)، كل هذه الأدوار وضعت على المحك نظرا لأن مصادر الصحافة الأولية أصبحت متاحة للجمهور[25]، وبالتالى فإن الجمهور المتلقى قد تخلص تقريبا من كل أنواع الوساطات التى كان يقوم بها حارس البوابة، سواء كان صحفيا أو رئيس تحرير أو ناشر أو طابع.... إلخ.

صحافة المواطن كسلطة خامسة:

إذا كانت الصحافة بصفة عامة قد شكلت فى الماضى ما سمى بالسلطة الرابعة، بفضل تأثيراتها فى مختلف المجالات ولاسيما السياسية منها، فإن العديد من الكتاب حاليا يعتبرون صحافة المواطن كسلطة خامسة، نظرا لتأثيرها المتعاظم على الشؤون السياسية والإدارية لمختلف البلدان، ولأنها تتيح ليس فقط للصحفيين فرصة نشر ما هو ممنوع وما قد يضايق السلطة والنظام القائم، بل تتيح أيضا للأفراد والمواطنين العاديين- بما فيهم أولئك الذين يمثلون الشرائح المهمشة وغير الممثلة فى المجتمع- إمكانية التعبير بحرية عن انشغالاتهم، وإيصال آرائهم واقتراحاتهم للحكام، وهو الشيء الذى أثار تخوف الأنظمة الشمولية المستبدة، فقامت فى عدة أحيان بحجب مواقع إلكترونية، ومدونات إلكترونية، بل قامت حتى باعتقال بعض المدونين الذين تم التعرف على هوياتهم، والزج بهم فى السجون بسبب كتاباتهم(مثل ما حدث فى إيران، الصين...)، ولكن رغم ذلك فإن صحافة المواطن لا يمكن التحكم فيها ومراقبتها كما هو عليه الأمر مع الصحافة التقليدية، لأنه حتى وإن تم حجب موقع أو مدونة فى بلد معين ومنعه من النشر ، فإن التقنيات الحديثة تتيح إمكانية بث الموقع من بلد أخر أو فى موقع إلكترونى آخر، ولذلك يمكن القول أن رقابة السلطة على وسائل الإعلام قد زالت وتلاشت، ولاسيما مع التطبيقات والتقنيات الاتصالية التى تتطور وتستحدث باستمرار، مما يجعل التنبؤ بما يمكن أن يحدث فى المستقبل من أشياء جديدة ضربا من المستحيل؛ وربما قد تكون هذه الحرية اللامتناهية للتعبير عبر شبكة الإنترنت، من بين الأسباب التى جعلت عدة بلدان وأنظمة دكتاتورية تتماطل فى إيصال الربط بالشبكة فى أقطارها، وحرمان مواطنيها من استعمالها.

وعليه، فإن الفضاء الإنترنتى الجديد وفضاءاته التعبيرية أدى إلى تبادل ليس فقط للأدوار بين القارئ والكاتب أو الصحفى، بل وحتى السلطة، التى كان يعتبرها البعض سلطة رابعة مع السلطات الأخرى، ولعل هذا ما جعل عدة كتاب ومتتبعين يسمون صحافة المواطن الإلكترونية بالسلطة الخامسة، فهل تخلى الإعلاميون المحترفون عن سلطتهم الرابعة لصالح المواطن، أم أن هذا الأخير هو من اكتسب هذه السلطة الخامسة وانتزعها من الإعلاميين المحترفين؟

والإجابة بدون شك أن الجمهور هو من انتزع هذه السلطة، وقلب الموازين لصالحه، وهذا بفضل تكنولوجيات الاتصال الحديثة و"تقنيات الإنترنت التى مكنت من زيادة قوة وسلطة المواطن الافتراضي (neziten)"[26]، وزادت من هيمنته على المادة والرسالة الإعلامية المتداولة والمتناقلة، ليس فقط فى وسائل الإعلام الجديدة، بل وحتى فى وسائل الإعلام التقليدية، التى رضخت وأرغمت على التعامل مع المضامين التى ينتجها المواطنون، وتبنيها وبثها، وقد قدمنا فيما سبق أمثلة عن ذلك.

يقول الكاتب " Yochai Benkler ": إن التغير الحاصل فى الإعلام الرقمى وتبنى الأفراد لثقافة المشاركة قد أثر على سلطة الإعلام، وعلى كيفية تقديم القضايا ومعالجتها، وعلى كيفية غربلة المضامين ومن طرف من ولصالح من، وعلى طريقة تشكل المواقف وبلورتها[27]، أى أن تطبيقات الصحافة التفاعلية جعلت كثير من الأشياء تتغير، وكثير من المفاهيم تُعدل، وكثير من الأدوار تتبادل.

خاتمة:

من دون شك أن هذه القضايا والمفاهيم التى تناولناها فيما سبق، قد أفرزتها التطورات اللامتناهية فى تقنيات وتكنولوجيات الاتصال، ولاسيما بعد أن تم إدماج العديد من الوسائل الاتصالية لتشكل تطبيقات هجينة، وتفاعلية، أقبل عليها الأفراد بشكل غير مسبوق، حيث فاق عدد مستعمليها فى فترة وجيزة عدد المستعملين للوسائل الإعلامية التقليدية الأخرى، وهو ما دفع بعض الكتاب والباحثين لتسميتها بالوسائل البديلة أو الصحافة البديلة (alternative journalism)، باعتبار أنها سلبت وسائل الاعلام التقليدية كثير من الأمور، بدءا بجمهورها، وبعض العاملين فيها من صحفيين، وإعلاناتها، وحتى سلطتها وهيمنتها على الساحة السياسية والإعلامية.

وتعتبر وسائل بديلة كذلك، لأنها تناقش قضايا وتغطى وقائع لم يتم تناولها من طرف وسائل الإعلام التقليدية، فالكثير من الأفراد أصبحوا يلجأون للصحافة البديلة "لجلب الانتباه للقضايا الهامة والجدلية (seussi lacitirc)"[28]، التى تم تهميشها وتغييبها

لأسباب متعددة؛ كما أنها "تمنح صوتا لمن لا صوت له"، وتمنح منبرا لمن لا منبر له للتعبير والتعليق والنقد، بدون رقابة ولا ضغوطات.

إن التعطش الكبير للمستعملين للتعبير الحر والمشاركة فى المضامين الإعلامية، الذى يتجسد فى إقبالهم الملحوظ على الخدمات والتطبيقات التفاعلية سواء عبر الإنترنت أو التقنيات الاتصالية الأخرى، يمكن أن يكون مؤشرا لما يمكن أن يكون لهذا النمط الصحفى من انعكاسات على المجال الإعلامى بالخصوص والاجتماعى بصفة عامة.

قائمة المصادر والمراجع:

1) Shayne Bowman , Chris Willis : We media, How audiences are shaping the future of news and information, USA :The Media Center at The American Press Institute, 2003, p8.

J.D.lasica : " Participatory Journalism Puts the Reader in the Driver's Seat", online journalism review, 2003, http://www.ojr.org/ojr/workplace, (1/9/2010)

2) OCDE : " INTERNET PARTICIPATIF : CONTENU CREE PAR L, UTILISATEUR "28 juin 2007.

http://www.oecd.org/dataoecd/57/14/38393115.pdf,

3) Shayne Bowman, Chris Willis :op.cit. p.20.

4) Christian Fuchs : Social Networking Sites and the Surveillance Society, A Critical Case Study of the Usage of studiVZ, Facebook, and MySpace by Students in Salzburg in the Context of Electronic Surveillance, Vienna : Research Group Unified Theory of Information,2009,p40.

5) Martin Lister et al: New Media: a critical Introduction,(Second Edition) , New York : Routledge, 2009,p 226.

6) Emily Fay Mabry : ENGAGING AUDIENCES: AN ANALYSIS OF SOCIAL MEDIA USAGE IN ADVERTISING, Master thesis, The Manship School of Mass Communication, Louisiana State University, 2010, p.3.

7) JOSEPH TUROW : MEDIA TODAY An INTRODUCTION to MASS COMMUNICATION, 3rd Edition, New York, : Routledge, 2009, p245.

8) Peter leyden et al.: me the media, Rise of the Conversation Society, netherland : Research Institute of Sogeti, 2009, p148.

9) Emily Fay Mabry : op cit, p3.

10)نسيم الخوري: الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، سلسلة أطروحات الدكتوراه، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2005م، ص128.

11)نفس المرجع، ص435.

12)نفس المرجع، ص 127.

13) Colleen Mihal : DEMOCRACY, CITIZENS' MEDIA, AND RESISTANCE:

A STUDY OF THE NEW RIVER FREE PRESS, Master of Arts, Department of Communication , Virginia Polytechnic Institute and State University, 2004, p30.

14) Paul Norris, Brian Pauling : THE DIGITAL FUTURE AND PUBLIC BROADCASTING, A research report, new zealand broadcasting school, November 2008, p9.

15) Shayne Bowman , Chris Willis :op cit, p38.

16)انظر على سبيل المثال دراسة:

Karthik K. Ramachandran : THE EVOLUTION OF MEDIA INDUSTRIES AND THE PUBLIC SPHERE: DOES THE BLOGOSPHERE SERVE AS A PUBLIC SPHERE?, (unpublished master thesis), Georgetown University, 2006.

17) Cheong Yip Seng :engaging new media, challenging old assumptions, Singapore :The Advisory Council on the Impact of New Media on Society, December 2008, p28.

18) Meryl Aldridge : Understanding the Local Media, England :Open University Press, 2007, p137.

19) OECD : Participative web and user generated content: WEB 2.0, WIKIS AND SOCIAL NETWORKING Paris,ed.oecd, 2007, p12.

20) Karol Jakubowicz : A new notion of media?, Strasbourg :Council of Europe, 2009,p27.

21) Karthik K. Ramachandran : THE EVOLUTION OF MEDIA INDUSTRIES AND THE PUBLIC SPHERE: DOES THE BLOGOSPHERE SERVE AS A PUBLIC SPHERE?, Master of Arts in Communication, Georgetown University, 2006, pp82-83.

22) Shayne Bowman, Chris Willis: op cit, p.03.

23) John V. Pavlik : Journalism and New Media, new york : columbia university press, 2001, p144.

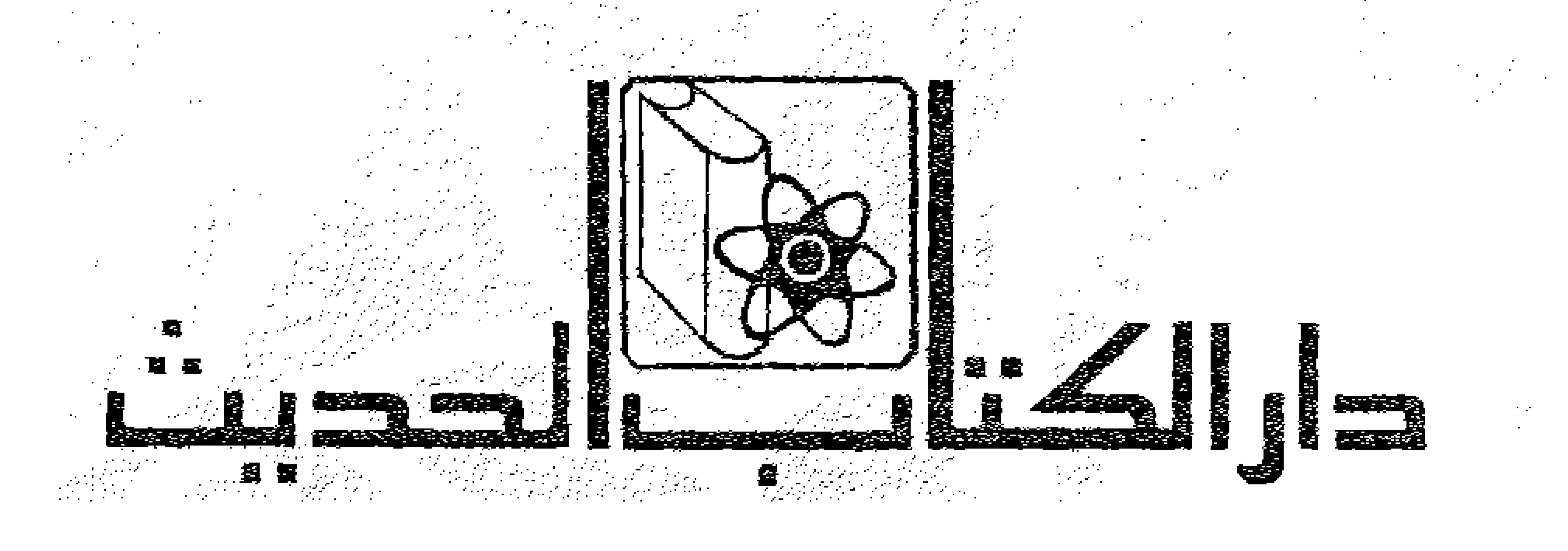
24) Jim Hall : Online Journalism, A Critical Primer, London : pluto press, (sans date) ,p53.

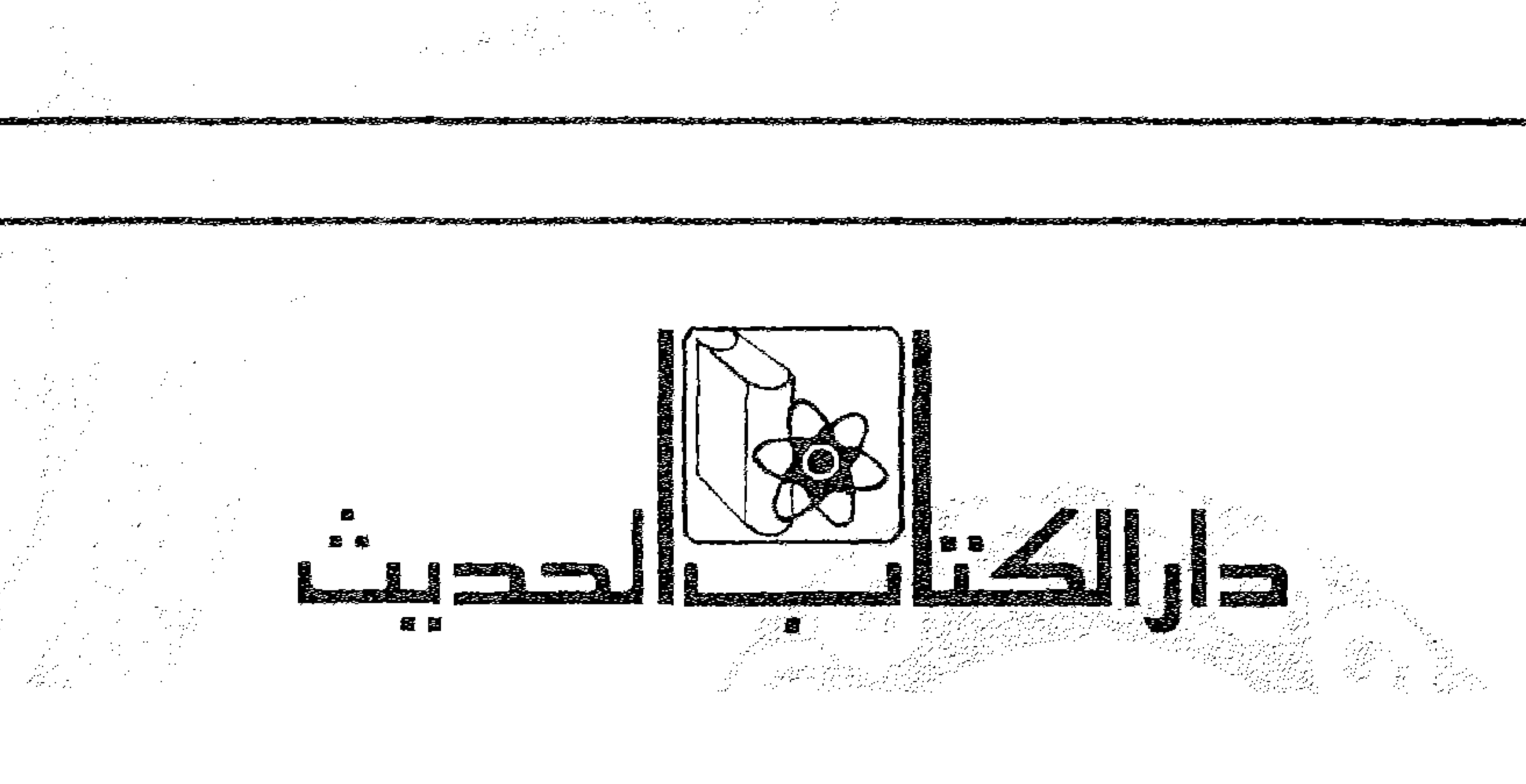
25) Nils G. Indahl : International cyber society Governing the Internet, master thesis, U N I V E R S I T Y O F C O P E N H A G E N, 2009, p79.

26) Yochai Benkler : The wealth of networks : how social production transforms markets and Freedom, London : Yale University Press, 2006, p213.

27) Jan Schaffer : citizen media ; Fad or the Future of News?, The rise and prospects of hyperlocal journalism, Baltimore : The Institute for Interactive Journalism(University of Maryland), 2007,p10.

28) Jin Cao : The Production of Alternative Media in Mainland China, The State Innovative Institute for the Studies of Journalism & Communication and Media Society , Fudan University, 2009, p5.


دار الكتاب الحديث


دار الكتاب الحديث

هذا الكتاب

يتكون هذا الكتاب من مجموعة مداخلات ومحاضرات ألقيناها في عدة ملتقيات وطنية ودولية ، قمنا بجمعها وتنقيحها وتعديلها ، لتنشر في كتاب جامع يستفيد منه المهتمون بهذه المجالات المعرفية .

وقد تمحورت معظم هذه المحاضرات حول استعمال تكنولوجيا الاتصال الجديدة في مختلف الميادين ، وتأثيراتها وانعكاساتها على هذه المجالات وعلى الأفراد المستعملين . فمن المعروف أن هذه التطبيقات الاتصالية التفاعلية الجديدة قد ازداد الإقبال عليها بشكل ملحوظ خاصة لدى فئة الشباب . مما أحدث انعكاسات اجتماعية ، سياسية ، ثقافية ... إلخ . وما نحن ببعيدين عن الثورات والمظاهرات التي حصلت في الدول العربية مطلع 2011 م . والتي استعانت فيها الجماهير بشكل ملحوظ بتطبيقات الاتصال الجديدة (المدونات ، مواقع بث الفيديو ، مواقع التشبيك الاجتماعي مثل فايسبوك ، ماي سبايس ... إلخ) ، وذلك لتنسيق أنشطتهم ولنشر المعلومات والأخبار.

هذا ، وقد ترتبت كذلك عدة انعكاسات على المجال الثقافي ، وا...

الديني .

ويحاول هذا الكتاب أن يعالج هذه الظواهر والقضايا المرتبطة ...

تكنولوجيا الاتصال الجديدة . ونتمنى أن يلقى هذا المؤلف إعجاب ال...

